

**The Influence of the Protestant and
Catholic Religions During the 16th &
17th Century on the Arab World**

By
Nagham Mohammed Ali Jawad

Supervised by
Prof. Dr. Nezar Karim Jawad

**Doctor of Philosophy
(Modern & Contemporary History)**

2013

Matriculation Number: AB0287

Abstract :-

The dissertation is studying the subject of **The Influence of the Protestant and Catholic Religions During the 16th & 17th Century on the Arab World**, whereas the researcher is showing that the European rebirth which occurred in Europe among the two fourteenth and sixteenth centuries, so, based upon that, Europe had converted from the retardation and slavery age into the freedom and scientific logic age. So, Europe used to live before the rebirth into the middle centuries ages and it is a dark period, and everything was in the hand of the church, and the human being was a slave in the feudalism working under the order of the princes sold and bought such as the animals, and he had no right to think, object or even expresses himself, and the church was connected with the feudalism and there was no learning or education except the church education, and there was the naïve and fictitious ideas and what the church said is a holy right and must be followed. To get rid of this deep –black situation, this mean a social, political, religious, cultural and ideological revolution had to outbreak in order to have the human transferred from the bad retarded situation into another situation.

This is what had actually happened during the European rebirth age, so, the religious reformation had occurred on the hands of Martin Luther and Carven and the social revolution had occurred through the humanitarian movement and the economical revolution occurred on the hands of Adam Smith and the other revolutions which had stormed the European community.

The dissertation had tried to show the effect of the Arabic culture in the European rebirth, whereas the Arab scholars during the Islamic Age had played a great and significant role in building up the international scientific rebirth and had presented Europe with it's rebirth supplies and power.

After the European rebirth had occurred in all it's economical, scientific, industrial, social, culture and even political forms, so, the movement signs of transferring this revolution into our Arabic World had occurred who was under the oppression of the Western colonialism, and this is what the dissertation is trying to explain it in detail through it's chapters.

The significance of this dissertation comes from the following :

- 1- The dissertation tries to highlight the Islamic Arabic role and it's influence on the rebirth of Europe when the Islam world was living in the golden age in the different

scientific , cultural and social fields, then the reverse influence when the Islamic Arabic civilization torch had failed and the European rebirth had come out, and how the influence of this rebirth on the Arab world.

- 2- The significance also comes , when the dissertation trying to highlight not only on one aspect of the European rebirth influence but it highlights on the different aspects of the ideological, scientific , economic, social and even the political aspects.
- 3- The significance comes also, that the researcher want to add to the academic research a scientific research free of favoritism ,bias and partiality to highlight on the role played by the Islamic religion ideologies first then the Christianity in developing the modern European and Arab worlds.

جامعة سانت كليمنتس العالمية

الدراسات العليا

تأثيرات الديانة الكاثوليكية والبروتستانتية خلال القرن السادس عشر والسابع عشر في العالم العربي

اطروحة تقدمت بها

نغم محمد علي جواد

الى مجلس جامعة سانت كليمنتس العالمية وهي جزء من متطلبات الحصول على
درجة الدكتوراه في تخصص (تاريخ الحديث والمعاصر)

بإشراف الاستاذ المساعد الدكتور

نزار كريم جواد الربيعي

2013م

بغداد

1434 هـ

ترجع صلة العرب بصقلية إلى عهد معاوية بن أبي سفيان، فقد أرسل إليها سمييه معاوية بن خديج الكندي، فكان أول عربي غزاها، ثم لم تزل تعزي حتى فتحها الأغالبة، وكان معاوية بن أبي سفيان، كما قال البلاذري، يغزو براً وبحراً، وهو أول من أسس أسطولاً إسلامياً، ووجه إلى صقلية أيضاً عبد الله بن قيس بن مخلد الدزقي فأصاب منها أصنام ذهب وفضة مكللة بالجواهر، وجه بها معاوية إلى البصرة ثم إلى الهند لتباع هناك، وأغزى جنادة بن أمية الأزدي أيضاً جزيرة رودس ففتحها، وأقام المسلمون بها سبع سنين في حصن اتخذوه لهم. وقد استرد يزيد بن معاوية جيش المسلمين وعادت الجزيرة الكبرى صقلية وما حولها إلى الحكومة البيزنطية. وكان من حسنات معاوية أنه أقام في الجزر التي فتحها جاليات إسلامية، وبنى فيها مساجد، وترك مقرئين يعلمون ويقرئون القرآن، هذا مع أن فتوحه كانت جزئية.

وتوقفت غزوات المسلمين البحرية بعد معاوية، وشغلت الدولة بحروب داخلية مدة كبيرة، ولما هدأت الأحوال بها لم يكن غزوها البحري نشيطاً، وكانت نهاية موسى بن نصير نهاية له وللإسلام وللدولة الإسلامية، ولكن البحريين من المسلمين في الشرق وفي إسبانيا ناوشوا جزر البحر الأبيض وشواطئ أوروبا، ولم تأت أعمالهم بفتوح ذات قيمة تاريخية ولكنهم لفتوا أنظار هذه البلاد إلى قوة العرب.⁽¹⁾

أما فتح صقلية؛ فكان قد مضى على صقلية ثلاث قرون وهي تحت حكم الدولة البيزنطية، وكانت سنين عجافاً سادها الفقر الفكري، وترتب على سيادة الجهل وجمود الأذهان: تفرق بين السكان، فكان كبار الملاك والتجار يتبادلون المكاييد وينشطون في دس الدسائس وبت أسباب العداء، وكان من بين هؤلاء الكبار في المال والصغار في النفس رجل يدى إيو فيموس (Euphemius) وكان مغيظاً من حاكم الجزيرة، فرأى الانتقام منه أن يستعين بالأمير الأغلبى الثالث، وهو زيادة الله، في غزو الجزيرة والقضاء على الحكم البيزنطي كله. وتردد الأمير

¹ مقال بعنوان "معرض لإحياء ذكرى خروج العرب والمسلمي من غرناطة". صحيفة "الشرق الأوسط" - العدد 11040،

الأغلبى في بادئ الأمر في غزو بلد مهادن له، وكان على رأسه القاضيان المسنان: ابن الفرات وأبو محرز. وكان ابن الفرات متحمساً لهذا الغزو مستندلاً بالآية القرآنية: (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالِكُمْ).

وكان ابن الفرات فقهياً مالكياً طالبت رحلته وتنقلاته في الشرق، وتلقى الفقه المالكي والحنفي، وجعل من مدونتي مالك وابن القاسم وآرائه الخاصة مدونة فقهية باسمه، وكان أيضاً محارباً شجاعاً، ورأى زيادة الله أن يجعله على رأس هذه الحملة، ويظهر أن إخلاصه في الجهاد أضاف على الجيش كله روح التضحية وحب الاستشهاد. ووصل الجمع إلى ميناء مزارا التي في جنوب الجزيرة، فألقى ابن الفرات فيهم خطبة لم تشر إلى شيء من الحرب والغنائم كما فعل طارق بن زياد عندما نزل جيشه بأرض الأندلس⁽²⁾، بل حثهم فقط على التقوى وتحصيل العلوم.

استهل خطبته بالشهادة، وأقسم لجيشه أنه ما كان من آباءه من ولي جيشاً، ثم قال: (فأجهدوا أنفسكم، وأتبعوا أبدانكم في طلب العلم وتدوينه، وكاثروا عليه واصبروا على شدته، فإنكم تتألون به خيري الدنيا والآخرة...) والخطبة بوج عام توحى بالزهد، وتؤذن بأن الدنيا تخضع لذوي العلم والدين.⁽³⁾ لم يكن فتح هذه الجزيرة هيناً ولا سريعاً، مع أن الحملة كان بها سبعون سفينة عليها عشرة آلاف مقاتل، وسبعمئة فرس، ولكنها اعتمدت على الحصار، وشقت طريقاً إلى باليرمو Palermo، فاتخذها عاصمة، وهي في مستعمرة فينيقية، فجعلوها قاعدة حربية توجه منها الحملات، وأخذت الجزيرة تسقط تدريجياً في أيديهم، ولم يتم فتحها نهائياً إلا في العهد الفاطمي.

² . أنظر: محمود شاكر: مقال بعنوان "المنطلق الأساسي في التاريخ الإسلامي"، خطبة طارق بن زياد، الفسطاط: المجلة

التاريخية، متاح بتاريخ 8 كانون الثاني، 2009، على الرابط: (http://www.fustat.com/i_hist/muntalaq.shtml).

³ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط- القاهرة: دار المعارف، 1965، ص115 .

صارت صقلية بعد فتحها إمارة أغلبية، يتولى أمرها وال من قبلهم، وكان الأغلبية في نزاع ومناوشات مستمرة مع الدولة الفاطمية⁽⁴⁾ التي نشأت بالمغرب، وتريد الزحف نحو الشرق، وكان هناك أقوى بين المذهبين السني والشيعي، وكان ذلك ينعكس على جزيرة صقلية، وكان بين سكانها نزاع بين العرب والبربر من قبل.⁽⁵⁾

ونوجز القول فنقول: إن الفاطميين تغلبوا على بني الأغلّب في إفريقية، وحلوا محلهم في مستهل القرن الحادي عشر الميلادي، ثم انتزعوا منهم صقلية، وهي على انقسامها وتفرقها، فاضطروا إلى أعمال الشدة، فشهدت الجزيرة أياماً قاسية سوداً، حتى عين الخليفة المنصور الفاطمي الحسن بن علي بن أبي الحسن والياً عليها، فبدأ عهداً جديداً عرف بعهد الكلبيين، والذي امتد قرناً من الزمان، كانت الدولة فيه كلبية فعلاً وإن تنقطع عن الفاطميين، ولم يدم هذا العهد طويلاً، ولسنا بسبيل الأسباب التفصيلية لسقوط الكلبيين، غير أن نهاية عهدهم كانت بداية فوضى واضطراب، وتقسمت الجزيرة إلى دويلات وأشتات قبائل وأحزاب، وعادوا جميعاً بعد الإسلام كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعضهم. وكان رؤوسهم رجل يدعى ابن الثمنه ففعل فعلة أبو فيميوس وطلب تدخل النورمانديين، فوجدوا الجزيرة فريسة سهلة، فاستولوا عليها وضموها إلى جنوب إيطاليا، وبذا انتهى العهد الإسلامي في هذه الجزيرة بعد قرنين ونصف قرن أو ما يزيد عن ذلك ببضعة عشر عاماً.

وكان موقف المسلمين في صقلية كموقف المسلمين في إسبانيا، إذ ترقبوا ندة من الدول الإسلامية، وعلى الأخص بني زيري الذين خلفوا الفاطميين على غرب إفريقية، ولكن لم يمد أحد لهم يد المساعدة، فاضطروا إلى التسليم والاستلام⁽⁶⁾. أما بالنسبة لأثر الفتح الإسلامي لصقلية

⁴ . أنظر: عبد الرحمن الكيلاني، مقال بعنوان "المحة تاريخية عن الدولة العبيدية"، الفسطاط: المجلة التاريخية، متاح بتاريخ

8يناير2009، على الرابط: (http://www.fustat.com/i_hist/ubaidiyah.shtml)

⁵ . جيفري برون، تاريخ أوروبا الحديث/ ترجمة علي المرزوقي. -الطبعة الأولى.- عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2006.

⁶ . محمد حرب، الحملات الحربية في عهد سليمان القانوني - مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - العدد 33-ص56 . - المدينة المنورة (1982-1983).

فقد دخل النورمانديون صقلية فأدهشهم ما نقلها المسلمون إليه من رقي وحضارة. لقد بذلوا جهداً في ترفيتها في كل جوانب الحياة حتى بدا الفرق بينها وبين الدول التابعة لبيزنطة بعيداً جداً، شيدوا مبانٍ عظيمة، ونشطوا وسائل التجارة، وعملوا على استصلاح الأراضي وزرعها، وأدخلوا أنواعاً من النباتات ومن الحيوانات لم يكن للأوروبيين بها عهد ولا علم، إلى جانب ذلك كله وجدوا فنوناً راقية وأدباً عالياً، وعديداً من المساجد بها حلقات التعليم، تبدأ بتعليم الكتابة العربية والقرآن الكريم، وتنتهي بدراسات عليا في علوم كثيرة دينية وغير دينية. وهكذا تقدم ورقى كل شيء أن الفرق واسع جداً بين ما وجد العرب صقلية عليه بعد خروج البيزنطيين، وبين ما وجدها عليه النورمانديين بعد خروج المسلمين⁽⁷⁾.

كان النورمانديين على حظ من الذكاء، وقد عرفوا به من قبل، لهذا لم يفعلوا بأثار المسلمين ما فعل بها الأسبان. فهناك- وهذا بعد تنصير صقلية بزمن بطويل- أفتى القسس بأن المسلمين رجس وأثارهم نجس لا يطهره إلا إحراقه بالنار، حتى الجدران أفتوا بهدمها وإحراقها، وبهذا تأخرت حضارة إسبانيا ثمانية قرون حقاً، أما هؤلاء فرأوا الإبقاء والمحافظة على حضارة العرب، وحاكوهم واستفادوا من كل ما تركوا إلا الدين الإسلامي، فقد كانت عداوة الإسلام، وعلى الأصح، كانت الصورة التي قرّت في أذهانهم عنه مما يصعب محوه، ولكن حضارة صقلية ظلت في تقدم لمدة طويلة بعد، وظلت مظاهر الحياة العربية بادية عليها، ولو تقبل النورمانديون الإسلام واتخذوه ديناً لكان عهد هذا الازدهار الحضاري أطول زمناً وأبقى⁽⁸⁾.

العهد العربي النورماندي؛ أطلق على هذا العهد اسم "العهد العربي النورماندي" ذلك لأن مظاهر الحياة العربية ظلت بادية على كل شيء فيه حتى على حياة الملوك والحكام، وحتى على كنائس النصارى ومنازلهم، وعلى نسائهم وأطفالهم، واستمر ذلك كله أكثر من قرن ونصف القرن،

⁷ . بيبر رنوفان، تاريخ العلاقات الدولية: أزمت القرن العشرين (1914-1945) // تعريب جلال يحيى - القاهرة: دار

المعارف، 1978، ص 80 .

⁸ . الأستاذ زينو، النهضة الأوروبية- متاح بتاريخ 10 مارس 2009 على الرابط:

(<http://www.madariss.fr/HG/lere/zino/h2.htm#d>)

وحقق ذلك ما قيل من أن المسلمين انتصروا في ميدان العلم والحضارة حين هزموا في ميادين الحرب والأعمال العسكرية⁽⁹⁾.

وقبل أن نوضح جوانب هذا الانتصار، نشعر بسؤال تعجبي يبدوا أمامنا يضطرنا أن نوضح إجابة أولاً: كيف حقق المسلمون ذلك كله وعهدهم كان مليئاً بالنزاع والخلافات المذهبية والعنصرية؟ وقد حكموا مدة لم تكمل ثلاثة قرون بثلاثة أنواع من الحكومات، أو على وجه الدقة بأربعة، وكانت كل حكومة تخالف الأخرى وكل واحدة لها أتباع يتعصبون لها ضد الآخرين؟

:

الأمر الأول: أن هذه الجزيرة فتحت باسم الذين الإسلامي، وأول وصاية من أول قائد كانت تدعوا إلى العلم وتحصيله، وظل حكامها المختلفون المتنازعون يعملون على التوسع في بناء المساجد وتشجيع الدعوة الإسلامية بمعناها الواسع الكبير، فلم يكن ثمة عائق للحركة العلمية واستمرار الآداب والفنون في ازدهارها، ولم يملوا الإقامة في صقلية إلا في الأيام الأخيرة، وقبيل الغزو النورماندي⁽¹⁰⁾.

والأمر الثاني: أن المسلمين دخلوا هذه الجزيرة وهم في أوج ازدهارهم ورقبهم الحضاري، وكان المشاركة قد ترجموا من علوم الأمم الأخرى، ودرسوا وابتكروا شيئاً كثيراً، فكانت البلاد

⁹ . شوقي ضيف، محاضرة بعنوان "تأثير الثقافة العربية في الثقافة الغربية الحديثة" - مؤتمر مجمع اللغة العربية: الدورة الثامنة والستين - القاهرة، اذار 2002 ص93.

¹⁰ . رولان موسنييه، تاريخ الحضارات العام/ تعريب يوسف أسعد داغر وفريد م. داغر. - الطبعة الأولى. - بيروت: منشورات عويدات، 1969. (الجزء الرابع: القرنان السادس عشر والسابع عشر: التحول الفكري العظيم الذي طرأ على البشرية طلوع الحركة العلمية الحديثة سيطرة أوروبا).

الأوروبية التي دخلها المسلمون تتلقى ثماراً ناضجة وعلومياً قد أتت أكلها في جوانب الفكر والحضارة، ولم تكن صقلية منقطعة عن الشرق، كما لم تكن إسبانيا منقطعة، بل كانت رحلات الحج وطلب العلم ولقاء العلماء مما يغذي تيارات الثقافة بها، فطل النشاط الثقافي والحضاري بها مستمراً متجدداً.

وقد أعطانا ابن حوقل الذي زرا باليرموك في عهد الكلبين صورة عما شاهده فيها من كثرة المساجد، فقال: (إنها كانت نيفاً وثلاثمائة مسجداً، وإنه عد في مساجد السنين ستة وثلاثين صفاً، في كل صف نحو مائتي شخص، وكان بمدارسها العمومية ثلاثمائة مدرس، كانوا يمتازون بالصلاح والتقوى، ومن أعظم الناس رقياً وحسن مظهر) كما ذكر: أنه كان بجوار مسجد الشيخ القفصي - الفقيه المالكي - فرأى على مقدار رمية سهم نحو عشرة مساجد يدركها بصره، وبعضها في مقابلة الآخر لا يفصلها إلا عرض الطريق، وعلم أن القوم لتباهيهم وتفاخرهم كان كل واحد يحب أن يكون له مسجد باسمه، وربما كان أخوان دورهما متلاصقة، ولكل واحد منهما مسجده الخاص به "وكثرة المساجد استلزمت كثرة وسعة التعليم مما جعل بعض الباحثين يؤكد أن صقلية الإسلامية لم يكن فيها شخص أمي لا يقرأ ولا يكتب أو يحفظ حظاً من القرآن، وهذا سر نجده من كثرة العلماء وما نقرأه من أسماء من ينتسبون إلى صقلية".(11)

النورمنديون أنصار الثقافة العربية، فقد ورث النورمانديون هذه الحضارة فلم يسعهم إلا الخضوع لها والاقتراب منها، وبرز بين الحكام أنصار الثقافة العربية "روجر الأول" فاتح الجزيرة، وأبنة "روجر الثاني" وسامها ابن خلدون في تاريخه باسم "روجر" والملك "فريدريك الثاني" ووليم الثاني".(12)

¹¹ غوستاف لوبون، روح الثورات والثورة الفرنسية، ترجمة محمد عادل زعيتو. - القاهرة: المطبعة العصرية، 1934. ص

¹² Henry H.Hart, Marco Polo: Venetian Adventurer . -University of Oklahoma Press, 1967 ,P120.

لم يكن روجر الأول مثقفاً ولكن كان ذا تسامح، ورأى أن يستفيد من المسلمين في كل شيء وحده، فكان في جيشه عدد من المسلمين يكون غالبية، وكان حوله من المسلمين فلاسفة وأطباء، وكان بلاطه بلاط ملك شرقي، وكان كثير من كبار موظفيه مسلمين. وكان روجر الثاني يلبس ملابس المسلمين، ويطرز رداءه بحروف عربية، وكانت هذه ظاهرة شائعة، ولكن خصومه وصفوه بأنه نصف وثني، يعنون نصف مسلم! وجرى حفيده وليم الثاني على نهج أسلافه، ولكن أسمى ازدهار للحضارة العربية كان أتنا حكم روجر الثاني.

كان الإدريسي، صاحب كتاب "تزهة المشتاق في اختراق الآفاق" يعيش في بلاطه ويحظي برعايته وتشجيعه، وقد سمي كتابه هذا باسم (الروجري) والإدريسي من مشهور الجغرافيين والرسامين لخرائط، ولا ينافسه أحد في هذا الميدان خلال العصور الوسطى كلها. وقد صنع لروجر كرة سماوية وخريطة للدنيا على شكل كرة، وكلاهما من الفضة.⁽¹³⁾

قام روجر الثاني ببناء كنيسة في باليرمو وزخرف سقفاً بنقوش كوفية. وكانت النساء النصرانيات يلبسن الملابس الإسلامية، وكان الصنائع العرب والزراع العرب والملاحون العرب يقومون بكل الأعمال التي تتطلبها حال الدولة، ولم يكن عجباً بعد هذا أن يفد رواد الدراسة الإستشراقية من أوروبا إلى صقلية، وأن تتبوأ هذه الجزيرة زعامة البحر الأبيض، وكل ذلك بفضل العرب فلاسفة وعلماء وعمالاً.⁽¹⁴⁾

أما فريديريك الثاني - حفيد روجر الثاني - فكان أبرز وأعجب ملوك صقلية كان وريث عرش ألمانيا من قبل أمه، ووارث الملك في صقلية من قبل أبيه وعن طريق زواجه من الأميرة إيزابيلا ولية عهد أبيها في ملك بيت المقدس - تلك المملكة التي نشأت أثناء الحروب الصليبية - صار أيضاً ملك بيت المقدس، ثم هو شأن النورمانديين جميعاً إمبراطور لإيطاليا، وكان يسمى

¹³ . عبد العزيز سليمان نوار، عبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية. - دار

النهضة العربية للطباعة والنشر، 2004، ص 95.

¹⁴ . محمد أنيس، محمد فوزي شكري، أوروبا في العصور الحديثة. - الطبعة الأولى - القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1957.

(الجزء الأول) ص 80.

إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة. وقد شارك في الحروب الصليبية بغية الحكم والسيادة، ولكن اختلاطه بالمسلمين في الشرق جعله يوليهم تقديراً واحتراماً أكثر، وجعلت العادات والمظاهر الشرقية تتأصل فيه وفي دولته.⁽¹⁵⁾

كان بعد حملته الصليبية الفاشلة على صلة بخلفاء صلاح الدين، وكان هو الملك الكامل محمد يتبادلان الهدايا، ولم تخل سيرته من غرابة، أهمها: أنه كانت يجمع بين الأعمال الجادة النافعة والأعمال اللاهية التي لا طائل وراءها غير الأبهة والتباهي. كان في بلاطه عدد من الفلاسفة وفدوا من الشرق، وكانوا ذوي لحي طويلة وملابس فضفاضة، وكان الناس يحاكونهم في زيهم وسائر مظاهر حياتهم، وكان في بيته راقصات يهوديات من الشرق، وكان له مجموعة من الحيوانات النادرة ومن الطيور، وكان كلفاً بها حتى إنه يصطحبها في تنقلاته في أوروبا وحين يرحل من صقلية إلى ألمانيا.⁽¹⁶⁾

ولكن هذا اللهو لم يخل من وجهة نظر علمية، فقد أحضر من سورية مدرّبين للصقور التي لديه، ولكنه قام بتجربة علمية إذ ذاك، وهي تغطيته أعين الصقور بغطاء محكم ليرى مدى اهتدائها بحاسة الشم، وكان يقرأ الفلسفة والرياضة والفلك، ولما صادفته مرة مسائل معضلة فيها ولم يستطع حلها، أرسلها إلى السلطان الكامل الأيوبي طالباً للحل أو معجزاً لعلمائه، ولكن بعض العلماء المصريين حلها حلاً شافياً، وأضيف هذا إلى ما أخذ الغرب عن الشرق، وطلب مرة أخرى علماء مصريين لي تجربوا تجارب على بيض النعام كي يمكن تفريخه وفقسه على حرارة الشمس، وترجمت له كتب عربية وفارسية في تدريب الصقور، وأخرج هو نفسه كتاباً عنها، كما ترجمت له كتب أرسطو عن الحيوان والنبات، وشروح ابن سينا عليها. وهكذا كان

¹⁵ The Catholic Encyclopedia: Heinrich Wallau, "Johann Gutenberg". –New York: Robert Appleton .

Company, 1910 (Vol.7), – Available in 18 Apr. 2009

(<http://www.newadvent.org/cathen/07090a.htm>).

¹⁶ شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة. – القاهرة: المكتب

المصري لتوزيع المطبوعات، 2000، ص90.

هذا الملك جاداً في لهوه، ولم يكن يبعث فيما يعمل ولا يجعل عمله لمجرد الإمتاع⁽¹⁷⁾. كان عصر هذا الإمبراطور يمثل فجر النهضة الأدبية في إيطاليا، وهي بداية النهضة الأوروبية كلها. وكنا نود من هذا الملك الحصيف بعد ما رأى من ثمار التسامح مع المسلمين ألا يحدث منه اضطهاد ينغصم وينغص سيرته، ولكنه لم يستطع التخلص من التيارات التي كانت تعاصره، ولا من سيطرة الروح الصليبية عليه.

ومهما يكن من أمر صقلية فإنها أسهمت بحظ وافر في نقل العلوم الشرقية إلى الغرب وكانت مركز ترجمة نشيطة، وبحكم موقعها وتاريخها كانت ملتقى أجناس ولغات، وسادت فيها اللغات الحية إذ ذاك الواسعة الانتشار، اليونانية واللاتينية والعربية، وكانت بها يهود مترجمون أيضاً على نحو ما كان في طليطلة. وفي صقلية ترجم المجسطي من اليونانية إلى اللاتينية مباشرة، وترجم في الأندلس من العربية. وفيها ترجم كتاب البصريات الذي كان بطليموس أخرجه في الإسكندرية، وفيها ترجمت كتب أدبية أخرى. وتوج فريدريك الثاني أعماله الجميلة بتأسيسه جامعة نابل في إيطاليا الجنوبية وأودعها مجموعة كبيرة من كتبه الخاصة، ودرست فيها مؤلفات ابن رشد، وهذا عمل له قيمته، لأن أوروبا عادت فلسفة ابن رشد مدة طويلة، وقيمة جامعة نابل أنها أول جامعة رسمية، وكانت الجامعات الأخرى إلى ما بعد ذلك العهد جامعات أهلية تابعة للأديرة والكنائس، وكانت تقوم على التبرعات والهبات، أما جامعة نابل فقد نشأت ملكية مشمولة برعاية إمبراطور عالم⁽¹⁸⁾، واستعارت منها بعض الجامعات الأخرى، وعلى

¹⁷ . كان فريدريك على حد تعبير المؤرخ البريطاني ستيفن رانسيمن "يمتلك قدراً عالياً من الفكر والثقافة الواسعة يعرف ست لغات هي الفرنسي والألمانية والإيطالية واللاتينية واليونانية والعربية، جمع أصول المعرفة في الفنون وصاحب مدرسة في فن النحت... شاعراً ودبلوماسياً... ومهندساً معمارياً". لهذا كله لم يكن غريباً أن يحظى فريدريك الثاني بلقب "محير العالم" أو "أعجوبة الدنيا" Mundi الذي أطلقه عليه معاصروه، تعبيراً عن هذه الصفات المتعددة التي اجتمعت في شخصه يراجع: أشرف صالح محمد سيد، قراءة في تاريخ وحضارة أوروبا العصور الوسطى - الطبعة الإلكترونية الأولى - بيروت: شركة الكتاب الإلكتروني العربي، 2008. ص77، (سلسلة المؤرخ الصغير؛4).

¹⁸ . عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى، القاهرة: دار الفكر العربي، 1999، ص95.

الأخص جامعة باريس ما لديها من التراجم التي أمر بها فريدريك، ومن الذين تخرجوا في هذه الجامعة توما الإكويني، وأثره معروف في نشر الفلسفة والثقافة الشرقية في أوروبا.

ويكفي صقلية، وهي جزيرة صغيرة بجانب إسبانيا الواسعة، أن تكون قد أسهمت في نقل الحضارة الشرقية إلى الغرب، وأن يكون لها نصيب غير خفي في إيقاف أوروبا العصر الوسيط من سباتها العميق، وأن تكون برزخاً في نقل جزء كبير من حضارة الشرق إلى الغرب.

هذا، وأخبار صقلية مبعثرة في مصادر كثيرة عربية، بعضها يكمل بعضاً، أو يوضح ويفصل ما أجمله الآخر⁽¹⁹⁾، وقد جمع المستشرق الصقلي ميكي أماري أخبارها مستوفاة في مجموعة أسماها "تاريخ مسلمي صقلية"، ويقوم على درس هذه الحقبة من تاريخ هذه الجزيرة الآن الأستاذ أمبرتو ريزيانو، وتنبئ كتابته وكتابة أماري عن المجهود الجبار الذي بذله كل منهما في قراءة الموسوعات العربية حتى خرجا بهذه المعلومات الدقيقة القيمة، وكل منهما أنصف المسلمين وأنصف أعمالهم النافعة، وما أخذاه على المسلمين نشاركهم أيضاً في مؤاخذتهما به، أخذاً عليهم تفرقهم وميلهم إلى الأثرة، وحبهم مصالح أنفسهم أكثر من مصالح أوطانهم، وأخذاً عليهم كما أخذ مستشرقون منصفون أنهم بعدوا بسرعة عما لهم القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أنهم بوجه عام خالفوا الإسلام الذي بنى نهضتهم وحضارتهم، فلبسوا العزة التي جاءت بسببه، وهو كلام أولى أن يقوله المسلمون⁽²⁰⁾.

يعد ابن خلدون (1342-1406) بمقدمته ومنتن تاريخه، مؤرخاً للحضارة وواضعاً لأسس ما يمكن تسميته بعلم الاجتماع البشري، إذ كان موضوعه "العمران البشري والاجتماع الإنساني،

¹⁹ . . Liana Bortolon, The Life and Times of Leonardo.- London: paul Hamlyn, 1967 P112.

²⁰ مقتبس من : مقال للدكتور عبد الجليل شلبي بعنوان "حضارة العرب في صقلية وأثرها في النهضة الأوروبية" منشورة

بمجلة الأمة، العدد 27، ربيع الأول 1403هـ، ومتاح بالفسطاط: المجلة التاريخية بتاريخ 8 يناير 2009، على الرابط:

(http://www.fustat.com/l_hist/sicily.shtml).

وبيان ما يلحقه من العوارض". وقد لخص ابن خلدون، الذي عاش حتى مشارف القرن الخامس عشر، الوجهة الإدراكية العربية عن أوروبا، منطلقاً من النظرة التخيلية العربية نحو أوروبا، التي كرسها الجغرافيون المسلمون، وقسمت المعمور من الأرض إلى سبعة أقاليم، يقع العالم العربي- الإسلامي في موقع المتوسط فيها، أي في الإقليمين الثالث والرابع، ووضع الأمم الأوروبية في الأقاليم التي تشتد فيها البرودة تدريجاً كلما أوغلنا شمالاً، من الإقليم الخامس إلى السادس إلى أن تبلغ أشدها في الإقليم السابع، وتتضاءل بالتالي الشروط الجغرافية- البيئية المساعدة على نشوء العمران والحضارة.

وفي المقابل فكلما أوغلنا جنوباً إلى الإقليم الثاني فالأول ازدادت الحرارة وتضاءلت بالتالي فرص العمران، فهو يقول: "ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين في الحر والبرد، وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما إلى الوسط، فيكون معتدلاً. فالإقليم الرابع أعدل العمران من كليهما، والذي حافظه من الثالث والخامس أقرب إلى الاعتدال، ويليهما الثاني والسادس البعيدين من الاعتدال، والأول والسابع أبعد بكثير⁽²¹⁾.

فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والأقوات، والفواكه، بل والحيوانات، وكل ما يتكون في هذا الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصصة بالاعتدال. وسكانها من البشر أعدل أجساماً وألواناً، وأخلاقاً وأدياناً، حتى النبوءات (=من النبوة) توجد في الأكثر فيها⁽²²⁾، ولم تقف على خير بعثة (نبوة) في الأقاليم الجنوبية والشمالية" أما أهل الأقاليم المتوسطة فهم "أهل المغرب والشام والحجاز واليمن والعراقيين والهند والسند والصين، وكذلك الأندلس ومن قرب منهم من الفرنجة والجلالقة والروم واليونان، ومن كان مع هؤلاء أو قريباً منهم في هذه الأقاليم المعتدلة".

²¹ . كتاب حقائق عن ألمانيا: عشرة أجزاء- متاح بتاريخ 2009/4/16 على الرابط: [http://www.tatsachen-ueben-](http://www.tatsachen-ueben-ueber-deutschland.de/ar/homel.html)

(ueber-deutschland.de/ar/homel.html)

²² . مرقس البراموسي، محاضرة بعنوان "انشقاق الكنيسة وظهور الطوائف"، دراسات صيف 2007، المحاضرة الثانية،

الإسكندرية: بطريركية الأقباط الأرثوذكسي 2007، ص 84.

فالبلاذ الأوروبية القريبة من الأقاليم المعتدلة ينشأ فيها العمران، وتتوطد معالم الحضارة، وتظهر الديانات الموحى بها، وهو بهذا ينظر إلى انتشار المسيحية في البلاد الأوروبية: الروم، اليونان، الجالقة، الفرنجة، كأحد معالم الحضارة والعمران، أما الأقاليم الموعلة شمالاً وجنوباً كالأول والثاني، والسادس والسابع "فأهلها أبعد من الاعتدال في جميع الأحوال" ولا يدينون بشريعة سماوية "إلا من قرب منهم من الاعتدال، وهو في الأقل النادر، مثل من دان بالنصرانية من أمم الصقالبة والإفرنجة والترك من الشمال، فيضع ابن خلدون انتشار المسيحية في بلاد الشمال: الصقالبة، الترك، الإفرنجة، كإحدى علائم العمران والحضارة".

واستمراراً لخط المسعودي، وصاعد الأندلسي، يتفحص ابن خلدون تاريخ الروم واليونان والإفرنجة وتطور أحوالهم، وعملية انتقال المسيحية من فلسطين، بيت المقدس إليهم، وما واجهه المسيحيون الأوائل من اضطهاد من قياصرة الروم، إلى أن انتصرت على يد قسطنطين، ثم توسع الإمبراطورية الرومانية، وانقسامات الكنيسة، ثم نهوض العرب المسلمين وتوسعهم على حساب الروم، ثم انقلاب الزمان عليهم وعودة القوة إلى بلاد الشمال الفرنجية.⁽²³⁾

فيقدم صورة تبجيلية لتاريخ اليونانيين، والروم اللاتين. أما اللطينيون فهم "أمة أشهر أمم العالم" والملوك القياصرة الروم "من أعظم ملوك العالم وأشهرهم". كانوا أولاً "على دين المجوسية ثم بعد ظهور الحواريين نشروا دين النصرانية في أرضهم". وبعد أن يتحدث عن بعث المسيح، وعن مصيره⁽²⁴⁾، وتشنت الحواريين، يقول: "وكان بطرس كبيرهم فنزل برومه در ملك القياصرة، ثم كتبوا الإنجيل الذي أنزل على عيسى صلوات الله عليه، في نسخ أربع على اختلاف رواياتهم"، ويشير إلى اختلاف هذه النسخ الأربعة وإلى "أنها ليست كلها وحياً صرفاً، بل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام عيسى عليه السلام وبكلام الحواريين، وكلها مواعظ، وقصص، والأحكام بها قليلة جداً".

²³ محمد مخزوم، مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي (عصر النهضة) الطبعة الأولى - بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة

والنشر والتوزيع، 1983. ص 63.

²⁴ Jack Wasserman, Leonardo da Vinci. - Abrams, 1975 P88.

ثم يتحدث عن مآل المسيحية في روما، واضطهاد القياصرة لها في البداية، إلى أن اعتنقها قسطنطين، ويذكرنا بالخلافات المذهبية المسيحية، وعن مجمع (نيقة)، وعن المراتب الكنسية، فيقول: "وكان صاحب هذا الدين المقيم لمراسيمه يسمونه البطريرك، وهو رئيس الملة عندهم، وخليفة المسيح فيهم" فيختلط عنده مفهوم البابوية بمركز الخلافة في الإسلام.⁽²⁵⁾

ويذكر انقسام المسيحية إلى الملكية واليعقوبية والنسطورية، وأن كل فئة اختصت ببطرك "قبطيريك روما اليوم المسمى بالبابا على رأي الملكية... واختص اسم البابا ببطريك روما لهذا العهد"، ويلفتنا إلى بروز الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وإلى أن "من مذاهب البابا عند الإفرنجة أنه يحضهم على الانقياد إلى ملك واحد يرجعون إليه في اختلافهم واجتماعهم"⁽²⁶⁾، تخرجاً من اختلاف الكلمة... ويسمونه الانيرنور (الإمبراطور)... "كما سجل ابن خلدون تنامي قوة الإفرنجة من خلال توسعهم ومحاولتهم الاستيلاء على بيت المقدس، وتراجع موقع العرب، إذ يقول: "وضعف ملك العرب فاستفحل الإفرنجة ورجعت لهم، واسترجعوا ما ملكه المسلمون يقول: "وضعف ملك العرب فاستفحل الإفرنجة ورجعت لهم، واسترجعوا ما ملكه المسلمون إلا قليلاً بسيف البحر الرومي. واستولوا على جزائر البحر كله... ثم سموا إلى ملك الشام وبيت المقدس".

ولا يتوقف ابن خلدون عند الملاحظة الخارجية لتنامي قوة (الإفرنجة)، إلا ليذكر قارئة بأن تنامي تلك القوة ل يأت بالصدفة، فإضافة إلى تراجع قوة العرب، فإن "أمم النصرانية عدة البحر الرومي أقوم الناس عليها لأنها أعرق في العمران الحضري، وأبعد عن البدو وعمرانه..."

²⁵ . محمد حرب، الحملات الحربية في عهد سليمان القانوني، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - العدد 55-ص 56 -

المدينة المنورة (1982-1983).

²⁶ أحمد ترك، الدولة العثمانية: تاريخ وإنجازات. - شبكة الدكتور رأفت عثمان، متاح بتاريخ 18 نيسان 2009 على الرابط

ويتابع القول: "إن أمم النصرانية... استكثرت فيها الصنائع واستجلبتها الأمم من عندهم". إلا أن ما يلفت هو إشارة ابن خلدون النابذة إلى بروز مظاهر النهضة الأوروبية، متمثلة بروج التفكير الفلسفي بين ظهرانيها.

فابن خلدون ينطلق من قاعدة تقول: "إن رسوخ الصنائع في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها" لأن استمرار العمران يجعله من العوائد، والتي "ترسخ بكثرة التكرار وطول الأمد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ"، بل أن هذه الأمم حتى لة تناقض عمرانها "بقيت فيه آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الأمصار"

إلا أن ما تميز به ابن خلدون عن معاصريه من المؤلفين العرب هو إشارته الواضحة إلى بروز مظاهر النهضة الأوروبية، متمثلة بروج التفكير الفلسفي بين ظهرانيها، فهو يحدثنا بعبارة قصيرة ولكنها معبرة عن نهضة الحياة الثقافية في بلاد الإفرنج، حيث يقول: "وبلغنا لهذا العهد، أن هذه العلوم الفلسفية ببلاد الإفرنج من أرض روما وما إليها من العدة الشمالية نافقة (=منتشرة) الأسواق، وأن رسومها هناك متجددة، ومجالس تعليمها متعددة، ودواوينها جامعة ومتوافرة، وطلبتها متكثرة والله أعلم بما هناك".⁽²⁷⁾

²⁷ . مقتبس من : شمس الدين الكيلاني، مقال بعنوان "لمس ابن خلدون للنهضة الأوروبية"، موقع مرافئ: خاص بالمجلس

العراقي للسلم والتضامن، صفحة دراسات في المجتمع امدي، متاح بتاريخ ديسمبر 2002، على الرابط:

<http://www.marafea.org/paper.php?source=akbar&mlf=copy&sid=17677>

الفصل الأول

النهضة الأوروبية أو ما يسمى بالرنينانس التي حصلت في أوروبا بين القرن الرابع عشر والقرن السادس عشر تحولت أوروبا بموجبها من عصر التخلف والعبودية إلى عصر الحرية والمنطق العلمي، فأوروبا قبل النهضة كانت تعيش في عصر القرون الوسطى، وهي مدة مظلمة كن كل شيء بيد الكنيسة والإنسان كان قنأ في إقطاعيات الأمراء يباع ويشتري كالحوانات لا يحق له التفكير أو الاعتراض أو التعبير عن ذاته، حيث أن الكنيسة كانت

مرتبطة بالإقطاع ولا يوجد تعليم سوى التعليم الكنائسي⁽²⁸⁾، حيث درس الأفكار الساذجة والخرافية وما تقوله الكنيسة حق مقدس يجب إتباعه، وللخلاص من هذا الواقع الحالك السواد كان يعني قيام ثورات فكرية واجتماعية وسياسية ودينية وثقافية كي يتحول الإنسان من حالة السيئة إلى المتخلفة الجامدة إلى حال آخر.⁽²⁹⁾

وهذا ما حصل فعلاً في عصر النهضة، فقد حصل الإصلاح الديني على يد مارتن لوثر وكارفن، وحصلت الثورة الاجتماعية على يد الحركة الإنسانية وحصلت الثورة الاقتصادية على يد آدم سميث في الانتقال من عصر الإقطاع إلى عصر الرأسمالية. إذن حصلت ثورات كثيرة عصفت بالمجتمع الأوروبي لمدة ثلاثة قرون وحولت هذه المجتمعات إلى مجتمعات حرة التفكير،⁽³⁰⁾ حرة الاقتصاد، وحررة الانتماء، ولكن كل هذه التطورات التي حصلت في أوروبا في عصر النهضة ارتكزت على القضاء على مفهوم واحد أو على نرتكز كان الأساس في تخلف وتأخر أوروبا، ألا وهو الخضوع المطلق التام والمقدس لكل ما تقوله الكنيسة أو يقوله البابا، فلم يكن يجرؤ احد على قول يتناقض مع ما تقوله الكنيسة، وإلا سيقتل أو يحرق، ولهذا أصبحت مهمة محاربة سيطرة الكنيسة والبابا تعد البداية الحقيقية لعصر النهضة.⁽³¹⁾

فقد كانت دانتي انتقف متقفي عصره ليس في ايطاليا فقط بل أوروبا كلها، وتجمعت في عقلية هذا المتقف معاناة وضغوط كل الأجيال الأوروبية الطامحة للتعبير، وعبر عن هذه الطموحات من خلال رواية الكوميديا الإلهية، وهي قصة مكونة من ثلاثة أجزاء يذهب فيها دانتي باحثاً عن

28 . أحمد محمد الأصبحي، مقال بعنوان تأثير الثقافة العربية وإنجازاتها على الثقافات الأخرى، صحيفة 26 سبتمبر - العدد

1167، الخميس 23 ديسمبر - كانون الأول 2004 (صحيفة يمنية، أسبوعية سياسية، عامة).

29 بكر بن محمد برناوي، مقال بعنوان "المفهوم المتحفي في العالم العربي" مجلة الثقافة العربية: مجلة شهرية - العدد (387)

نيسان 2009م، متاح بتاريخ 2009/4/25 على الرابط: (<http://www.arabicmagazine.com/Art>)

(Details.aspx?id=468)

30 .شوقي أبو خليل، هاني المبارك، دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية- الطبعة الأولى، - دمشق: دار

الفكر، 1996 ص 55.

31 . John Dillenberger, Martin Luther: Selections from His Writings, - New York: Doubleday, 1951 .

حبيبته باتريس بورتتاري التي ماتت في عمر السادسة عشرة، لذلك ألف القصة وكأنه يتخيل ذهابه إلى العالم الآخر بحثاً عنها، فينتقل من النار إلى الأعراف ثم إلى الجنة، وأثناء تجوله في النار بحثاً عنها يصادف هناك كثير من الباباوات ورجال الكنيسة، ثم ينتقل إلى الأعراف بحثاً عنها ثم يجدها أخيراً في الجنة، وتنتهي القصة بهذه النهاية السعيدة هو لقاءه بحبيبته باتريس بورتتاري، ولذلك سميت هذه القصة بالكوميديا، والكوميديا كلمة تعني الأغنية أو القصة التي تنتهي نهاية سعيدة، وليست كما هو معروف ان بأنها الضحك والتهريج، والتراجيديا هي كل قصة أو أغنية تنتهي نهاية حزينة.⁽³²⁾

وبما انه التقى بحبيبته أخيراً فكانت هي كوميديا، ولكن كلمة الإلهية أضيفت إلى القصة بعد سنوات من وفاة دانتي والذي وضعها هم طلاب ومحبو دانتي لأن القصة تجري في جو الهي مقدس ويجهر بذلك هؤلاء الناس في زمن لا يجرؤ احد أن يتلفظ بكلمة بابا، ولهذا كانت قصة دانتي هذه الشرارة الأولى التي حفزت عقول وقلوب الناس لشق عصا الطاعة والخنوع للكنيسة وحفز الناس للتفكير في آراء جديدة مغايرة لما تقوله خرافات الكنيسة والتي نضجت فيما بعد لحصول الإصلاح الديني والاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

ولكن الأوروبيين كانوا يتصورون سابقاً أن هذه القصة هي من بنات أفكار دانتي ويرفضون أي حديث على تأثر دانتي في هذه القصة بقصة الإسراء والمعراج للرسول محمد "صلى الله عليه وسلم" حتى جاء أحد المنقذين الفرنسيين والذي يدعى بلوشيه وكتب مقاله في إحدى المجالات الأدبية وضع فيها تأثر دانتي بقصة الإسراء والمعراج، وقد قامت أوروبا ولم تقعد احتجاجاً على رأي بلوشيه فصدرت الكثير من الكتب والمقالات التي تفند رأي بلوشيه، فالبعض قال أن

³² الموسوعة العربية العالمية/ رئيس التحرير أمدهي الشويخات- الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع،

الإسراء والمعراج كانت مكتوبة بالعربية ولم تترجم في زمن دانتي⁽³³⁾، ودانتي لا يعرف العربية، ولم يلتق بمسلم، فكيف تأثر بهذه لقصة!؟

ولكن في عام 1919 جاء احد المتقنين الأسبان وكتب رسالة دكتوراه في جامعة مدريد أكد فيها هذا الكاتب الذي يدعى "آسيوس بلاسيوس" أن دانتي قد تأثر بالإسراء والمعراج، حيث اثبت بلاسيوس أن دانتي كان قد تلمذ على يد أستاذ فلورنسي ايطالي كان مثقفا وكان سفيرا لفلورنسا في البلاط الاسباني، وهناك جمعا كثيراً من الكتب عن الحضارة العربية في الأندلس عندما كان العرب موجودين في الأندلس في القرن الرابع عشر. فقد ترجم كتاب ابن عربي "فتوحات مكية"⁽³⁴⁾ إلى اللغة اللاتينية والفرنسية، وفي هذا الكتاب فصل خاص عن الإسراء والمعراج، فعندما عاد السفير الفلورنسي إلى فلورنسا حمل معه الترجمة اللاتينية والايطالية لهذا الكتاب، وكان دانتي قد قرأ كل كتب أستاذه الفلورنسي التي جلبها من الأندلس⁽³⁵⁾.

33 . جورج هارب، الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي/ تغريب عبد العزيز طريح. - الإسكندرية: مؤسسة الثقافية الجامعية، 1993 ص 97.

34 . يعتبر هذا الكتاب من أهم نصوص التصوف الإسلامي، كما يعد مؤلفه الشيخ محي الدين ابن العربي (توفي سنة 638هـ) من أكبر شخصياته، بل يمكن عده من أكبر شخصيات التوف بصفة عامة، بدأ ابن العربي تأليف الكتاب لأول مرة بمكة وهو يحج سنة 598هـ، وأكمله بدمشق سنة 629هـ، ثم أعاد كتابته مرة أخرى في الفترة بين سنة 632هـ إلى 636هـ، مضيفا تارة، ومختصرا أخرى، ومحिला ثلاثة على النسخة الأولى.

يحتوي الكتاب على أكثر من 4000 صفحة قال فيها الشيخ كنت نويت الحج والعمرة فلما وصلت أم القرى أقام الله في خاطري أن أعرف الولي بفنون من المعارف حصلتها في غيبتي وكان الأغلب هذه منها ما فتح الله على ثم طوافي بيته المكرم وقال في الباب الثامن والأربعين واعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار ولا عن نظر المذوق وانما الحق الله يملئ لنا على لسان ملك الألهام جميع مانسطره وقد نذكر كلاما بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده وذلك شبيهه بقوله الله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى بين آيات طلاق ونكاح وعدة ووفاة وقال وأعلم أن جميع ما أتكلم فيه في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه فأني أعطيت مفاتيح الفهم فيه والإمداد منه، وفي أوله مقدمة في فهرسة ذكر فيه خمسمائة وستين بابا والباب التاسع والخمسون وخمسمائة منه باب عظيم جمع فيه أسرار الفتوحات كلها وجد بخطه في آخر الفتوحات من هذا الباب في شهر بنو سنة تسع وعشرين وستمائة. أنظر: موقع كتاب "الفتوحات المكية" على الرابط:

<http://www.onetradition.org/Home.aspx>

35 . مقتبس من مقال للدكتور علي النشمي منشور بجريدة الصباح، أنظر:

وخلاصة القول في أثر الثقافة العربية في النهضة الأوروبية أن؛ العلماء العرب في العصر الإسلامي قاموا بدورهم في بناء النهضة العلمية العالمية، وقدموا لأوروبا زاد نهضتها، وكانوا كما قال البنديت جواهر لال نهرو في كتابه "لمحات من تاريخ العالم": "كانوا بحق آباء العلم الحديث، وأن بغداد تفوقت على كل العواصم الأوروبية- عدا قرطبة- عاصمة أسبانيا العربية، وأنه كان لا بد من وجود: ابن الهيثم، وابن سينا، والخوارزمي، والبيروني، لكي يظهر: جاليليو، وكبلر، وكوبرينق، ونيوتن"⁽³⁶⁾

- -

النهضة بمفهومها الخاص هي حركة إحياء التراث القديم، أما بمعناها الواسع فهي عبارة عن ذلك التطور القديم في كل من الفنون والآداب والعلوم، وطرق التعبير، والدراسات وما صاحب ذلك من تغير في أسس الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية، عصر النهضة مصطلح يطلق على فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة وهي القرون 14-16 ويؤرخ لها بسقوط القسطنطينية عام 1453م حيث نزح العلماء إلى إيطاليا حاملين معهم تراث الإغريق والرومان. كما يدل مصطلح عصر النهضة على التيارات الثقافية والفكرية التي بدأت في البلاد الإيطالية في القرن الرابع عشر، حيث بلغت أوج ازدهارها في القرنين الخامس

علي النشمي، مقال بعنوان "أثر الإسراء والمعراج في النهضة الأوروبية"، جريدة الصباح: يومية- سياسية- عامة، (تصدر عن شبكة الأعلام العراقي) متاح بتاريخ 20 أبريل 2009، على الرابط:

<http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=3175>

³⁶. أحمد علي الملا، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية - الطبعة الثانية- مشق: دار الفكر، 1981. ص115-

.116

وعن تاريخ العلوم عند العرب منذ بدء النهضة العلمية في أواخر القرن الثاني للهجرة حتى أواخر القرن الثامن للهجرة، وفي رحلة عبر العصور عن الشخصيات المشهورة، التي قام على جهودها الصرح العلمي الشامخ، الذي أضاعت أنواره العتمة التي كانت تغطي الأذهان في حقول الطب والصيدلية والكيمياء والفيزياء والحيل والموسيقى والرياضيات والفلك والاجتماع، وغير ذلك مما كان لعلماء العرب فيه دور الريادة. يراجع: موقع علماء العرب والمسلمين، على الرابط:

<http://muslimscience.8m.com/main.htm>

عشر والسادس عشر، ومن إيطاليا انتشرت النهضة إلى فرنسا وإسبانيا وألمانيا وهولندا وانجلترا وإلى سائر أوروبا.⁽³⁷⁾ كانت من أولى مظاهر النهضة بعث الدراسات الإغريقية واللاتينية، وإنشاء مؤسسات علمية مثل الأكاديميات والمكتبات ترعى هذه الدراسات، والاهتمام بدراسة علم الآثار والتاريخ، ثم النهوض من الفنون الجميلة من نحت وتصوير وغيرهما، وظهور مخترعات جديدة لتكون في خدمة الإنسان وكان على رأسها الطباعة، وقد ساعدت على دعم الدراسات الإغريقية واللاتينية ونشرها، واستكشاف البارود وما نجم عنه من ثورة في النظم الحربية، والاهتمام إلى عدة آلات نافعة مثل الإسطرلاب والبوصلة أو الإبرة المغناطيسية⁽³⁸⁾ والدقة المتحركة وغيرها من أدوات كان لها الفضل الأكبر في توسيع نطاق الملاحة وتسهيل سبل البعث الكشافية الجغرافية، ونشأة اللغات القومية الحديثة في كثير من دول أوروبا مثل اللغة الإيطالية واللغة الفرنسية واللغة الإسبانية، وانتشار المؤلفات بهذه اللغات. ومن مظاهر النهضة أيضاً التغيرات العميقة التي حدثت في المجتمع الأوربي وبخاصة المجتمع الإيطالي من تقديس الجمال والتمتع بملذات الحياة والارتفاع بمركز المرأة والانغماس في حياة المجنون والفسق. كما كان من أهم مظاهر النهضة حركة الكشوف الجغرافية وما أسفرت عنه من كشف العالم الجديد وأصقاع أخرى من العالم وتنظيم طرق ملاحية جديدة عبر المحيطات والبحار.⁽³⁹⁾

- - :

مظاهر النهضة الأوربية- مظاهر النهضة الإيطالية: (فن التصوير- فن النحت- فن العمارة)- أسلوب النهضة الإيطالية في فلورنسا- مظاهر النهضة في فرنسا: توقف النمو الثقافي في فرنسا- الاتصال بين فرنسا وإيطاليا- الدراسات الكلاسيكية وانتشارها. مظاهر النهضة في

³⁷ . روبرت بالمر، تاريخ العالم الحديث/ الجزء الأول: ترجمة محمود أمين؛ الجزء الثاني: ترجمة حسن علي دنون- بغداد:

مكتبة دار المتنبّي، 1964. ص 67

³⁸ . الموسوعة الثقافية/ مدير التحرير فائزة حكيم رزق الله- القاهرة: دار الشعب، (بدون تاريخ). ص 25

³⁹ . الموسوعة العربية المسيرة/ إشراف محمد شفيق غربال.- القاهرة: الدار القومية للنشر، 1959. ص 58

إنجلترا- نتائج النهضة الأوروبية: أثر النهضة في الأوضاع السياسية في أوروبا- تحطيم الحواجز الطائفية- ظهور نظريات سياسية جديدة- نتائج أخرى للنهضة- تراث عصر النهضة.⁽⁴⁰⁾

إن النهضة الأوروبية بدأت أولاً في شبه الجزيرة الإيطالية فلذلك كانت إيطاليا أسبق الدول الأوروبية في النهضة التي تمثلت في عدة مظاهر هي: إحياء الدراسات القديمة والتي يطلق عليها الحركة الإنسانية L'Humanisme (جمع المخطوطات الإغريقية واللاتينية)، وظهور اللغات الأوروبية الحديثة،⁽⁴¹⁾ ودراسة علم الآثار والتاريخ، وإنشاء الأكاديميات والمكتبات، ثم النهوض بالفنون الجميلة من نحت وتصوير وعمارة، وأيضاً ظهرت مخترعات حديثة مثل الطباعة واستكشاف البارود. وكان من خصائص هذه النهضة أنها لم تنتقل إلى البلاد الأوروبية إلا بعد أن اكتملت، ثم تسربت لسائر البلاد في غرب أوروبا.

يطلق على هذه الحركة الفكرية اسم الدراسات الإنسانية أو الحركة الإنسانية وهي تشكل عنصرين أساسيين هما: الدراسات الإغريقية والدراسات اللاتينية، ولم تكن هذه الدراسات حركة شعبية⁽⁴²⁾ كما أنها لم تنبثق من داخل الجامعات، بل ظهرت خارجها. وكان هذا الوضع أمراً طبيعياً لأن الجامعات كانت توجه معظم اهتمامها إلى دراسة العلوم العملية وبخاصة الطب والقانون. وقد ظلت الجامعات حقبة طويلة معادية للدراسات الإنسانية، واعتمدت هذه الدراسات على التشجيع المادي والأدبي الذي أضفاه حكام المدن الإيطالية على المشتغلين بها.

⁴⁰ . Robert Green Ingersoll, "Spain And Spaniard". Available in 20 March 2009,P81: .

(http://www.infidels.org/library/historical/robert_ingersoll/spain_and_spaniard.html)

⁴¹ . نبيل عبد الحميد، محاضرات في تاريخ إنجلترا الحديث والمعاصر، دمياط: كلية آداب دمياط، (منشورة بالموسوعة الحرة،

ويكيبيديا <http://ar.wikipedia.org>)

⁴² ويل ديورانت، قصة الحضارة: ماجلان وكشف الأرض. ستماع بتاريخ 24 أبريل 2009 على الرابط:

(<http://islamport.com/w/amm/Web/2482/10096.htm>)

وقد استهوت الدراسات الإغريقية واللاتينية أفئدة الكثيرين من الأوربيين في ذلك الوقت واعتقدوا أنها أروع وأرقى وأجمل ما يمكن أن تتجه عقول البشر، وأن الفرد لا يمكن أن يتبوأ مكاناً علياً في المجتمع ما لم يكن على حظ موفور من هذه الدراسات. ولعل هذا الاهتمام العميق بإحياء الدراسات الإغريقية واللاتينية هو السبب الذي جعل فريقاً من الباحثين يطلقون خطأً على النهضة اسم حركة "إحياء العلوم" والواقع أن حركة إحياء العلوم لم تكن إلا مظهراً من مظاهر النهضة الأوربية.⁽⁴³⁾

قامت هذه الحركة على دراسة المخطوطات القديمة، وكانت الكاتدرائيات والكنائس والأديرة تزرخ بعدد وافر من هذه المخطوطات، وكانت على نوعين: المخطوطات الإغريقية والمخطوطات اللاتينية. وقد نشط البحث أولاً عن المخطوطات اللاتينية في شبة الجزيرة الإيطالية وفي سويسرا والولايات الألمانية وغيرها من بقاه أوربا. وقامت الأسرات الحاكمة في المدن الإيطالية بتمويل عمليات البحث عن المخطوطات وشرائها حتى أصبحت هذه الظاهرة سمة بارزة مشتركة بين حكومات المدن الإيطالية انقلبت إلى منافسة حادة بينهما⁽⁴⁴⁾.

أما المخطوطات الإغريقية فقد اتجهت الأنظار بشأنها إلى القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، ونشأت تجارة واسعة نشطة للمخطوطات، وكانت القسطنطينية قبل سقوطها في يد الأتراك العثمانيين مركز هذه التجارة، وكان يقصدها عملاء من حكومات الدن الإيطالية يقتنون المخطوطات الإغريقية أو دارسون من قبل هذه الحكومات يدرسون اللغة الإغريقية في القسطنطينية ويجمعون أثناء دراستهم عدداً وافراً من المخطوطات، وعن طريق العملاء

⁴³ . جيمس وستفال تومسون وآخرون، حضارة عصر النهضة/ ترجمة عبد الرحمن زكي. - القاهرة: دار النهضة العربية،

⁴⁴ . نور الدين حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوربية، بيروت: دار الفكر الحديث، 1968،

والدارسين معاً انتقلت مجموعات ضخمة من المخطوطات الإغريقية إلى مدن شبه الجزيرة الإيطالية.⁽⁴⁵⁾

وتأسيساً على هذه الوقائع الثابتة تاريخياً يتضح خطأ الرأي الشائع بين جمهرة كبيرة من الباحثين وهو أن فتح الأتراك العثمانيين للقسطنطينية 1453 أدى إلى ظهور حركة إحياء الدراسات الإغريقية في شبه الجزيرة الإيطالية بسبب هجرة عدد ضخم من العلماء البيزنطيين من وجه الأتراك العثمانيين والتجائهم إلى إيطاليا حيث استقر بهم المقام وباشروا نشاطاً علمياً واسعاً. والحق أن هذه الحركة- إحياء الدراسات الإغريقية- قد ظهرت في إيطاليا قبل سقوط القسطنطينية بخمسين سنة على الأقل، حيث جذبت طلائع الحركة الفكرية عدداً كبيراً من العلماء البيزنطيين في مطلع القرن الخامس عشر إلى إيطاليا⁽⁴⁶⁾ حيث طاب لهم المقام في مدنها لما كان يغمرهم به حكام هذه المدن من رعاية أدبية ومادية. وعلى ذلك فإن سقوط القسطنطينية في يد الأتراك العثمانيين لم يكن السبب الرئيسي في ظهور حركة إحياء الدراسات الإغريقية في شبه الجزيرة الإيطالية، بل يمكن القول أن هذا الحادث الحربي لم يكن سوى عامل ساعد على ازدهار هذه الحركة⁽⁴⁷⁾.

ومن الحقائق الثابتة أيضاً أنه حدث قبل سقوط القسطنطينية تقارب فكري بين الدولة البيزنطية وبين المدن الإيطالية التي اشتهر حكامها بتشجيع العلوم والفنون والآداب. وتم تبادل الزيارات العلمية بين الجانبين فقام عدد من الدارسين الإيطاليين بزيارة القسطنطينية للتخصص في دراسة

⁴⁵ . يسري عبد الرزاق الجوهري، الكشوف الجغرافية: دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور التفكير الجغرافي - القاهرة: دار المعارف 1965. ص14

⁴⁶ . خالد أبو بكر، مقال بعنوان "اكتشاف أمريكا.. مراحل ورجال وآثار". إسلام أون لاين- متاح بتاريخ 20 أبريل 2009 ص. 29 على الرابط:

<http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/03/article07.SHTML>

⁴⁷ . جاد طه، محاضرات في تاريخ أوروبا الحديث- الطبعة الأولى- القاهرة: كلية الآداب- جامعة عين شمس، 1997. ص17-18، (غير منشور).

اللغة الإغريقية على يد كبار أساتذتها، وكانت العاصمة البيزنطية معقل الدراسات الإغريقية ذات المستوى الرفيع.⁽⁴⁸⁾

وفي نفس الوقت الذي بذلت فيه الجهود لإحياء الدراسات الإغريقية، كانت حركة إحياء الدراسات اللاتينية تسير هي الأخرى قدماً نحو الازدهار، وكان وراءها عامل هام يدفع بها خطوات واسعة ويميزها عن الدراسات الإغريقية، فقد كان الإيطاليون ينظرون إلى اللغة اللاتينية على أنها لغة الحضارة الرومانية، بها سطرت صفحات المجد والخلود، ولما كانوا يعتبرون أنفسهم حفدة الرومان وورثة حضاراتهم، فقد جاشت في نفوسهم عاطفة وطنية تشابكت وتداخلت مع رغبتهم في الإقبال على الدراسات اللاتينية.

كان من وراء هذه الدراسات عالم إيطالي هو بترارك (1304-1347) Petrarque انصرف إلى دراسة اللغة اللاتينية حتى سيطر عليها سيطرة تامة وأجاد الكتابة هبا على نمط الأسلوب اللاتيني القديم، وقد توفر على جمع المخطوطات اللاتينية والنقوش ثم عمل جاهداً على نشر الدراسات الإنسانية وتشجيعها وتنشيطها حتى أطلق عليه "والد الإنسانية" ونجح في تكوين مدرسة فكرية تنتمي إليه وتكون من متقنين متحمسين للدراسات الإنسانية⁽⁴⁹⁾.

⁴⁸ . بيير رنوفان، تاريخ العلاقات الدولية: أزمت القرن العشرين (1914-1945)/ تعريب جلال يحيى. - القاهرة: دار

المعارف، 1980 ص 59.

⁴⁹ . لمزيد من التفاصيل عن فرانسيسكو بترارك راجع:

Bernard Guillemain, Les papes d'Avignon (1309-1376), Ed. du Cerf, Paris, 2000, in Les papes et la culture, p115

Pierre de Nolhac, Petrarque et l'humanism, available in 15 April 2009 P23:

<http://jhir.libeary.jhu.edu/handle/1774.2/181>

كانت الطباعة خير معين للدراسات الإنسانية على الذبوع والانتشار، فهي أهم اختراع ظهر في عصر النهضة، وإذا كان جوهانس جوتنبرج (1395-1468)⁽⁵⁰⁾ قد أدخل على الطباعة تحسينات كثيرة قفزت بها إلى الأمام خطوات واسعة، فسرعان ما تلقفها الإيطاليون وأدخلوها بحروف معدنية إلى بلادهم سنة 1465، وكانوا في هذا المضمار أسبق من الفرنسيين الذين جاءوا بها إلى باريس سنة 1470 ومن الإنجليز سنة 1577 وأهل السويد عام 1483 والأسبان عام 1499.⁽⁵¹⁾

وفي عصر النهضة كشف الورق وكان النجاح في صنعه هو الذي مكن الطباعة من أداء رسالتها. وثمة ملاحظة هامة؛ أن صاحب المطبعة كان يجمع بين إمامه التام بفن الطباعة وبين

⁵⁰ . ولد جوتنبرج في ماينتس بألمانيا، وكان واحداً من أفراد عائلة جنسفلخ الأرسقراطية. وقد استخدم اسم أسرة أمه. ولربما يكون قد تعلم المهارات الأساسية في الأشغال المعدنية من عم له كان معلماً في دار سك العملة. وكانت ماينتس، في ذلك الوقت مركزاً للصياغ وتجار المجوهرات. وبما أنه كان أرسقراطياً، فإن جوتنبرج لم يقض فترة تدريب منتظمة. وبسبب انشغال أسرته في النزاعات السياسية المحلية، فإن جوتنبرج قضى عدداً من السنوات في المنفى في ستراسبورج واستمر في تجاربه هناك لتطوير فكرته الثورية حول القالب الصناعي، وأصبح القالب واحداً من الآلات الدقيقة الأولى، وكان من الممكن صف الحروف في تشكيل من السطور المتساوية، وبعد ذلك يمكن قفل بعضها ببعض بإحكام تحت ضغط أداة تثبيت الأحرف المنضدة ضمن طوقها الحديدي، بغرض تكوين وحدة طباعية. ويمكن وضع عدد من الصفحات المحتوية على آلاف من قطع الحروف على المطبعة ورفعها منها. وبعد الطباعة يمكن فرز الحروف، واستخدامها مرة أخرى لتنفيذ صفحات أخرى واستخدام جوتنبرج الحبر لمطبعته من مواد كانت معروفة عند الرسامين الفلمنكيين الأوائل.

وقبل زمن جوتنبرج بوقت طويل كان الصينيون والكوريون يطبعون النص والصور المحفورة على كتل خشبية، ولقد اخترعوا حتى النوع المتحرك المصنوع من الخزف الصيني والمعدن، ولكن لغتهم كانت معقدة وكانت تحتاج لأشكال مختلفة متعددة لدرجة أنهم لم يتمكنوا من الاستفادة العملية من الطريقة، وظلت الفكرة مفقودة إلى أن طبقها جوتنبرج بنجاح على الحروف الهجائية، وكما آخرون يكافحون لحل المشكلة وكان واحد منهم على الأقل وهو عامل طباعة هولندي، قد قطع شوطاً على طريق التوصل إلى الطباعة الناجحة لكن جوتنبرج وزميلة جوهانس فست وبيتر شوفر حسنها، ويوضح كتابهم المقدس ذو الاثنتين والأربعين سطرًا المعرف بكتاب مزرين المقدس وكتاب جوتنبرج المقدس أن رواد الطباعة هؤلاء أتقنوا كل التفاصيل الفنية أنظر:

Wallau, Heinrich. "Johann Gutenberg" The Catholic Encyclopedia. Vol. 7. New York: Robert

Appleton Company, 1910. 18Apr. 2009

(<http://www.newadvent.org/cathen/07090a.htm>)

⁵¹ . ج.ج. كولستون، عالم العصور الوسطى/ ترجمة جوزيف نسيم- الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1983. ص47

العلم الغزير والثقافة الواسعة، وكان إخراج الكتب جميلاً ومتقناً ورائعاً وكما يقول هربرت فيشر "استطاع السيد البندقي وهو ينساب بجندوله في القناة الكبرى أن يتمتع بهوميروس في مجلد صغير أوضح ما يكون طباعة".

كانت اللغة اللاتينية هي لغة العلم والكتابة في العصور الوسطى دون بها العلماء ثمرات قرائحهم، ثم تضاعف استخدامها حتى أصبحت مقصورة على رجال الكنيسة، فقد عمد بعض الكتاب والأدباء المتحررين من قيود العصور الوسطى إلى الكتابة بلغة شعوبهم، فنشأت في شبه الجزيرة الإيطالية وفرنسا وأسبانيا لهجات مستقلة تعتمد على الأصل اللاتيني. وظهرت في شمال أوروبا لهجات أخرى ترجع إلى أصل تيو-tonي (سكان جرمانيا الشمالية)، وعمد علماء كل لغة إلى نحت كلمات وعبارات جديدة والارتقاء بمستواها حتى أصبحت هذه اللغات الوليدة صالحة لتدوين العلوم والآداب بها، وأصبح الاهتمام بهذه اللغات القومية مظهراً من مظاهر النزعة القومية وعاملاً هاماً على نشر الأفكار الجديدة التي أتت بها النهضة.⁽⁵²⁾

شهد عصر النهضة اهتماماً كبيراً بالمحافظة على الآثار الرومانية وتقديراً عميقاً لقيمتها الفنية، وكان كثير من هذه الآثار قد تعرض للتلف والضياع بسبب عبث النبلاء وغيرهم من طبقات الشعب بها في العصور الوسطى، إذ كانوا ينزعون الرخاء والأعمدة وغير ذلك من بعض الآثار، واستعملوا بعض المخلفات الرومانية كأنها ملك خاص لهم.

فلما جاء عصر النهضة أفاق الناس للقيمة الفنية الرائعة لهذه الآثار واعتبروها صفحة مجد وفخار، وأنطلق العلماء ينقبون عن الآثار وبدأت دراسة علمية منظمة للآثار الرومانية تجلت

⁵² أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، جدة. - دار البيان العربي (بدون تاريخ)

في ظهور عدد من المؤلفات والموسوعات تناولت تاريخ الآثار الرومانية وتخطيط روما القديمة وعادات الرومان القدماء.⁽⁵³⁾

ظفر علم التاريخ بعناية فائقة من رجال النهضة في شبه الجزيرة الإيطالية، وبدأت الدراسات التاريخية تستقى مادتها العلمية من مصادر لا يرقى إليها الشك بعد أن كان المؤرخون يعتمدون على السماع أو أقوال الرواة، وتطورت مناهج البحث التاريخي وظهرت مدرسة جديدة في النقد التاريخي كان من أهم مظاهرها البحث التاريخي وظهرت مدرسة جديدة في النقد التاريخي كان من أهم مظاهرها البحث الذي وضعه أحد الإيطاليين، وهو لوزنزو فاللا عن هبة قسطنطين Donation de Constantin وهي وثيقة استند إليها الباباوات في العصور الوسطى في صراعهم مع الأباطرة حول حقهم في السلطة الزمنية⁽⁵⁴⁾.

⁵³. أيمن أبو الروس، الكشوف الجغرافية: القصص المثيرة لاكتشاف القارات والأراضي المجهولة. - القاهرة: دار الطلائع،

2003. ص112

⁵⁴. قسطنطين هو حاكم الغرب ثم الشرق، ففي عام 313م عندما انتصر على خصمه ماكسينتيوس في الغرب واشتد به المرض العضال وفشل أطبائه في علاجه، نصحه البعض بأن يستدعي بابا روما سلفستر ليباركه، وبالفعل حضر البابا وباركه وشفى من المرض، وكافئ قسطنطين البابا فتنازل له عن حكم النصف الغربي أي روما والولايات، وأتى هو للشرق ووضع عاصمته الجديدة القسطنطينية.

الواقع أن؛ النظرية كانت نكسة للبابوية أكثر منها تندعيم، لأن قسطنطين لا يملك الإمبراطورية لكي يتنازل عنها لشخص آخر فهو يحكم ولا يملك، فمسألة التنازل غير شرعية- إذا كانت تمت بالفعل كما تقول الرواية- فالإمبراطورية ليست إقطاع ومن لا يملك "قسطنطين" منح من لا يستق "البابا"، أضف إلى ذلك أن البابا ليس له سلطاناً سياسياً بل روحياً. وخلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، اكتشفت البابوية أن الإمبراطور هو الذي منح البابا حكم الغرب ومن حقه أن يجرد البابا من هذا الحكم، فمن يمنح هو الأعلى فالإمبراطور هو السيد المانح، ولذلك أسقطت البابوية هذه النظرية التي كانت أول النظريات التي تمارس النفوذ السياسي على الأباطرة.

أنظر: أشرف صالح، قراءة في تاريخ وحضارة أوروبا العصور الوسطى، -ص55-56. ولمزيد من التفاصيل:

رأفت عبد الحميد، "السمو البابوي بين النظرية والتطبيق" بحث منشور في مجلة ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الثالث، القاهرة 1985. رأفت عبد الحميد، الفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى، الطبعة الأولى- القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر 2001 ص52.

وقد خلص هذا البحث إلى نتيجة هامة هي أن الوثيقة مزورة، وبذل تتهاوى جميع إدعاءات الباباوات وتصير إلى هباء. وجاء في أعقاب هذا البحث حادث له دلالاته، وهو أن البابا نيقولا الخامس - وكان يتبواً كرسي البابوية وقتذاك - أعجب بالبحث وأبدي تقديره لمؤلفه فعينه موظفاً في الحكومة البابوية، فكان هذا التعيين دليلاً على أن البابوية أصبحت نصيرة لحركة الدراسات الإنسانية.

وقد تكونت مدرسة تاريخية في فلورنسا أخرجت عديداً من الكتب في موضوعات شتى، وكان لهذه الأبحاث طابع مميز، هو حرية الرأي وحرية التعبير وعدم التقيد بالموضوعات الدينية والتحرر من التقاليد البابلية والبعد عن الخرافات والتزام الموضوعية مما جعل هذه البحوث باكورة طيبة للدراسات التاريخية الحديثة.

الفنون الجميلة هي الميدان الذي تبغ فيه الإيطاليون وقاموا بإحياء الفنون التي كانت مزدهرة في العصور القديمة، وأيضاً نقبوا عن جمال الآثار القديمة وعملوا على محاكاتها. وهم أصحاب الفصل الأول في بعث الدراسات الأدبية القديمة ونشأة الدراسات الأدبية الحديثة، وابتكار الفن الحديث وبعد أن كانت الفنون تتجه لخدمة الكنيسة والأغراض الدينية، وذلك يتبين في العصور الوسطى في رسم صور الشهداء والقديسين (المسيحية الجامدة)، فأصبحت الفنون لها الروح العلمانية ومهتمة بالمناظر الطبيعية وجمال الوجه البشري وسائر أجزاء الجسم، كما ارتفعوا بمستوى الفنون الجميلة إلى درجات الكمال وخاصة في فني التصوير والنحت.⁽⁵⁵⁾

⁵⁵ . يواقيم رزق مرقص، محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية: مارتن لوثر - متاح تاريخ 6مارس 2009

وهو الفن الأول لعصر النهضة في شبه الجزيرة الايطالية، فقد تميزت الفنون بالتححرر من قيود الروح الدينية فأخرجوا صوراً تنبض بالحياة واستخدموا الأصباغ الزيتية، وكان لكل مدينة مدرستها الخاصة في فن التصوير، وبرزت بوجه خاص مدينة البندقية وفلورنسا، ولكن البندقية تميزت بروح علمانية بعيدة عن تقاليد الكنيسة، أما فلورنسا فقد تأثرت إلى حد ما بالروح الدينية.⁽⁵⁶⁾

وقد برع رفائي Raphael Sanzio (1483-1520) في فن التصوير وخلف آثار فنية رائعة، ويتمثل بعض منها في صورة عن أسرة المسيح عليه السلام وسر العشاء الرباني⁽⁵⁷⁾.

ومع بداية القرن الخامس عشر كانت ثمة محاولات ترمي إلى تجاوز محاكاة الأشخاص في تصوير البورتريهات إلى ما هو أبعد من أن يجتزئ الفنان بتسجيل السمات الشبيهة والرؤوس المنطقية الدالة على أشخاصها، إلى إبراز الأمزجة المختلفة التي تفيض بها وجوه أصحابها عند تصويرها، وما يبدو على الوجه من انفعالات عارضة، وابتسامات غير متكلفة تعكس بحق ما يجيش في النفس لحظتها.

⁵⁶ . رأفت عبد الحميد، الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى. - الطبعة - القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر 2001.

ص 68

⁵⁷ . العشاء الرباني عارة عن (قطع من الخبز وكأس من الخمر) ويعتقد الفرد عند أكلة لهذا الخبز أنه يتحول إلى لحم المسيح وإن كان مذاقه خبزاً، وأن كأس الخمر تتحول إلى دم المسيح وإن كان مذاقها خمراً، وهذا العشاء ليس له وقت محدد فيؤكل يوم الفصح ويؤكل في أوقات أخرى ولكنه يؤكل في الكنيسة وللك "يجب تبليغ الناس قبل موعده بأسبوعين" وطائفة البروتستانت لا تقبل بالقول بتحول الخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح وإنما تجعله رمزاً لما حل بالمسيح u وذكر لصلبة من أجل البشر وقد روى متى أن عيسى (عليه السلام) كسر خبزاً وأعطى تلاميذه وقال: "خذوا وكلوا، هذا هو جسدي"، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم؛ لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" متى (26/26-28). أنظر:

سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية - الطبعة الأولى - الرياض: مكتبة أضواء السلف، 1997. ص 270.

مشهد "العشاء الرباني" خلال القرن الخامس عشر لوحة المصور جير لاندايو التي يرجع تاريخها إلى عام 1480، أي قبل ليوناردو بخمسة عشر عاماً. وتحمل هذه اللوحة جميع عناصر التكوين الفني النمطية القديمة التي لم تغب عن نظر ليوناردو وهو يصور لوحته.

أما ليونارد دي فنشي Leonard de Vinci (1452-1519)؛ فقد اشتهر بنشاطه في فروع شتى من العلوم والفنون، كما اشتغل بدراسة تشريح الأجسام البشرية والحيوانات والنباتات ولكنه تفوق في فن التصوير⁽⁵⁸⁾، ومن أشهر صورهِ الجيوكوندا وهي لسيدة إيطالية من مواليد نابلي تدعى مونا ليزا واستطاع أن يرسم لها صورة استغرقت أربع سنوات وأخرج معجزة فنية خالدة: مفاتن سيدة وديعة حسناء مثالية، حرمت من متاع الحياة الزوجية وهي ما زالت في ربيع عمرها، جلست في الصورة في مكاناً موحشاً بين لصخور وحيدة، ومياه الغدير تشق الصخور وتتساب في الوادي السحيق إلى عالم مجهول كرمز لما يكتف حياتها من غموض، يعلو وجهها ابتسامة خفيفة تفيض من عيناها الناعستين.

أما ميشيل إنج Michel Ange (1475-1564)، فقد برز في فن التصوير واشتهر بتعدد الجوانب الثقافية، وبرع في التصوير والنحت وهندسة البناء والشعر الإيطالي، واشتهر بوفرة إنتاجه الفني وتعدد الموضوعات التي عالجه والمستوى الرفيع الذي بلغه في ها الإنتاج⁽⁵⁹⁾. والواقع أن؛ ميشيل مع رفائيل وليونارد يكونون ثالث الفن في القرن السادس عشر بما حققوه من أمجاد فنية.

⁵⁸ . ولمزيد من التفاصيل عن ليونارد دي فنشي يراجع:

Liana Bortolon, The Life and Times of Leonardo- London: Paul Hamlyn, 1967.

Danil Arasse, Leonardo da Vinci- Konecky& Konecky,1997 P44.

Jack Wasserman, Leonardo da Vinci.- Abrams, 1975.P87

⁵⁹ . ولمزيد من التفاصيل عن ميشيل إنج يراجع:

Charles de Tolnay, Michel-Ange, Flammarion, 1970.

Charles Sala, Michel-Ange: Sculpteur, Peintre, architecte.- Pierre Terrail, 2001.

Linda Murray, Michel-Ange,-London: Thames &Hudson, 2003,p33.

لقد أتيح لفن النحت عامل هام ساعد على ازدهاره، حيث كانت التماثيل التي خلفها الإغريق والرومان لا تزال قائمة وأعمال التنقيب عن الآثار أسفرت عن تماثيل أخرى، فكان ذلك بمثابة أمثلة يحتذي بها فنانو عصر النهضة في نحت تماثيل جديدة، وهنا يختلف النحت عن التصوير، فالصور التي تركها كبار المصورين الإغريق كانت فقد اندثرت وبليت بحث أصبح من الاستحالة أن يرسم فنانو النهضة صوراً على شاكلتها، ومن أشهر أساتذة فن النحت لورنز وجيبرتي، ودوناتلو، وكان يغلب على فن النحت المظهر الوثني لأن فنان النهضة كانا يحرصون على إبراز مفاتن جسم الإنسان دون التقييد بالأخلاقيات.⁽⁶⁰⁾

هذا الفن لم يندثر طوال العصور الوسطى، وقد ظهر في شمال أوروبا طراز جديد من العمارة وهو الفن القوطي. ويتميز بكثرة الأقبية العالية والدعائم المعلقة، ولقد انتقل هذا الطراز إلى إيطاليا وتمثل في بناء الكنائس والكاتدرائيات، ولما جاء عصر النهضة أدخلت الخصائص والرسومات الهندسية التي كان يتبعها الإغريق في مبانيهم القديمة، وشهدت فلورنسا هذا التطور الكلاسيكي في البناء في النصف الأول من القرن الخامس عشر، ومن المدن التي نافست فلورنسا مدينة البندقية ومدينة روما.

وكان فيليب برينلسكي من أشهر النوابغ في فن العمارة في مطلع عصر النهضة. أما دانتي فقد وقف بكتاباتة عند مفترق الطرق بين العصور الوسيطة والعصور الحديثة، فقد تناول

⁶⁰ . رسم فنانو العصور الوسطى أشكالاً إنسانية كانت تبدو متجهمه وغير واقعية، وغالبا ما تخدم أهدافاً دينية رمزية، لكن فناني عصر النهضة ركزوا على جمال الجسم الإنساني. وحاولوا أن يجذبوا الانتباه إلى سمو الكائنات الإنسانية وعظمتها في رسومات ومنحوتات نابضة بالحياة.

موضوعات العصور الوسيطة وتكلم عن البابوية والإمبراطورية والجحيم، وذلك في كتابيه "الملكية"، "الكوميديا المقدسة" إلى جانب الموضوعات العاطفية الحديثة.⁽⁶¹⁾

الواقع أن؛ أوربا ورثت عن إيطاليا النهضة فكرتين: الأولى هي عن السياسي المحنك وقد احتواها كتاب "الأمير" لميكافلي⁽⁶²⁾ الذي كتب عام 1513. أما الفكرة الثانية؛ فهي عن المهذب الشغوف بالدراسة وقد احتواها كتاب "رجل البلاط" لكاستليونو الذي كتب في سنة 1516.

وبذلك برزت النهضة في إيطاليا في مجال الفنون الجميلة وكان لها صداها القوي الأثر على بقية البلدان الأوروبية التي أخذت من النهضة الإيطالية وزادت عليها وذلك قبل أن تخبو النهضة الإيطالية بداية من 1494 إلى أن انطفأت تماماً في 1527 بنهب الجيوش الأجنبية لمدينة روما.⁽⁶³⁾

على حين مضى شمال أوروبا في مسيرته المتأنيبة مترسماً الأساليب الرومانسكية والقوطية، نهجت إيطاليا نهجاً آخر إذ اختلفت فنون التصوير والنحت والعمارة القوطية فيها اختلافاً جوهرياً عن مثيرتها في شمال أوروبا، فنجدها قد صممت أكثر من غيرها كي تتواءم مع نسب الإنسان، كما نراها أقل غموضاً وإثارة للربح والرهبة.

⁶¹ . ولمزيد من التفاصيل عن حياة دانتي وعصره، وشخصيته ومؤلفاته، راجع مقدمة المترجم للكوميديا الإلهية:

دانتي أليجييري، الكوميديا الإلهية/ ترجمة وتقديم حسن عثمان - الطبعة الأولى - القاهرة: الهيئة المصرية لعامة للكتاب، 2001. ص8-92، (مكتبة الأسرة - أمهات الكتب).

⁶² . نيكول ودي برناردو دي ماكيافيلي (بالإيطالية: Niccolo di Bernardo dei Machiavelli)، ولد في فلورنسا 3 مايو

1469، وتوفي في فلورنسا في 21 يونيو 1527، كان مفكراً وفيلسوفاً سياسياً إيطالياً إبان عصر النهضة أصبح مكيافيلي الشخصية الرئيسية والمؤسس للتطير السياسي الواقعي، والذي أصبحت فيما بعد عصب دراسات العلم السياسي. أشهر كتبه على الإطلاق، كتاب الأمير، والذي كان عملاً هدف مكيافيلي منه أن كتبت تعليمات للحكام، نشر الكتاب بعد موته، وأيد فيه فكرة أن ما هو مفيد فهو ضروري، والتي كان عبارة عن صورة مبكرة للنفعية والواقعية السياسية، ولقد فصلت نظريات مكيافيلي في القرن العشرين.

⁶³ . أحمد عبد الرحيم مصطفى، محمد أحمد حسونة، أصول العالم الحديث. - القاهرة: مطبعة جريدة الصباح، 1958. ص35

ومع أن سمات الفن والفكر القوطي المتداولين في إيطاليا كانت ترهص بالكثير من روح عصر النهضة إلا أنه كانت أيضاً ثمة مصادر أخرى تعود إلى ماضٍ أبعد مدى، فأطلال الآثار الإغريقية والرومانية ما برحت منتشرة قائمة في طول البلاد وعرضها رغم الغزاة الجرمانيين⁽⁶⁴⁾ الذين استقر بهم المقام هناك فترة فإذا هم يضيفون بمرور الزمن طاقتهم الدافقة إلى طاقة المواطنين الإيطاليين. هذا إلى أن إيطاليا لم تقطع صلتها قط بحضارات البحر المتوسط وعلى الأخص الحضارتين الإسلامية والبيزنطية، فلم يكف التجار عن جلب التحف الفنية بل واصطحاب الفنانيين من الشرق. ومن كافة هذه الصلات بالفنون الرفيعة ترعرع عصر النهضة خلال القرن الخامس عشر واكتمل.

ومعنى كلمة "الرينيسانس" Renaissance المتداولة هو البعث أو الإحياء، وكانت جذور فكرة الإحياء بإيطاليا قد تأصلت منذ عهد جوتو، فعندما كان أفراد الشعب يزجون المديح لشاعر أو فنان ما وصفوا عمله بأنه عظيم عظمة القدامى، وبهذا الوصف نعت جوتو الذي قاد حركة الإحياء أستاذاً لجيله، وهو ما يعني أن فن هذا الرجل قد بلغ من الروعة والجمال ما بلغه فن العباقرة الذين جاء ذكرهم فيما رواه كتاب روما واليونان الكلاسيكيون.⁽⁶⁵⁾

وشيوخ هذه الفكرة في إيطاليا بالذات لا يثير الدهشة، فلم ينس الإيطاليون أن بلادهم في الماضي البعيد وروما عاصمتها كانت مركز العالم المتحضر، وأن قوتها قد اضمحلت منذ أغارت القبائل الجرومانية من القوط والواندال على بلادهم مفككة أوصال الإمبراطورية

⁶⁴ . شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا/ ترجمة طلعت عوضي أباطة، مراجعة عبد المنعم ماجد- القاهرة: دار نهضة

ممصر، 1968.ص31

⁶⁵ . The Catholic Encyclopedia: Otto Hartig, "John& Sebastian Cabot". –New York: Robert Appleton .

Company, 1908. (Vol.3). –Available in 2 May 2009, at:

(<http://www.newadvent.org/cathen/03126d.htm>).

الرومانية، ومن ثم كانت فكرة "البعث" مرتبطة أشد الارتباط في أذهان الإيطاليين بفكرة إحياء مجد روما القديم.⁽⁶⁶⁾

وكانت الفترة بين العهد الكلاسيكي الذي يتطلعون إليه بإعجاب وزهو وبين عهد الإحياء الجديد الذي يتطلعون إليه بمثابة فاصل مظلم كئيب، ومن هنا كانت فكرة البعث أو الإحياء هي المصدر الذي انبثقت عنه الفكرة التي تذهب إلى الفترة التي بينهما هي عصر وسيط، وإذ أنحى الإيطاليون باللائمة على القوط لقضائهم على الإمبراطورية الرومانية بدأوا يصفون فن تلك الآونة بأنه فن قوطي، يعنون بذلك أنه فن بربري، على نحو ما يتحدث الأوربيون عن "الواندال" إذ قصدوا التعبير عن شهوة تدمير كافة عناصر الجمال في الحياة. وفي حق أن هذا الزعم من جانب الإيطاليين ليس له ما يبرره، فثمة سبعمئة عام تفصل بين زحف القوط وبين ظهور الفن الذي ندعوه الآن الفن القوطي.⁽⁶⁷⁾

فقد استعاد الفن مركزه بعد ظلام العصور الوسطى رويداً رويداً، لعل مرد عدم إحساس الإيطاليين بهذا النمو التدريجي - مثلما أحس به أهل الشمال الأوروبي - هو أنهم تخلفوا بعض الشيء خلال فترة من العصور إلى أن برزت أعمال جوتو المتألقة بوصفها ابتكاراً عظيماً وبعثاً لكل ما هو نبيل وجليل في الفن.

وقد تركزت النهضة الحقيقية - التي كانت لقاء غير مألوف بين العبقرية والطاقة والظروف - حول مدينة فلورنسا التوسكانية بإيطاليا، وحول مدينتين من المدن التجارية لا تفلان ثراء ولهما طويل في الإقدام والمغامرة هما بروج وجنت بإقليم الفلاندر. وهنا ولأول مرة منذ عصر أثينا الذهبي أثبت الفنانون والساسة والعلماء مجتمعين أنه ما خلى زمن من الأزمان من عجيبة من العجائب، لكن أعجب العجائب كلها هو الإنسان، فإذا كان فنن يتابع اهتماماته الخاصة فيدرس

⁶⁶ . سعود الزيتون الخالدي، "المقاومة الخليجية ضد التصير" -مجلة الواحة- العدد الثامن. - متاح بتاريخ 26 ابريل 2009

على الرابط: (<http://195.173.191.171/issue8/is08sb13.htm>)

⁶⁷ . عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا - القاهرة: دار

التشريح وقواعد المنظور وعلوم اللون والبصريات والهندسة ومعايير الأوزان والمقاييس. ومع ازدهار المعرفة شاعت الصور المثالية المبتكرة للإنسان الذي كان رمزاً للجسارة والإقدام والهيمنة على ما عداه، وخلال قرن كامل ظهرت موجة من الفنانين اللامعين استحدثوا إيقونوغرافية جديدة يزهو بها عصر النهضة ويختال.⁽⁶⁸⁾

قبل أن تختفي النهضة في إيطاليا بعد ازدهارها الكبير بزمن غير قصير، أخذت النهضة تتسرب إلى بقية أوربا عن طريق الألب فظهرت النهضة ومظاهرها في بعض الدول الأخرى في ألمانيا وشبه جزيرة أيبيريا وإنجلترا وفي فرنسا. والنهضة في فرنسا وليدة النهضة في إيطاليا وقد كانت أهم نتائج الحروب الإيطالية عندما اجتاحت الجيوش الفرنسية إيطاليا في عهد كل من شارل الثامن،⁽⁶⁹⁾ ولويس الثاني عشر، وفرانسوا الأول. فقد بهت هؤلاء الملوك ومن معهم بما شاهدوا من تقدم حضاري منقطع النظر في نواحي المعرفة المختلفة وفي مختلف الفنون العديدة فحاولوا جميعاً جاهدين أن ينقلوا هذه الحضارة إلى فرنسا حتى لا تقل عن إيطاليا في التقدم الحضاري.⁽⁷⁰⁾

وحوالي منتصف القرن السادس عشر استقرت الدراسات الكلاسيكية في باريس، فنشأت حركة واسعة لنشر الكتب اليونانية وكانت أول مطبعة يونانية في باريس مطبعة جورمون. وساعد على انتشار الدراسات الإنسانية في باريس تشجيع ملوك فرنسا أنفسهم لها، ومن مظاهر هذا التحمس تقليد الملوك الفرنسيين في بلاطهم لكثير من العادات والتقاليد والأخلاق السائدة في

⁶⁸ . ثروت عكاشة، موسوعة فنون عصر النهضة، الفصل الرابع، متاح بتاريخ 25 أكتوبر 2007 على الرابط

(<http://www.civilizationstory.com/tharwat>)

⁶⁹ . موسوعة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر/ مفيد الزبيدي، الطبعة الأولى، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2004.

(2ج، 1184 صفحة)

⁷⁰ . عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية

الأولى، القاهرة: دار الفكر العربي، 1999. ص31

بلاط الأمراء الايطاليين،⁽⁷¹⁾ كما كان من مظاهر هذا التشجيع بناء الأكاديميات ومراكز العلم للدراسات الإنسانية مثل كلية الملكية التي أنشأها فرانسوا الأول في باريس خصيصاً لتشجيع الدراسات عام 1530.

والواقع أن؛ هناك خلافاً بين العقلية الإيطالية والعقلية الفرنسية، في عصر النهضة- فيما يتعلق بموقف كل منهما من القديم، فالعقلية الإيطالية استسلمت كلية ودون تحفظ إلى المخلفات الكلاسيكية، فقد كانت في إيطاليا رغبة قوية في تشرب الروح الكلاسيكية وإخراجها بدقة وأمانة. أما العقلية الفرنسية فقد كانت في موقفها من القديم تحفظ باستقلالها، فقد نظر الفرنسيون إلى أعمال القدماء بتقرير يقترن بالذكاء واقتبسوا ما راقهم من المميزات القديمة وطعموها بخصائصهم الذاتية، فكان إنتاجهم الأدبي والفني شيئاً جديداً يغاير الايطاليين الذي كان نسخة مطابقة للقديم، ويمكن تتبع هذه الحقيقة في البناء والنحت والأدب الفرنسي في عصر النهضة.⁽⁷²⁾

بينما ازدهرت النهضة في إيطاليا في النصف الأول من القرن الخامس عشر، كانت في فرنسا تعاني من توقف نموها الثقافي الذي بلغ مرحلة رفيعة في القرن الثالث عشر، وظهرت آثاره في النحت الذي صنع تماثيل كاتدرائية شارتر. ولقد كان توقف هذه الحركة الثقافية يرجع إلى حروب فرنسا مع إنجلترا (حرب المائة عام 1453-337) والتي انتهت بتوحيد فرنسا نفسها،

⁷¹ . Thirty Years War- Swedish intervention" available in 20 January 2009 at:

(http://www.experiencefestival.com/a/Thirty_Years_War/id/385103/)

⁷² . ولمزيد من التفاصيل عن الأدب الفرنسي في عصر النهضة يراجع:

والصراع الداخلي بين الملك لويس الحادث عشر والنبلاء الإقطاعيين، وقد انتهى هذا الصراع
بهزيمة عصابة النبلاء.⁷³

⁷³ . حرب المائة عام (1337-1453) استمرت على مدى عهود حكم خمسة ملوك إنجليز وخمسة ملوك فرنسيين تقاتلوا للسيطرة على فرنسا، وقد شمل هذا الصراع بين إنجلترا وفرنسا سلسلة من الحروب المتعاقبة نتيجة خرق اتفاقيا الهدنة والمعاهدات. إذ خسر الإنجليز معركة نورمنديا في فرنسا عام 1204م، وهو ما اعتبر سبباً رئيسياً لقيام الحرب. ولكن كانت هناك أسباب أخرى عديدة أسهمت في اندلاع الحر؛ إذ إن المحاولات التي قام بها الملوك الفرنسيون للسيطرة على إقليم غاسكونيا في الجنوب الغربي من فرنسا، والذي كان يخضع للسيطرة الإنجليزية، قد أثارت غضب الإنجليز. وقد ساند الفرنسيون الأسكتلنديين ضد إنجلترا، كما حاول الفرنسيون السيطرة على تجارة الصوف التي كان يقوم بها الإنجليز ومواطنوا شمال غربي أوروبا هناك. وقد تنازع البحارة والصيادون الإنجليز والفرنسيون حول الحقوق في القناة الإنجليزية. طالب إدوارد الثالث ملك إنجلترا الذي كانت والدته شقيقة لثلاثة ملوك فرنسيين بعرش فرنسا عام 1337م بصفة رسمية وقام إدوارد الثالث بزج جيش في نورمنديا لتبدأ حرب المائة عام.

انتصر الإنجليز في معظم المعارك التي تخللت القتال الذي نشب بعد ذلك، إلا أن الفرنسيين انتصروا في الحرب أخيراً حيث كان عدد لمقاتلين وإمدادات التموين والإمكانات المالية لدى الإنجليز ثلث ما كان لدى فرنسا في ذلك الوقت. وقد أعاققت عدة أحداث مجرى تلك الحرب، ومن بينها تمرد الفلاحين وعمليات النهب والسلب في فرنسا التي قام بها الجنود العاطلون، وكذلك الموت الأسود أو الطاعون الدملي في البلدين، إلى جانب ثورة الفلاحين في إنجلترا عام 1381م وقد أضعفت الحرب سلطات النبلاء وزادت سلطة الحكومة المركزية في كلا البلدين، كما صاحب الحرب انهيار الإقطاع وظهور الوحدة الفرنسية وظهور تكتيكات عسكرية جديدة ونمو القوة البحرية لإنجلترا حقق حملة السهام ورجال سلاح المشاة أعظم نصر حربي في معركة كريسي عام 1346م. كما انتصر الإنجليز في معركة بواتييه عام 1356م، وقد بدأ عهد قصير من السلام بتوقيع معاهدة بريثاني عام 1360م، ولكن هنري الخامس ملك إنجلترا جدد القتال وأظهرت ابتهاجه بالنصر في معركة أجيت كورت عام 1415م. وقد جعلت معاهدة ترويس عام 1420م هنري الخامس وريثاً للعرش الفرنسي، وبعد وفاة هنري الخامس عام 1422م، نازع الفرنسيون الإنجليز في مطالبتهم بالعرش واشتعلت الحرب مرة أخرى. وبحلول عام 1428م، زحف الإنجليز عبر شمال فرنسا وقاموا بحصار أورليان، ثم قادت جان دارك جيشاً فرنسياً لرفع الحصار عام 1429م، ولكنها وقعت أسيرة لدى الإنجليز الذين أحرقوا على أنها ساحرة واستمر الفرنسيون في كسب المارك. وانتهت الحرب بمرور الوقت عام 1453م وفقدت إنجلترا كل أراضيها في قارة أوروبا ما عدا كاليه التي استولى الفرنسيون عليها بعد ذلك عام 1558م.

لقد بدأت حركة النهضة في إنجلترا في عهد أسرة اليتودور بعد انتهاء حرب المائة عام وحرب الوردتين الداخلية⁽⁷⁴⁾، وقد قامت الحركة الإنسانية فيها على يد فريق من العلماء الذين سافروا

⁷⁴ . اسم أطلق على النزاع الذي قام بإنجلترا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، حيث تقاتل اثنان من العائلة المالكة على العرش الإنجليزي. والرموز التي تيناها كل منهما أعطت الصراه هذا الاسم. فمثلاً بين يورك استخدم الوردة البيضاء رمزاً له، بينما اتخذ بيت لانكاستر الوردة الحمراء، إلا أن المؤرخين لم يتأكدوا متى تم ذلك، فبعضهم يعتقد أن رمز الوردة الحمراء لم يظهر إلا في آخر معركة. وقد بدأت تلك الحروب في عام 1455م، في موقعة سانت ألبانز، وانتهت في عام 1485م في موقعة بورسوث فيلد.

كان الملك هنري السادس من بيت لانكاستر على العرش عندما بدأت حرب الوردتين. وكان جده هنري الرابع قد استولى على السلطة في عام 1399م. وقد ادعى دوق يورك ريتشارد بأنه لاحق لهنري السادس أن يكون ملكاً. وقد قتل ريتشارد في موقعة ويكفيلد في عام 1469م، ولكن ابنه إدوارد قاد قوات يورك في معركة تاوتن، حيث هزم اللانكاستريين في عام 1461م. وبعدها، أصبح إدوارد ملكاً باسم إدوارد الرابع. لكنه أجبر على الخروج من إنجلترا بواسطة اللانكاستريين حيث أعادوا هنري السادس في عام 1470م. إلا أن إدوارد استعاد العرش بعد سبعة أشهر وذلك بعد هزيمة القوات اللانكاسترية في موقعتي بارنتيه وتويكس بري. وقد حكم بيت يورك حتى خسر ريتشارد الثالث عرشه على يد نري تودور المنحدر من بيت لانكاستر الذي

إلى إيطاليا فنهلوا من الدراسات القديمة في فلورنسا وروما والبندقية. وكانت نهضة إنجلترا الحقيقية أدبية وقد خلد شكسبير أسمه في إنجلترا والعالم كله⁽⁷⁵⁾.

ومن هؤلاء الإنجليز الذين سافروا إلى إيطاليا (وليم جروسون في فلورنسا، توماس لينكار في البندقية وقد ألحق بالأكاديمية هناك، وليم ليلي في روما ودرس اليونانية) وقد أطلق على هؤلاء الثلاثة مصطلح أكسفورد Oxford Reformers أما "لارامس" فقد زار إنجلترا وتكون بينه وبين الإسبانين في أكسفورد صداقة وطيدة، وقد عين سنة 1519 في منصب الأستاذية لليونانية في الجامعة وخلفه في منصبه السيدة "توماس سمث".

وفي عام 1541 أنشأ هنري الثامن ملك إنجلترا خمسة كراس لأستاذية في اللاهوت والقانون المدني والطبعية واللغة العبرية واللغة اليونانية، وحصل "سميث" على كرسي القانون المدني، أما كرسي اليونانية فكان من نصيب "جون تشيك" أما مدرسة سانت بول St.paul فقد أسسها كولت وأنشأت خصيصاً للدراسات الإنسانية، وقد دخل التعليم الكلاسيكي المدارس الإنجليزية في النصف الأول من القرن السادس عشر، وقد عين "وليم ليلي" أو ناظر هذه المدرسة. وقد أنشأت العديد من المدارس في لندن على نمط مدرسة سانت بول مثل Christ Hospital.⁽⁷⁶⁾

الواقع أن؛ الحركة الإنسانية لم تشمل الأدب والفن ولم تتجه اتجاهاً وثنياً كما في فرنسا وإيطاليا، ولكن الحركة في إنجلترا اتجهت لخدمة المسيحية فتشمل الدين إلى جانب الأدب والفن. وفي القرن السادس عشر اقتصر عمل الإنسانيين الإنجليز على الكلاسيكيات اليونانية والرومانية وعلى ترجمة كتابات أدباء النهضة الإيطاليين إلى الإنجليزية، ولكن في القرن السابع عشر

أصبح ملكاً كنهري السابع في عام 1485م. وتزوج هنري السابع من إليزابيث ابنة ريتشارد الرابع. وبذلك وحد بيتي لانكاستر ويورك وأسست سلالة آل تيودور.

⁷⁵ The Catholic Encyclopedia: Heinrich Wallau, "Johann Gutenberg". –New York: Robert Appleton Company, 1910 (vol.7).– Available in 18 Apr. 2009

(<http://www.newadvent.org/cathen/07090a.htm>).

⁷⁶ الموسوعة العربية العالمية، رئيس التحرير أحمد مهدي الشويخات. –الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 2004 (الإصدار الرقمي).

أضافت شيء جديد للدراسات الإنسانية الأوروبية ممثلاً في أشعار وليام شكسبير
Shakespeare وجون ميلتون Jojn Milton⁽⁷⁷⁾.

⁷⁷ . وليام شكسبير (1564-1616م) يعد الشاعر والمسرحي الإنجليزي وليام شكسبير أشهر المسرحيين الذين عرفهم العالم. يرجع الإقبال الشديد الذي قوبلت به أعمال شكسبير إلى أسباب عدة، أهمها فهم الكاتب للطبيعة البشرية فقد فهم شكسبير طبيعة الإنسان بشكل متميز، لم يتح إلا لقلّة من الكتاب المسرحيين الآخرين، مما مكنه من رسم شخوص ذات معنى تعدى حدود الزمان والمكان للذين جرت فيهما أحداث مسرحياته. ألف شكسبير 37 مسرحية على الأقل، يكاد يتفق النقاد على تصنيفها في ثلاثة أنواع هي، الملهاة (الكوميديا) والمأساة (التراجيديا) والمسرحية التاريخية. كان شكسبير قد قسم وقته بين حياته الخاصة في ستراتفورد وبين حياته العامة في لندن. فكان له بيوت في لندن حتى عام 1604م، وربما حتى عام 1611م، لكن بعض الأحداث العائلية، مثل زواج ابنته سوزانا عام 1607م، ووفاة والدته عام 1608م، قد استدعت عودته إلى ستراتفورد ومن المرجح أنه كان يقضي معظم وقته بعد عام 1612م، متعمداً برفاهية بيته في ستراتفورد مات شكسبير، ودفن داخل كنيسة أبرشية ستراتفورد.

جون ميلتون (1608-1674م) شاعر وكاتب سياسي بريطاني ولد ميلتون في لندن، ودرس في مدرسة القديس بول وكلية المسيح في جامعة كامبردج وكتب أثناء وجوده في كامبردج قصيدة صباح مولد المسيح (1629م)، والقصائد المصاحبة لها لا ليجرو والبنسروزو (1631م) ورغم أن دراسته المبكرة كانت تؤهله لوظيفة كنسية، فقد آمن بأن الطغيان قد اجتاح الكنيسة، ولذلك آثر ميلتون أن يكرس نفسه لخدمة الله من خلال الشعر. وبعد تخرجه في كامبردج عام 1632م ذهب إلى بلدة أبيه هورتون ليتفرغ للدراسة والكتابة.

ألف الفردوس المفقود (1667م)، -ورجعت في 1674م- التي يعدها الكثيرون أجمل ملاحم اللغة الإنجليزية ألف أيضاً الفردوس العائد (1671م) ومصراع شمشون (1671م) ويعتقد أن ميلتون قد ألف العمليين الأولين، وربما الأخير أيضاً، بعد أن كف بصره، كتب ميلتون الفردوس المفقود حتى يبرز مسالك الرب مع الإنسان تعيد القصة ذات الاثني عشر كتاباً رواية قصة الإنجيل عن الخلق وسقوط آدم، في موازاة تمرد إبليس على ربه والخروج من الجنة أما الفردوس العائد فهي ملحمة قصيرة في أربعة كتب مكتوبة بالشعر المرسل مثل الفردوس المفقود، ويقوم موضوعها على الأنجيل الأربعة وتحكي صمود المسيح- عليه السلام- إزاء غواية الشيطان أما مصراع شمشون فتحكي حكاية شمشون الإنجيلية بأسلوب المأساة اليونانية، فتصور القصيدة شمشون وهو يقهر سجانیه على حساب حياته، بعد خائنته لدليّة وأفقدته الفلسطينيين القدامى بصره. كان ميلتون على دراية واسعة بأدب الإغريق، واللاتينيين القدامى، وتأثر بهم كثيراً لكنه ركز اهتمامه بوصفه بروتستانتيّاً على الإنجيل فقد أراد ميلتون أن يقدم لإنجلترا من خلال شعره ما قدمه عظماء وصفوة عقول أثينا وروما أو إيطاليا الحديثة لبلادهم، إلى جانب كونه نصرانياً.

إن النهضة الأوروبية في مضمونها كانت تعني الانتقال التدريجي من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، وقد ظهرت النهضة الأوروبية أولاً في إيطاليا التي تمتعت بهذه النهضة وازدهرت فيها عدت مظاهر منها دراسة الآثار والتاريخ والفنون الجميلة، وبعدها اكتملت النهضة بها تسريب لبقية البلدان الأوروبية⁽⁷⁸⁾ متمثلة في فرنسا وانجلترا وألمانيا وشبه جزيرة أيبيريا. ولقد كانت له النهضة خصائص تميزت بها، منها أنها كانت علمانية والفرد فيها ظهر متمتعاً بشخصية مستقلة، وبعد كل هذه التطورات التي حدثت كان من الحتمي أن تكون لهذه النهضة أثر ونتائج على الأوضاع في أوروبا وتغييرها؟ إلى عكس ما كانت عليه.⁽⁷⁹⁾

فلقد أثرت النهضة في الأوضاع السياسية في أوروبا، ففي العصور الوسطى واجه الإمبراطور في ألمانيا خصوصاً أشراءهم حكام الإمارات الإقطاعية، وكانت هذه الإمارات يحكمها أسقف أو أمير وكان هؤلاء الحكام يعترفون بالإمبراطور اعتراف شكلي. فلما جاءت النهضة حاول الإمبراطور الاستعانة بالمدن وأفراد الطبقة الوسطى لدعم مركزه تجاه الأمراء ورجال الدين الذين كانوا يسيطرون على الأرض ويحكمون الإمارات، ولكن هؤلاء الحكام كانوا أحرص على الاحتفاظ بإماراتهم من تحقيق وحدة سياسية، فظلت ألمانيا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ممزقة إلى 350 وحدة سياسية جمعت بينهم الجرمانية في الجنس واللغة وبذلك لم يكن للنهضة تأثير على الأوضاع السياسية الداخلية في ألمانيا.⁽⁸⁰⁾

أما إيطاليا فقد كان مجتمعها قبل النهضة يموج بالمتناقضات، ولقد كانت مدنها مهداً لمولد النهضة وكانت فلورنسا عاصمة أوروبا في الفنون والإبداع الفكري، ومع ذلك لم تكتسب إيطاليا

⁷⁸. الموسوعة العربية الميسرة/ إشراف محمد شفيق غربال. - القاهرة: الدار القومية للنشر، 1959.ص35

⁷⁹. "Thirty Years War –Swedish– French intervention", -available in 20 January 2009 at:
http://www.experiencefestival.com/a/Thirty_Years_War/id/385103

⁸⁰. شوقي ضيف، محاضرات بعنوان "تأثير الثقافة العربية في الثقافة الغربية الحديثة، مؤتمر مجمع اللغة العربية: الدورة الثامنة والسنتين. - القاهرة، مارس 2002. ص132

شيئاً من النهضة ولم تقيم لها حكومة مركزية موحدة،⁽⁸¹⁾ ولكن ظلت موزعة بين وحدات سياسية خضع بعضها للنفوذ الأجنبي، وأصبحت إيطاليا ميداناً لصراع رهيب بين ملكي فرنسا وأسبانيا من أجل السيطرة على أوروبا، وقد دخلتها القوات المسلحة الأجنبية ونشرت فيها الخراب والدمار وأصبحت مصرعاً لحرب بشعة يطلق عليها "الحروب الإيطالية" بين الملك فرانسوا الأول والإمبراطور شارل الخامس، وقد انتهت بتوقيع معاهدة كريبي 1544م.⁽⁸²⁾

أما دول غرب أوروبا، فقد نجح ملوك فرنسا وأسبانيا وإنجلترا في إنشاء الحكومة المركزية الموحدة وجاءت النهضة فساعدت على دعم هذه القوى، وقد تلاقت مصلحة الملكيات في غرب أوروبا مع مصلحة أفراد الطبقة الوسطى للحد من الحقوق والامتيازات التي كانت تتمتع بها الطبقتان الأخريان وهم النبلاء أمراء الإقطاع وكبار رجال الدين في جبهة، والملك وأفراد الطبقة الوسطى في جبهة، وقد قدم أفراد الطبقة الوسطى الأموال للملكية وقد منحتهم الملكية الكثير من الحقوق لدعم مركزهم في المدن.

الجدير بالذكر أنه في النصف الثاني من القرن الرابع كان اختراع البارود⁽⁸³⁾ وكان هذا سندا للملكية في النضال ضد الأمراء حيث كان الأمراء يعتمدون على السلاح التقليدي سلاح الفرسان

⁸¹ . عبد العزيز بن عثمان التويجري، بحث بعنوان "أثر الثقافة العربية في النهضة الأوربية". -ندوة الثقافة العربية والثقافات الأخرى. -الرياض، مارس 1998، ص125.

⁸² . ولمزيد من التفاصيل راجع:

Knecht, R.J.Renaissance Warrior and Patron: The Reign of Francis I.Cambridge: Cambridge University Press, 1994.Seward, Desmond. Francois I: Prince of the Renaissance. New York: MacMillan Publishing Co., 1973.

⁸³ . من المحتمل أن يكون سكان آسيا هم أول الناس الذين توصلوا إلى معرفة الخواص التفجيرية للملح الحجري والكبيريت ثم انتقلت هذه المعرفة غرباً، عن طريق الاحتكاك بالعرب، لتصل في النهاية إلى أوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي، وفي الواقع كان للبارود تأثيره على التغييرات التي حدثت في النظام الاجتماعي في أوروبا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، ذلك لأن النظام الذي كان قائماً والمعروف باسم نظام الإقطاع كان يعتمد جزئياً على القلاع المبنية من الحجر للدفاع عن ضياع اللوردات والنبلاء. ولم تكن تلك القلاع قادرة على الصمود أمام هجمات فذائف المدافع المقذوفة بواسطة البارود. صنع البارود عديم الدخان في القرن التاسع عشر، حيث كان أحد الانواع الأولى منه قطن البارود، وهو اختراع يعود إلى الأربيعينيات من القرن التاسع عشر، وقد كان هذا النوع ينفجر بقوة لكن تصنيعه كان خطراً كذلك تم اختراع نوع أفضل من

والذي لم يستطيع أن يصمد أمام الأسلحة النارية وبذلك انهار النظام الإقطاعي ونمت الروح القومية واستخدام اللغات القومية وقامت الملكية ذات الحكومة المركزية الواحدة.⁽⁸⁴⁾

في الحقيقية؛ لقد كانت هناك نظرية سائدة طوال العصور الوسطى وهي أن العالم المسيحي يشكل وحدة عامة سياسية ودينية ويخضع لقوتين هما: البابا الرئيس الديني الأعلى، وإمبراطور الدولة الرومانية، ولقد جاءت النهضة وعصفت بهذه النظرية وظهرت نظريات سياسية كانت يمارسها بعض الملوك ممارسة جزئية مثل "لويس الحادي عشر ملك فرنسا" وهذه النظرية هي (استخدام كافة الوسائل الخلقية وغير الخلقية لتحقيق أهداف الحكم) وفيها تحريض على تجاهل تعاليم الأديان السماوية.⁽⁸⁵⁾

ولقد جاء سياسي من فلورنسا هو "مكيافيللي" سحل في كتابه هذه النظرية مطالب بتحقيق هذه السياسة لتنفيذ الوحدة الإيطالية، وتعتبر كتابه مكيافيللي بداية عهد جديد للتفكير السياسي الذي ظل طوال العصور الوسطى ذا طابع ديني مسيحي متأثر بالكنيسة وقد نادى أيضاً سياسي إنجليزي يدعى "توماس مور"⁽⁸⁶⁾ بنظرية تقول (أن الهدف من قيام الحكومة هو السهر على

البارود في عام 1964م. وفي حوالي عام 1887م، اخترع الكيميائي السويدي الفرد نوبل أول بارود غرواني، واليوم، فإن البارود العديم الدخان هو الأكثر استعمالاً في الذخيرة مقارنة بالبارودة الأسود.⁸⁴ . يوميات رحلة فاسكو داجاما وتقرير رحلة دوز سانتوس/ ترجمة ودراسة عبد الرحمن عبد الله الشيخ. - الطبعة الأولى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995. (115 صفحة)، (الألف كتاب الثاني، 170).

⁸⁵ . هـ.جـ. ويلز، موجز تاريخ العالم/ تعريب عبد العزيز توفيق جاويد. - القاهرة: مطبعة السعادة، (بدون تاريخ).
⁸⁶ . ولد توماس مور في إنجلترا، وكرس حياته لخدمة بلاده. وكسب ثقة الملك هنري الثامن ونفذ له عدداً من الأعمال المهمة. وفي عام 1529م عينه الملك قاضي القضاة، وبذلك جعله في أرفع منصب قضائي في إنجلترا كرس مور نفسه، من خلال منصبه هذا للمبادئ التي نادى بها أرازمس لقد اعتقد مور - مثل أرازمس - أن المهم هو إلغاء المفاسد وعدم المساواة والشورور التي كانت مقبولة وك

كانها أشياء عادية في عصره. أشهر مؤلفات مور هو كتابه اليوطويا أي المدينة الفاضلة (1516م) ويصف فيه مجتمعاً حل فيه الاهتمام العام بصحة كل إنسان وسعادته محل الانقسام إلى أغنياء وفقراء وأقوياء وضعفاء إن مبادئ مور الثابتة حياته أخيراً. فقد اعترض على قرار هنري الثامن بطلاق الملكة كاترين ملكة أراغون والزواج ثابتة. ورفض أن ينازع الملك البابا في سلطته. وفي سنة 1535م قطع رأس مور بتهمة الخيانة العظمى.

مصالح المحكومين) أفضل الحكومات أقدرها على أداء الواجب، وقد بسط هذه النظرية في كتابه "علم الكمال".⁽⁸⁷⁾

وكان من نتائج النهضة تحطم الحواجز الطائفية، فلقد كان كل فرد في العصور الوسطى ينتمي إلى نقابة أو طائفة سواء كان طبيباً أو تاجراً أو خبازاً، وبازدياد التخصص ازدادت عدد النقابات وشملت جميع المهن والصناعات، وكانت كل نقابة تفرض على العضو الذي ينتمي إليها قيوداً في اتصاله بالمجتمع، وأصبح العضو داخل هذه القيود كآلة.⁽⁸⁸⁾ فلما جاءت النهضة حطمت الحواجز التي كانت تحل دون الاندماج (اندماج الفرد في المجتمع) وأصبح يمارس نشاطه بحرية، كما حقق مزيداً من الربح ووسع دائرة معلوماته.

وقد كان هناك نتائج أخرى للنهضة تمثلت في القضاء على احتكار الكنيسة للعلم وقيام المدارس والجامعات، وتحرر العقل البشري من الخرافات ومن القيود على حرية التفكير والبحث فظهرت مخترعات وكشوف جغرافية، كما أصبحت وسائل التعليم في متناول الكثيرين بعد اختراع الطباعة⁽⁸⁹⁾ وكشف الورق، فوجد نوع من الثقافة ووحدة الفكر بين شعوب غرب أوروبا

⁸⁷ . محمود كامل الناقية، دور الفكر العربي في النهضة العلمية الحديثة/ ترجمة شكري عباس حلمي. - القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1996. (الكتب الثقافية للراشدين، 9)

⁸⁸ . رولان موسنييه، تاريخ الحضارات العام/ تعريب يوسف أسعد داغر وفريد م. داغر. - الطبعة الأولى. - بيروت: منشورات عويدات، 1969. (الجزء الرابع: القرنان السادس عشر والسابع عشر: التحول الفكري العظيم الذي طرأ على البشرية طوع الحركة العلمية الحديثة سيطرة أوروبا).

⁸⁹ . ساعد اختراع المطبعة على نشر أفكار النهضة، ظلت الكتب حتى العصر الحديث قليلة ومرتفعة الثمن لا يستطيع اقتناءها إلا الأغنياء. ومع حركة النهضة دعت الضرورة إلى البحث عن طريقة توفر أكبر عدد من الكتب بتكاليف أقل، حيث قبس الأوربيون في البداية الطريقة الصينية للطبع (باستعمال ألواح خشبية وحفر الحروف عليها)، ثم اهتدى الألماني "يوحنا كوتنبرغ" (1400-1468م) إلى صنع أول آلة طبع خشبية حوالي سنة 1455م تعمل باليد، وتستعمل حروفاً متنقلة من المعدن، ومن ألمانيا انتشر هذا الاختراع بسرعة، وأسهم بقسط كبير في نشر الكتاب المقدس على أوسع نطاق وتعميم أفكار النهضة أنظر: الأستاذ زينو، النهضة الأوروبية، متاح بتاريخ 10 مارس 2009، على الرابط:

وبذلك شهد عصر النهضة نهاية النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي عرفته أوروبا في العصور الوسطى وبداية تمتع الفرد بحريته وشخصيته، وجاءت النهضة بمفاهيم جديدة وأراء أحدثت تغيرات جذرية تسلت إلى مختلف القطاعات السياسية والدينية والثقافية والفنية والاجتماعية.⁽⁹⁰⁾

ترك عصر النهضة تراثاً فكرياً وفنياً ما يزال مهماً إلى يومنا هذا. فمنذ عصر النهضة أخذ العلماء يستخدمون مناهج ذلك العصر فيما يتعلق بتحري الحقائق الإنسانية والبحث عنها، حتى عندما كانوا لا يشاركون في أفكار إنساني عصر النهضة وروحهم ففي الأدب يحاول الكتاب، منذ عدة قرون محاكاة مؤلفات لكتاب من عصر النهضة، أمثال بترارك وبوكاتشيو، وتطوير أعمالهم قياساً عليها.⁽⁹¹⁾

وما يزال تأثير رسامي عصر النهضة ونحاتيه ومعمارية قوياً بشكل خص. فقد وضع فنانون فلورنسا وروما معايير ثابتة للتصوير التشكيلي في العالم الغربي. ويسافر الرسامون، منذ مئات السنين، إلى فلورنسا ليمتعوا عيونهم برؤية اللوحات الجصية (الفريسكات) التي أبدعتها ريشة جيوتو وماساشيو، ويزورون روما لدراسة صور رفائيل ومايكل أنجلو. وألهمت أعمال دوناتللو ومايكل أنجلو النحاتين لأجيال عديدة. وما تزال المباني الشهيرة لبرونلسكي، وغيره من معماريي عصر النهضة، تعد نماذج بالنسبة للمهندسين المعماريين.

ومنذ عصر النهضة لا يزال هناك أيضاً أناس يعدون الجرأة الفكرية لرجال أمثال بترارك وأرازمس مصدر إلهام لهم. لقد بدأ زعماء عصر النهضة وكأنهم قد حطموا القيود الفكرية ودخلوا عوالم جديدة.

⁹⁰. جون هامرتن، تاريخ العالم/ ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف. -القاهرة، (بدون تاريخ).

⁹¹. جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث/ ترجمة علي المزروقي. -الطبعة الأولى- عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2006.

وربما ليس بمحض المصادفة أن بعضاً من كبار المكتشفين الجغرافيين، في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الميلادي كانوا إيطاليين، سبق لهم أن نهلوا الكثير من تراث عصر النهضة.⁽⁹²⁾ فكريستوفر كولمبوس، مثلاً، كان بحاراً من جنوه وخبيراً بالملاحة البحرية وقد استشار- من أجل رحلته البحرية إلى العالم الجديد- العلماء أنفسهم الذين درسوا الرياضيات للمهندس المعماري فيليبو برونلسكي وكان شأنه شأن مكتشفين جغرافيين إيطاليين آخرين هم جون كابوت وجوفان يدا فيراتزانو وأميريغو فسبوتشي، راغباً في القيام بمغامرات ضخمة لإحراز نتائج لم يسبق للناس أن حملوا بها. وبمعنى آخر فإن وصول كولمبوس إلى أمريكا سنة 1492م كان من أعظم إنجازات عصر النهضة.⁽⁹³⁾

ظهرت حركة الكشوف الجغرافية كمحاولة للتخلص من الرسوم الجمركية الفادحة التي كانت تفرضها السلطات الحاكمة في مصر والشام على السلع الشرقية عند مرورها في أراضي هذين القطرين، بالإضافة إلى الرغبة في ضرب الاحتكار الذي كان يمارسه تجار جمهورية البندقية في نقل المتاجر الشرقية من موانئ مصر والشام إلى أوروبا لحرمان هذه الجمهورية من مصادر

1- 92 . أن جرانت، هارولد تمبرلي، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789-1950) // ترجمة بهاء فهمي،

أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة، 1985. ص38

93 . عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية

الأولى. -القاهرة: دار الفكر العربي، 1999. ص86

ثرائها وقوتها،⁽⁹⁴⁾ زد على الوفيرة ومن الناحية الدينية كانت هناك رغبة في تحويل سكان البلاد التي يتم اكتشافها إلى المسيحية الكاثوليكية لضرب المسلمين ضربة أخيرة. ولما بدت تباشير كشف الأمريكتين كان الحصول على الذهب والفضة والأحجار الكريمة والعبيد هدفاً رئيسياً للمغامرات الأسبانية. في الحقيقة لقد استغرق الأوروبيون في أحلام اليقظة استغراقاً ضاحكاً، فكانت هناك الرغبة في زيادة المعلومات الجغرافية⁽⁹⁵⁾ بعد ما ترامت إلى مسامع الكثيرين أخبار الرحلات الطويلة التي قام بها بعض المغامرين الأوروبيون في آسيا ما لمسوه من مصادر الرخاء والثراء في هذه البلاد. مما ألهم كثيراً من الناس وبخاصة الذين في بحثهم عن الرزق الوفير لا يستشعرون خوفاً، والذين تغلب عليهم روح المغامرة وحب الاستطلاع.

عوامل الكشف الجغرافية (ظهور الدولة الوطنية الحديثة، العوامل الدينية والأحلام لصليبية، العامل الاقتصادي، أثر النهضة) - الكشف البرتغالية ونظام الاستعمار البرتغالي - الكشف الأسبانية (كريستوف كولمبوس - كشف المكسيك، أمريكا الوسطى - بيرو) - رحلة ماجلان حول العالم (المشروع، الرحلة، النتائج) - الكشف الهولندية - الكشف الفرنسية - الكشف الإنجليزية - نتائج الكشف الجغرافية.⁽⁹⁶⁾

عصر النهضة خروج منه موضوعات مختلفة وهو أساس التغيرات الكبرى في التاريخ الأوروبي الحديث، وتعد حركة الكشف الجغرافية أهم نتيجة عملية للنهضة الأوروبية، فقد حققت هذه

⁹⁴. عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا. -القاهرة: دار النهضة العربية، 1974، ص65

⁹⁵. أحمد يوسف، محمد زبارة، مقدمة في العلاقات الدولية. -القاهرة: مكتبة الأنجلوا المصرية، 1989. ص98

⁹⁶. نبيل عبد الحميد محاضرات في تاريخ إنجلترا الحديث والمعاصر، -دمياط: كلية آداب دمياط، (منشورة بالموسوعة الحرة:

الكشوف كشف الأمريكتين وكشف الطريق البحري من أوروبا إلى الهند حول رأس الرجاء الصالح سنة 1498. وفي أثناء العصور الوسطى قبل حركة الكشف كانت معلومات أهل أوروبا الجغرافية ضئيلة ولا تتجاوز معرفة السواحل الشمالية من قارة إفريقيا وجزاً صغيراً من ساحلها الشمالي الغربي. وسادت الخرافات والأساطير عن الأرض منبسطة مركزها بيت المقدس يحيط به البحر، كما أن المحيط الأطلسي والبحار الجنوبية مأوي الشياطين والجن والوحوش، وليس باستطاعة الإنسان أن يحاول استكشاف ما فيه أو ما بعده⁽⁹⁷⁾. فقد ساد الاعتقاد بوجود صخور في البحر تجذب إليها السفن إذا ما اقتربت منها، وأن في تلك الصخور قوة خارقة تمكنها من اقتلاع مسامير تلك السفن وإغراقها.⁽⁹⁸⁾

وما من شك أن هذه التصورات كانت خاطئة وهي عبارة عن خرافات اشتملت على عنصر التخويف، إلا أنها في الوقت عينه كانت تحتوي على عنصر التشويق الذي شجع المغامرين على القيام بمغامرات في تلك البحار من أجل الوصول إلى المجهول، خاصة هذه الخرافات التي كانت سائدة في العصور الوسطى عن الجبال التي تشج منها أنوار الأحجار الكريمة والأنهار التي تجري على أرض من ذهب. وبذلك كانت حركة الكشف عاملاً هاماً في إزالة الجهل والخرافات والتبحر في مجال الفلك وتغلغله في أنحاء العالم.⁽⁹⁹⁾

⁹⁷. أشرف صالح محمد سيد، قراءة في تاريخ وحضارة أوروبا العصور الوسطى. -الطبعة الإلكترونية الأولى. -بيروت: شركة الكتاب الإلكترونية العربي، 2008. ص39 (سلسلة المؤرخ الصغير، 4).

عبارة عن كتاب جيب يتضمن أحداث المعلومات الموثقة عن ألمانيا، كتاب وكاتبات معروفون يتحدثون في عشرة أجزاء، عن مختلف نواحي الحياة المعاصرة في ألمانيا، من الاقتصاد إلى الثقافة بالإضافة إلى أرقام وحقائق، مع رسوم بيانية ممتعة لتطوراتها الزمنية.

1- ⁹⁸. "Thirty Years' War- Swedish intervention", -available in 20 January 2009 at: http://www.experincefestival.com/a/Thirty_Years_War/id/385103

⁹⁹. يسري عبد الرزاق الجوهري، الكشوف الجغرافية: دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور التفكير الجغرافي. - القاهرة: دار المعارف، 1965. ص93

ولا يعني هذا أن حركة الكشوف الجغرافية لم تعرف في السابق إلا في بداية التاريخ الحديث، فقد قام العرب في العصور الوسطى برحلات برية وبحرية إلى مناطق أفريقيا الشمالية والهند ووصلوا حتى الصين. والواقع أن العرب قد ساهموا أكثر من غيرهم في حركة الكشف الجغرافي وفي مجال المعرفة الجغرافية، ويعتبر الشريف الإدريسي من أهم الجغرافيين العرب وبعد كتابه: "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" من أفضل الكتب التي تناقش جغرافية العالم.⁽¹⁰⁰⁾

لقد كانت أوروبا في حاجة شديدة إلى البهارات والتوابل التي كانت تستورد من الشرق والتي كانت تصل أوروبا من طريق الخليج العربي، والبحر المتوسط، والبحر الأحمر، ثم دمشق والقاهرة وإلى أوروبا من طريق المدن الإيطالية. وقد فكر الأوروبين في إيجاد طريق آخر يصلون من خلاله إلى الشرق وبالتالي إنهاء عملية احتكار هذه التجارة من قبل المماليك في مصر والبندقية. فمن المؤكد أن العوامل الاقتصادية قد لعبت دوراً مهماً في دفع حركة الكشوف الجغرافية إلى الأمام.

وأيضاً من الأسباب التي شجعت البرتغاليين والأسبان رحلة ماركو بولو⁽¹⁰¹⁾ Marco Bolo من 1271 إلى 1291 وما كتبه في وصف الصين وما تتمتع به من ثروات واسعة، قد شجع هذا

¹⁰⁰ . كان للرحلات الجغرافية التي قام بها ودونها الرحالة الجغرافيون العرب والمسلمون في القرنين الرابع والخامس الهجريين مميزات واضحة لاعتمادها على المشاهدة والحس، مما حمل هؤلاء الرحالة على تدوين مشاهداتهم من خلال أسفارهم وتنقلاتهم العلمية أو الدينية أو التجارية، وساعدهم على ذلك اتساع رقعة الدولة الإسلامية التي امتدت من الصين شرقاً إلى سواحل المحيط الأطلسي غرباً ومن وسط أوروبا شمالاً إلى وسط أفريقيا جنوباً، ومن أشهر هؤلاء الرحالة المسعودي وأبن فضلان والمقدسي وابن حوقل وناصر خسرو، وقد ساهم هؤلاء في إثراء الفكر الجغرافية من خلال إنتاجهم العلمي المتنوع، سواء كان ذلك في مجال الجغرافيا الوصفية أو تأليف المعاجم والموسوعات الجغرافية، أو رسم الخرائط وإنتاج الأطالس ولمزيد من التفاصيل راجع هذه الدراسة الممتازة للدكتور خليف غرابية والتي تبرز دور هؤلاء الرحالة في إثراء التراث العربي الإسلامي بالمعارف الجغرافية المتعددة. خليف مصطفى غرابية، "الرحلات الجغرافية في التراث العربي الإسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجريين" - دورية كان التاريخية - العدد الثالث: مارس 2009. ص 8-13 (www.historickan.co.nr).

¹⁰¹ . ماركو بولو (1254-1324م) تاجر ورحالة إيطالي. ألف كتاباً أعطى الأوروبين من خلاله بعض المعلومات الأولية عن الصين التي كانت تسمى في ذلك الوقت كاثاي. ولد ماركو بولو في البندقية وكان والده نيكولو بولو تاجراً، وقد توفيت والدته وهو لا يزال صبيّاً يافعاً وفي عام 1271م سافر هو ووالده وعمه بحراً من البندقية إلى عكا في فلسطين، ومن هناك برأ إلى قصر قبلاي خان (حاكم مغولي) في شانجدو. لقد قدر قبلاي خان تجربة ضيوفة وعلمهم. وكان ماركو يعرف أربع لغات.

العمل العديد من المغامرين من أجل القيام برحلات استكشافية. وقد ساعد الشعور القومي في اسبانية والبرتغال على التوسع الخارجي وتنفيذ هذه السياسة في ظل الكشوف الجغرافية، فالبرتغال مثلاً جعلت شعارها ضرب المسلمين في غرب إفريقيا، فالعوامل الدينية كانت بارزة جداً في حركة الكشوف الجغرافية.⁽¹⁰²⁾

أرسله قبلاي خان في كثير من الجولات في أنحاء مملكته. وفي عام 1292م بدأوا رحلة العودة إلى البندقية حيث وصلوا إليها عام 1295م وقطعوا في رحلتهم من البندقية إلى الصين، ذهاباً وإياباً، مسافة 24.000كم واستغرقت تلك الرحلة 24 عاماً وعاد آل بولو من الصين محملين بالثروات التي أعطاها لهم قبلاي خان. وفي عام 1296م قام جيش جنوة بالقاء القبض على ماركو بولو وأودعه السجن، وهنا قرر بولو أن يكتب عن رحلاته فأكمل كتابه وصف العالم عام 1298م. وقد ورد في كتاب بولو معلومات عن مدى تقدم وازدهار إمبراطورية قبلاي خان. كما ورد في الكتاب مرثيات بولو عن كثير من العادات الصينية مثل التعدين واستخدام الفحم وقوداً وقد حقق الكتاب انتشاراً واسعاً في أوروبا، كما ترك أثراً في تقديرات كريستوفر كولمبوس للمسافة بين أسبانيا وآسيا. وفي عام 1299م عقدت جنوة والبندقية سلاماً بينهما فأطلق سراح بولو وعاد إلى مزاوله التجارة في البندقية واجع:

Laurence Bergreen, Marco polo, Alfred A, Knopf.- New York, 2007.

Henry H.Hart, Marco Polo: Venetion Adventurer.- University of Oklahoma Press, 1967. P89

John Larnar, Marco Polo and the Discovery of the World.- Yale University Press, 1999. P66

Marco Polo, Travels in the Land of Kulbilai Khan,- Penuin Books, 1995

Frances Wood, Did Marco Polo Go to China?,- Westview Press, 1995.

Henry Yule, The Travels of Marco Polo,- New York: Dover Publications, 1983.

¹⁰². روبرت المر، تاريخ العالم الحديث/ الجزء الأول: ترجمة محمود أمين؛ الجزء الثاني: ترجمة حسن علي ذنون. -بغداد:

مكتبة دار المتنبى، 1964. ص129

في الواقع هناك عدة عوامل أدت إلى الكشف الجغرافية ومنها؛ ظهور الدولة الوطنية الحديثة،⁽¹⁰³⁾ وهي الدول التي توحدت السلطة بها كأسباني والبرتغال وهولندا وانجلترا وفرنسا وروسيا، وشعرت هذه الدول بالعزة القومية وسعت لبط نفوذها على الأمم والشعوب الأقل ثقافة وتنظيماً منها، وذلك عن طريق الاستعمار خارج القارة الأوروبية. وبهذا فحركة الكشف كان الا يمكن قيامها في غيبة الدولة القوية، فعندما قامت هذه الدول قامت معها الكشف الجغرافية، وكان لا يمكن قيامها في ظل النظام الإقطاعي مع احتياجها للمال والسلاح والأساطيل والقوات.⁽¹⁰⁴⁾

وهناك العامل الديني والأحلام الصليبية والتعصب الديني المكروه، وهذا العامل أدى للكشف الجغرافي، فهدف البرتغال لتصير المسلمين في الشرق ودخول بيت المقدس، وهدف أسبانيا نشر المسيحية الكاثوليكية في المناطق البعيدة وتحويل الحبشة للمذهب الكاثوليكي. كما أهتم الباباوات بحركة الكشف وجعلوا من كل إقليم جديد يتم اكتشافه ملك خاص لملو البرتغال وأسبانيا، كما إصدار المرسوم البابوي القائل بـ"أذهب للشرق للقضاء على طاعون الإسلام The plague of Islam"⁽¹⁰⁵⁾، بالإضافة إلى إلى إغرائهم البحارة في الاشتراك في هذه البحوث الكشفية ليتم العفو عنهم عند الحساب في اليوم الآخر، فأمروا برسم الصليان على أشرعة السفن، وكانت الرحلات الاستكشافية معها دعاة المسيحية من رجال الطوائف الدينية لنشر المسيحية الكاثوليكية في العالم الجديد.⁽¹⁰⁶⁾

¹⁰³ . آن جرانت، هارولد تمبرلي، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789-1950)// ترجمة بهاء فهمي، أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة، 1985.ص75

¹⁰⁴ . عبد الفتاح حسن أبو عليّة، تاريخ أوروبا وأمريكا الحديث. -الرياض: دار المريخ، 1979.ص43

¹⁰⁵ . جاد طه، محاضرات في تاريخ الحديث، - الطبعة الأولى - القاهرة كلية الآداب - جامعي عين شمس، 1997، ص85. (غير منشورة).

¹⁰⁶ . منذ أن تم للمسيحيين القضاء على نفوذ المسلمين بالأندلس، بدأت مرحلة تتبّع المسلمين في كل مكان في البر والبحر وإلى شمال أفريقيا ومن ثم التفكير بتطويق المسلمين في الجنوب ونشر المسيحية بينهم لكي لا يفكروا في العودة إلى الأندلس مرة

وفي اسبانيا عام 1469 تزوج فرديناند من ايزابيلا وتكونت اسبانيا الموحدة، وقام الملكين الكاثوليكين بمحاربة من لا يدين بالمذهب الكاثوليكي. وكانت أول الأعمال التي قاموا بها الاستيلاء على غرناطة وإجلاء المسلمين عن الأندلس وتكوين مملكة إسبانيا قوية محاربة للإسلام⁽¹⁰⁷⁾ ويذكر أن البابا نيقولا الخامس (1447-1455) كان يود عودة بيت المقدس المسيحية، فأرسل لملك البرتغال مرسوماً باباويماً به ما يعرف "بخطة الهند" لإرسال حملة صليبية نهائية للقضاء على الإسلام، وتطوير البلاد الإسلامية بالتعاون مع الملوك المسيحيين في أفريقيا وآسيا.⁽¹⁰⁸⁾

أخرى، وهكذا أصبحت اسبانيا والبرتغال نصيرة المسيحية المتعصبة وراعيتهما في القرن العاشر الهجري- السادس عشر الميلادي، فقد اتخذ الصليبيون من الرحلات الكشفية وسيلة فعالة للوصول إلى قلب العالم الإسلامي الذي ازداد حقد الغربيين عليه بعدما تمكن حمد الثاني (الفتاح) سنة 1453م/867هـ من فتح القسطنطينية وتردد صدى هذا الفتح في اسبانيا كما تردد في كل أنحاء أوروبا المسيحية فقد كان لهذا النصر العثماني أثر على حركة الكشوف الجغرافية أنظر: سعود الزيتون الخالدي، "المقاومة الخليجية ضد التنصير". - مجلة الواحة- العدد الثامن: متاح بتاريخ 26 ابريل 2009، -على الرابط: (<http://195.173.191.171Lissue8Lis08sb13.htm>)

¹⁰⁷ . مملكة غرناطة: هي آخر مملكة عربية سقطت في اسبانيا، واستطاعت أن تقاوم حتى عام 1492، على الرغم من الحصار الذي فرض عليها من جميع الأطراف، وشاركت أوروبا أيضا في حصارها وفي إمداد المساعدات للجيش الإسباني في حرية ضد مملكة غرناطة، حتى اضطر الملك أبو عبد الله الصغير إلى عقد صفقة الصلح مع ملكة إسبانيا ايزابيلا الكاثوليكية، مقابل حفظ حقوق العرب في غرناطة، ومنها المحافظة على أملاكهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وحق العبادة، وحرية أداء الاحتفالات والطقوس، والمحافظة على اللغة العربية وغيرها، ووعدته الملكة ايزابيلا بكل ذلك، ولكن هذا لم يتحقق إلا لبضع سنين، إذ سرعان ما أعلن الكاردينال ثيسنيروس عام 1501 ضرورة تحويل المسلمين الى مسيحيين بالقوة، وقام بحرق القرآن الكريم في ساحة الرملة وسط غرناطة بموافقة الملكة ايزابيلا الكاثوليكية، وتم صدر قرار يمنع استعمال اللغة العربية، ومنعهم من إجراء أي نشاطات خاصة تلك المتعلقة بدينهم أو عاداتهم أو تقاليدهم، وحتى ملابسهم، مما أدى إلى قيامهم بثورة ونشبت حرب أهلية في غرناطة، ولكن السلطة استطاعت إخمادها بالقوة. واستمرت حركات المسلمين بين فترة وأخرى، ضد نقض الاتفاقيات والوعود التي وعدوا بها، حتى نشبت حرب أهلية أخرى في عهد الملك فيليبي الثاني، وعندها قرر الملك طردهم نهائيا من إسبانيا بمرسومه المشهور عام 1609، أي قبل 400 عام، وتسبب القرار في كارثة إنسانية كبيرة، وتوفي الكثير منهم في الطريق راجع: مقال بعنوان "معرض لإحياء ذكرى خروج العرب والمسلمين من غرناطة". صحيفة "الشرق الأوسط" الأربعاء 23 صفر 1430هـ فبراير 2009 العدد 11040. أشرف صالح محمد سيد، مقال بعنوان "الأندلس المجد الزائل" مجلة نسמת، العدد الثاني ابريل 1420هـ/2000م، القاهرة 2000، ص7.

¹⁰⁸ . عبد الفتاح مصطفى غنيم، نحو فلسفة السياسة: النظم والنظريات والمذاهب السياسية: أصولها وتطورها التاريخي. - 1989، ص18.

أما العامل الاقتصادي في الكشوف الجغرافية، فهو أبو العوامل الفعالة في حركة الإنسان على ظهر الأرض، فالرغبة في الربح التجاري والعثور على طريق للتجارة مأمون مع الشرق وبدلاً من سيطرة الإمبراطورية العثمانية على طريق التجارة القديمة مع الشرق. وبذلك لم يكن العائد من الكشوف عمل علمي حقيقي توقف عند حد العلم، ولكن الرغبة في العثور على الفضة والذهب وأشياء أخرى مثل الغلات الزراعية (الكاكو- الدخان) والتي لم تكن معروفة في أوروبا. وقد اتفق هذا مع قيام الدولة الوطنية الحديثة فنشطت حركة التجارة مع الشرق، وظهرت آثار العامل الاقتصادي في الكشف والاستعمار من أواخر القرن الخامس عشر حتى الآن.⁽¹⁰⁹⁾

هذا إلى جانب عوامل أخرى؛ خاصة يجب المغامرة والنهضة والكشف والرغبة في الكسب المادي والثراء السريع، وهذه علمت الناس عدم تقبل الأشياء السائدة مثل الجن وغيرها من الأساطير، ورغبة البعض الآخر من الناس في أن يحي حياة مليئة بالحوادث والمغامرات. كما رغب البعض في الهجرة إلى بلدان مأمونة وأماكن جديدة يستطيعون فيها ممارسة شعارتهم الدينية، كل هذا أدى لقيام حركة الكشف بجانب العوامل السابقة الأخرى⁽¹¹⁰⁾.

وتجدر الإشارة إلى؛ أثر النهضة الأوروبية في تقديم العلومات الجغرافية وارتقاء فن الملاحة Navigation وتقدم صناعة السفن، واستخدام البوصلة البحرية وآلة الإسطرلاب، واستخدام

1- 109 . محمود بيومي، مقال بعنوان "المسلمون في الفيين"، -متاح بتاريخ 25 مارس 2009 على الرابط:

www.al-mahmoud.net/prol/art/wrd/27145/

1- 110 . عبد الجليل شلبي، مقال بعنوان حضارة العرب في صقلية وأثرها في النهضة الأوروبية" منشور بمجلة الأمة،

العدد 27، ربيع الأول 1403هـ، و متاح بالفسطاط: المجلة التاريخية بتاريخ 8 يناير 2009 على الرابط:

(http://www.fustat.com/l_hist/sicily.shtml)

البارود مما جعل من السهل القضاء على مقاومة الأهالي، كل ذلك شجع المغامرين على القيام بهذه الرحلات ولولا هذا التغيير الكبير لما قامت رحلت الكشف الجغرافي⁽¹¹¹⁾.

مما سبق نتبين أهمية الكشوف الجغرافية في ما حققته من أعمال جليلة أفادت الأوربيين وساعدتهم في النهضة والتقدم التي تعيش فيها حتى عصرنا الحالي، ولكن حركة الكشوف جاءت على القبض في الشرق، فحدث الاضطهاد المسيحي للمسلمين، وجهود البرتغاليين والأسبان لنشر الدين المسيحي لسكان المناطق التي يتم اكتشافها. ومع كل ذلك فهذه الحركة الكشفية قد قلبت كثير من الموازين في العالم بإثباتها لحقائق جليلة وقيمة، مثل ذلك إثبات كروية الأرض، وهذا ما زعمه البابا في أنها مسطحة، وقد كانت هذه الحقيقة غير معروفة حتى أثبتتها ماجلان في رحلته حول العالم⁽¹¹²⁾.

إن الكشوف موضوعات سابقة على الاستعمار وهي التعرف على مجاهل جغرافية في العالم ومناطق لم تعرف والكشوف الجغرافية أحد نتائج النهضة الأوربية. وأول دولة اهتمت بالكشوف وبحركة البعوث الكشفية الجغرافية⁽¹¹³⁾ هي البرتغال ثم أسبانيا وكان من أهداف الكشوف البرتغالية وتحويل المسلمين في غرب أفريقيا وغيرها من المناطق الآهلة بهم إلى المسيحية الكاثوليكية، وقد بدأت تظهر البرتغال كدولة بحرية في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وبدأت تشكل قوة بحرية في الأطلنطي، وظهرت أساطيل بحرية برتغالية وأصبحت لشبونة

¹¹¹ . خالد عبد العزيز الفرج، بحث بعنوان "تحول الفكر في أوروبا". سمتاح بتاريخ 10 أبريل 2009 على الرابط:

www.cba.edu.kw/hasan/Europeldeology.doc

¹¹² . عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية

الأولى - القاهرة: دار الفكر العربي، 1999. ص55-58.

¹¹³ . مقال بعنوان "معرض لإحياء ذكرى خروج العرب والمسلمين من غرناطة". - صحيفة "الشرق الأوسط". العدد 11040،

الأربعاء 23 صفر 1430 هـ - 18 فبراير 2009. ص59

ميناء بحري هام لوقوعها في منتصف الطريق بين موانئ البحر المتوسط والموانئ الواقعة على شاطئ المحيط الأطلسي. (114)

الواقع أن تاريخ هذه الإمبراطورية يمر بثلاثة أدوار؛ الدور الأول (1415-1457) في عهد الملك يوحنا الأول يخرج أسطول من البرتغال في 1415م يغزو ويستولى على سبته وقد شارك في هذا الغزو الأمير هنري الملاح بن يوحنا الذي عين رئيساً لفرسان المسيح مكافأة له، (115) وكان هنري يريد أن يكمل غزو بلاد المغاربة وتطهير الشواطئ الأفريقية الشمالية من القراصنة ولكنه حاول غزو ميناء طنجة وفشل في الاستيلاء عليه، فحول جهوده لاحتلال الشواطئ المراكشية على المحيط الأطلسي وأفريقية الشمالية ابتداءً من نهر السنغال ثم الاستيلاء على بلاد غانا وتشبيد إمبراطورية يشرف عليها فرسان المسيح. (116)

وكان الأمير هنري الملاح 1394-1460م ترتبط بحياة الأمير هنري حركة الكشف والتوسع البرتغالي، وهو الابن الثالث لملك البرتغال يوحنا الأول. وقد كان هنري متديناً شديداً التعصب، أهتم منذ صباه بالدراسات الجغرافية والفلكية، وقد استطاع هنري أن يحقق قبل واته - ارتياد ثلث الساحل الأفريقي الغربي، وأقام البرتغاليون عليه نقطاً حصينة اتخذوها مراكز حربية وتجارية لهم. (117)

¹¹⁴ . أشرف صالح محمد سيد، مقال بعنوان "الأندلس المجد الزائل". -مجلة نسمات. -العدد الثاني ابريل 1420هـ، 2000م. -القاهرة 2000. ص44

¹¹⁵ . شمس الدين الكيلاني، مقال بعنوان "تلمس ابن خلدون للنهضة الأوروبية". -موقع مرافئ: صفحة دراسات في المجتمع المدني. -متاح بتاريخ ديسمبر 2002 على الرابط:

<http://www.marafea.org/paper.php?source=akbar&mlf=copy&sid=17677>

¹¹⁶ . محمد خليفة، مقال بعنوان "أوروبا من الإمبراطورية البرتغالية إلى المجهول". -جريدة إيلاف (لندن) 0 بتاريخ 12 يونيو

2005 على الرابط: (<http://www.elaph.com/ElaphWeb/NewsPapers/2005/6/68679.htm>)

¹¹⁷ . مقال بعنوان "أوروبا لا تدين بتطورها للمسلمين"، شبكة الإعلام العربية، -متاح بتاريخ 26 أبريل 2008 على

الرابط: (http://www.moheet.com/show_news.aspx)

وكان تنفيذ هذا المشروع يتطلب نفقات عظيمة فعمد البرتغاليون في رحلاتهم لصيد الرقيق والتجارة به لتمويل المشروع، وأيضاً ساعد ذلك على نشر المسيحية في بلاد غانة. ومن هذا يتضح أن نشر المسيحية كان من العوامل التي دفعت هنري الملاح لوضع نواة الإمبراطورية البرتغالية في أفريقيا. ومما يذكر أنه في أيام هنري احتل البرتغاليون ماديرا وجزر الأزورا ووصلوا لمصب السنغال والرأس الأخضر وبعد وفاة هنري 1460م اجتاز البرتغاليون خط الاستواء إلى رأس سان كاترين San Kathrin⁽¹¹⁸⁾.

أما الدور الثاني خلال الفترة (1497-1515)؛ وهذه الفترة هامة لأن البرتغاليون سيصلون لأراضي التوابل في الشرق الأقصى والبلاد ذات الحضارة القديمة، والبلاد الغنية بالشاي والحريز والسجاجيد والصيني. ولقد حمس كريستوفر كولومبس الأسبان للاتجاه نحو الغرب والأمريكتين وأدى نجاح ذلك لاتجاه البرتغاليين نحو الشرق.

فقام فاسكو داجاما Vasco da Gama عام 1497م بأول رحلاته للوصول إلى الهند بطريق يدور حول أفريقيا، فغادر لشبونة واجتاز رأس الرجاء الصالح ووصل إلى مالندي ثم ساحل الملبار بالقرب من قاليقوت التي كانت مركزاً هاماً لتجارة التوابل في الهند، وقد كان العرب المسلمون ينقلون إليها الأحجار الكريمة والمنسوجات على مراكبهم ثم يحملون منهم التجارة إلى هرمز وعدن، ولقد عاد البرتغاليون عن طريق مالندي تجنباً للتشابك مع العرب⁽¹¹⁹⁾.

¹¹⁸. لمزيد من التفاصيل عن الأمير هنري الملاح يراجع:

. لمزيد من التفاصيل عن الأمير هنري الملاح يراجع:

Richard Henry Major, The discoveries of Prince Henry, the Navigator, and their results London: Sampson, 1877.

J.P.Oliveira Martins, The golden age of Prince Henry the Navigator, London: Chapman and Hall. 1914. P63

Peter E. Russell, Prince Henry "the Navigator": a life. New Haven/; Yale University Press, 2000.P95

¹¹⁹. جاد طه، محاضرات في تاريخ أوروبا الحديث. -القاهرة:كلية الآداب- جامعة عين شمس، 1997. (غير منشورة، 403

وقد كشفت رحلة فاسكو داجاما عن طريق الهند ضرورة القضاء على العرب المسلمين في هذه البحار للاستفادة من تجارة التوابل. وفي عهد الملك عمانويل السعيد ملك البرتغال سنة 1500م خرج كابرال في رحلة وصلت للبرازيل عند خط عرض 16 جنوباً عن طريق الصدفة ثم استأنف رحلته ووصل إلى قاليقوت وأشتبب مع العرب فخرّب قاليقوت ثم عاد إلى البرتغال، ثم أرسل السعيد حملة أخرى بقيادة فاسكو داجاما.⁽¹²⁰⁾

فخرج داجاما سنة 1502م في رحلته الثانية وكان الغرض من الرحلة الانتقام من العرب والمسلمين والقضاء على سلطته الزامورين حاكم قاليقوت وإرغامه على قبول السيادة البرتغالية وجعل السيطرة على تلك البحار من نصيب البرتغال. وقام داجاما بضرب قاليقوت وقتل الزامورين، فهدد حاكم قاليقوت الجديد بإنزال العقوبات بالمسيحيين مثل حرق الكنائس، ولكن داجاما قام بعقد معاهدات تجارية في صالح البرتغال مع الأمراء في كنانور وكوشين، وترك أسطولاً صغيراً في مياه الهند وعاد إلى أوروبا.⁽¹²¹⁾

وعندما شرع العرب المسلمون في البحث عن طريق آخر إلى متاجر الشرق الأقصى متحاشين ساحل الملبار الذي يسيطر عليه البرتغاليون، قرر البرتغاليون الاستيلاء على مفاتيح الشرق

¹²⁰ . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، -القاهرة، 1986.ص44

¹²¹ . لمزيد من التفاصيل يراجع:

يوميات رحلة فاسكو داجاما وتقرير رحلة دوز سانتوس/ ترجمة ودراسة عبد الرحمن عبد الله الشيخ:- الطبعة الأولى. - القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1995. (115صفحة)، (الألف كتاب الثاني؛ 170).
رغم كثرة ماكتب عن رحلة فاسكو داجاما وأهميتها في تاريخ منطقتنا العربية وأثارها الخطيرة، لكن نص هذه الرحلة الأصلي لم يترجم، وهذه هي المحاولة الأولى لتقديم هذا النص الهام لرحلة داجاما، كما يضم الكتاب جانباً من نص رحلة القس الدومنيكاني دوز سانتو الذي وصل من لشبونه إلى موزنبيق، فيعد نص رحلة سانتوس ونص يوميات داجاما هما أهم نصين متاحين عن الجهود الكشفية البرتغالية في السنوات الأخيرة من القرن الخامس عشر وطوال القرن السادس عشر.
وعن تفاصيل معركة دديو البحرية فبراير 1509م :

الأقصى ومراكز المسلمين في الشاطئين الأفريقي والعرب وهرمز وعدن وفرض الإتلاوات الكبيرة في تلك الجهات حتى تتحول التجارة إلى المراكز البرتغالية.⁽¹²²⁾

ومعنى خطة البرتغاليين الجديدة مهاجمة الملاحة الإسلامية في جميع وجوه نشاطها بدلاً من مناصبة العداء لأمير واحد، وإنشاء مركز جديد هام على ساحل الملبار يكون بمثابة نواة تجارية لإمبراطورية شرقية، وقد قام على تنفيذ هذه السياسة فرانسوا الميدا والفرنسوا البوكيرك.

وكانت خطة فرانسوا الميدا تتمثل في الاكتفاء بالسيطرة على البحار الهندية فقط، وإنشاء محطات لتموين وحماية الأسطول، ولا يؤسس البرتغاليون أية مستعمرات. حيث أن إنشاء المحطات يحتاج إلى أقل عدد ممكن من القوات البحرية لضمان التجارة في هذه البحار، بينما تأسيس المستعمرات يحتاج إلى مجهودات كبيرة وقوات عظيمة وتوزيع القوى فيكون من المتعذر الدفاع عن المراكز والحصون البرتغالية إذا كثر عددها.⁽¹²³⁾

وقد نفذ الميدا برنامجه وأنشأ المحطات ونشر النفوذ البرتغالي، ثم اشتبك مع المسلمين وحلفائهم من المصريين وانتصر عليهم في موقعة ديو البحرية 1059⁽¹²⁴⁾ وفي طريق عودته قتل في معركة دارت في مكان مدينة الكاب الحالية في أفريقيا. وتمثلت خطة البوكيرك في ضرورة السيطرة على بحار الهند باحتلال المنافذ البحرية الموصلة إليها أي احتلال مدخل البحر الأحمر ومدخل خليج العربي. فاستولى على مسقط 1507 ثم سلمت إليه هرمز، ثم استولى على جوا

¹²² . عزلمو يوسف بك أصفاف، تاريخ سلاطين بني عثمان: من أول نشأتهم حتى الآن/ تقديم محمد زينهم. - الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة مديولي، 1995. ص34

¹²³ . محمد مخزوم، مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي (عصر النهضة). - الطبعة الأولى. - بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، 1983. (360 صفحة).

¹²⁴ . Clifford J. Rogers, Readings on the Military Transformation of Early Modern Europe.- San Francisco: Westview Press, 1995. Pp.299-333.

"الواقعة على ساحل الملبار" واستولى على ملقا، وقد حاول الاستيلاء على عدن للسيطرة على البحر الأحمر لكنه فشل. (125)

وبالنسبة إلى الدور الثالث من تاريخ الإمبراطورية (1551-1583)؛ فقد حاول خلفاء البوكيرك صيانة المراكز التي أوجدها والمحافظة عليها والسير على سياسته، ولكنه من منتصف القرن السادس عشر دب الضعف في الإمبراطورية بسبب النزاع بين البرتغال ودول المماليك والدولة العثمانية، وانتشار النفوذ الأسباني في البرتغال واستيلاء ملك اسبانيا الثاني على عرش البرتغال بعد موت ملكها هنري، وإهمال الأسبان شأنها فأدى ذلك إلى مهاجمة الهولنديون للمراكز البرتغالية. (126)

ويمكن إجمال نظام الاستعمار البرتغالي في نقاط كالتالي:

- غرض البرتغال الاستحواذ على تجارة التوابل واحتكارها فاصطدموا مع العرب المستأثرين بهذه التجارة وزادت الاختلافات الدينية من حدة هذه الاصطدام.
- كان البرتغاليين يريدون بسط نفوذهم على ساحل الملبار "مركز تجارة التوابل" والسيطرة على الملاحة في البحار الهندية، ويتضح ذلك من نشاط كل من فاسكو داجاما وفرانسوا الميدا والفرنسوا البوكيرك. (127)

¹²⁵. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط. -القاهرة: دار المعارف، 1965. ص37

¹²⁶. عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية. -الطبعة الثانية. -القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1998. (الأعمال الفكرية، مشروع مكتبة الأسرة).

¹²⁷. أشرف صالح محمد سيد، قراءة في تاريخ وحضارة أوروبا العصور الوسطى. -الطبعة الإلكترونية الأولى. -بيروت: شركة الكتاب الإلكترونية العربي، 2008. (سلسلة المؤرخ الصغير، 4).

• جهودهم في إنشاء المحطات المسلحة التي تمون أساطيلهم وتراقب منافذ البحار الهندية وحرستها واتخاذها مراكز لتجارة التوابل، لذلك فوصف هذه المراكز بالإمبراطورية مع ما يستلزم إنشاء إمبراطورية من تنظيم واستقرار أمر لا يصور الحال على حقيقته.

• أدى نظام الحكم البرتغالي في المناطق المستعمرة إلى ضياع هذه الإمبراطورية وانحلالها، فقد جمعت السلطة في يد نائب الملك وكان شبيهاً بالوالي في مصر، وكان لا يمكث في الحكم أكثر من ثلاث سنوات فكان كره السكان للحكم البرتغالي بسبب جمع الثروات بالشدة في هذه الفترة، أضف إلى ذلك التعصب الديني أيضاً لأنهم فرضوا الديانة المسيحية الكاثوليكية، كما ادخلوا محاكم التفتيش "فمن لم ينتصر تصدر ضده حكم يفيد أن هذا الإنسان ليس كاثوليكي فيقوموا بإحراقه حياً".

الجدير بالذكر؛ أن البرتغال نفسها لم تتغير برغم هذه الإمبراطورية الضخمة، فمع أن لشبونة كانت العاصمة تعيش في رخاء وازدهار بسبب تجارة الهند، فإن داخل البلاد كان في تأخر. (128)

فالأسطول والحملات والحروب تحتاج لأيدي عاملة فعمدوا إلى تجنيد الفلاحين، فخويت الأرض واستخدموا الرقيق، وانتشر البؤس في البلاد وعاش كافة الشعب في فقر على الرغم من ثراء البرتغال. (129)

في النصف الثاني من القرن السادس عشر، بدأ الوهن والضعف يدب في عظام الإمبراطورية البرتغالية، ويمكن رد ذلك إلى النظام الاستعماري البرتغالي، فكما قدمنا سابقاً، لم يكن الاستعمار البرتغالي ذلك الاستعمار الذي يوطد أركانه بالتعمير والبناء، وإنما اتجه

¹²⁸. كتاب حقائق عن ألمانيا: عشرة أجزاء. -متاح بتاريخ 2009/4/16 على الرابط: ([http://www.tatsachen-ueber-](http://www.tatsachen-ueber-deutschlanl.de/ar/home1.html)

[deutschlanl.de/ar/home1.html](http://www.tatsachen-ueber-deutschlanl.de/ar/home1.html)

¹²⁹ . For more details about portuguese Empire see: Russell-Wood, A.J.R.- The Portuguese Empire 1415- 1825,- John Hopkins: University Press, 1998.

البرتغاليون⁽¹³⁰⁾ إلى جمع أكبر قدر من الأموال وذلك عن طريق إتاوات والضرائب، الأمر الذي أثقل كاهل السكان وأرهقهم كثيراً، أضف إلى ذلك أسلوب التعامل مع السكان الأصليين والذي اتسم بالعدوانية والظلم والجور، ولقد كانت هذه عوامل أدت إلى أن تكون السيطرة البرتغالية على مستعمراتها سيطرة هشة، ومرفوضة من قبل السكان الأصليين.

أضف إلى ذلك؛ الصراعات البحرية للبرتغاليين وخصوصاً مع العثمانيين، فقد كانت البحار ميداناً لقيام صراعات دولية كثيرة، ومن أطراف متعددة، ومن بين هذه الأطراف البرتغال، فقد اتسعت رقعة الإمبراطورية، ما كان له أثر سلبي على البحرية البرتغالية، إذ أنها استنزفت في معارك وصراعات كثيرة ومع أطراف متعددة، ومن بينها الدولة العثمانية، كما انتشر النفوذ الإسباني في البرتغال نفسها، حتى استطاع الملك الإسباني فيليب الثاني احتلال البرتغال بعد وفاة الملك هنري. زاد على ذلك؛ تدخل الهولنديين في شؤون المستعمرات البرتغالية حتى أنهم أنشئوا شركة الهند الشرقية الهولندية.⁽¹³¹⁾

¹³⁰ . أحمد عبد الرحيم مصطفى، محمد أحمد حسونة، أصول العالم الحديث. - القاهرة: مطبعة جريدة الصباح، 1958، ص 56

¹³¹ . شركة الهند الشرقية الهولندية شركة تجارية ضخمة أسهمت في توطيد الحكم الهولندي فيما يعرف الآن بإندونيسيا. ومنحت الحكومة الهولندية في عام 1602م الشركة حق احتكار حركة التجارة بين آسيا وهولندا. وقد حصلت الشركة أيضاً على صلاحيات حكومية وعسكرية واسعة النطاق، كان من بينها حق السيطرة على الأراضي وخوض الحروب في آسيا. ونجحت الشركة بحلول القرن الثامن عشر الميلادي في السيطرة على تجارة القرفة والقرنفل وجوز الطيب في شرقي الهند. وكان للشركة فروع تجارية عديدة في كثير من البلدان الآسيوية، وسيطرت الشركة أيضاً على أجزاء مما يعرف الآن بجنوب إفريقيا وسريلانكا ومعظم إندونيسيا الحالية، وقد تزايد في القرن الثامن عشر حجم الطلب على المنسوجات من الهند والشاي من الصين والقهوة من الجزيرة العربية وجاوه، وأصبح الإقليات عليها أكبر من الإقبال على التوابل. وقد واجهت شركة الهند الشرقية الهولندية منافسة قوية من شركة الهند الشرقية البريطانية ومن سائر الشركات التجارية. ولكن الشركة أفلست ثم ألغيت عام 1799م. يراجع:

في الحقيقة؛ قامت البرتغال بكشوفها على يد برتغاليين، ولكن الأسبان قامت استكشافاتهم على يد أجانب وكان كريستوف كولمبوس (1451-1506)⁽¹³²⁾ إيطالي درس الملاحة عملياً ودرس الخرائط وخرج من قراءاته ودراساته بفكرة فحواها أن الوصول للهند يمكن عن طريق السير للغرب. حيث أنه إذا أبحر غرباً من مضيق جبل طارق عبر المحيط الأطلسي استطاع أن يصل الشواطئ الشرقية لآسيا، ولم يعبأ بالخرافات السائدة في ذلك الوقت والقائلة "بأن من يتوغل غرب أسبانيا معناها نهاية العالم، وأن المحيط الأطلسي طبقاً للأساطير به كائنات غريبة وجن ومياه تتحول لنيران مشتعلة، وأن هذا المحيط نهاية سطح الأرض".⁽¹³³⁾

ولقد رفض مشروع كولمبوس من ملوك البرتغال وفرنسا، ولكنه عرض مشروعاً على الملكين الإسبانيين وأخبرهم بأنه سوف يتقدم غرباً ويصل لطريق التوابل، وبعد خمس سنوات من الدراسة رفض مشروعته فتقدم مدة أخرى لملكي إسبانيا واستعان بأحد رجال الدين وسيدة ذات حظوة كبيرة لدى الملكة فوافقا على مشروع كولمبوس لأسباب دينية واقتصادية.¹³⁴

وتتمثل الدوافع الدينية في الرغبة في تحويل سكان البلاد الأصليين للمسيحية، حيث كان الإسلام سبباً بالنسبة لدول غرب أوروبا فيهدد بالويل وبمثابة خطر على الأبواب بالنسبة لآسبانيا والبرتغال، فكان رد الفعل أن الملكين الكاثوليكيان يكرهان الإسلام فكانت التعليمات لكولمبوس

¹³² . جلال يحيى، جاد طه، معالم التاريخ الأوربي الحديث: دراسة لتطور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في القارة الأوروبية وعلاقتها مع العالم. -الإسكندرية: منشأة المعارف، 1974. ص33

¹³³ . مجموعة باحثين، أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، دراسة بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو). -القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970. (466 صفحة).

¹³⁴ . بيير رنوفان، تاريخ العلاقات الدولية: القرن التاسع عشر (1815-1914)// ترجمة جلال يحيى - القاهرة: دار المعارف، 1978.

التقدم غرباً لتنصير المسلمين والتمهيد لحملة إلى بيت المقدس. وتمثلت الدوافع الاقتصادية في جلب الأموال لثراء البلاط الأسباني وضم بلاد جديدة لأسبانيا والحصول على منتجاتها.⁽¹³⁵⁾

في 3 أغسطس 1492م خرج كولمبوس من أسبانيا بثلاث سفن على رأسها سفينة سانتا ماريا Santa Maria وكان يقودها. ومضت الأيام والاسباع لا يعثرون على الأرض فحل اليأس على البحارة المرافقين له حتى ظهرت الأرض لأول مرة، وكانت الأرض هي جزيرة من جزر الساحل الأمريكي الشرقي "بهاما" لم تكن معروفة للعالم في ذلك الوقت واعتقد كولمبوس أنه وصل لجزء الهند الشرقية. كان في 12 أكتوبر 1492 فنزل عليها مع الضابط والبحارة وكان كولمبوس يحمل الشعار الملكي، والضابط يرفعون علمين الصليب الأخضر والأحرف الأولى لكل من فرديناند وإيزابيلا.⁽¹³⁶⁾

وينادي كولمبوس أن هذه الجزيرة تابعة للعرش الأسباني، ثم وصل إلى كوبا وسماها أسبانيولا أي أسبانيا الصغيرة الجديدة، وعاد كولمبوس إلى أسبانيا والسفينة تحمل سلع غريبة عن أسبانيا مثل البطاطس والكاكاو والدخان والبن، كما حمل معه بعض سكان أمريكا الجنوبية وعندما وصل أنعمت عليه الملكة بلقب أدميرال.⁽¹³⁷⁾

ولقد قام كولمبس بثلاث رحلات خلال الأعوام (1493-1498-1502) للساحل الشرقي الأمريكي قرب بنما وشاطئ أمريكا الجنوبية، كما كشف جزر أخرى من جزر الهند الغربية، كل ذلك وهو مقتنع بأنه وصل لشرق الهند وأنه سوف يصل الطريق التوابل، وأنه اكتشف جزء

¹³⁵ شارل اندرى جوليان، تاريخ أفريقيا/ ترجمة طلعت عوضى أباطة عبد المنعم ماجد القاهرة: دار نهضة مصر، 1968.

ص168.

¹³⁶ . شوقي ضيف، محاضرات بعنوان "تأثير الثقافة العربية في الثقافة الغربية الحديثة، مؤتمر مجمع اللغة العربية: الدورة

الثامنة والستين. -القاهرة، مارس 2002.ص36

¹³⁷ . رتبة مثل الرتبة العسكرية اللوء.

في المحيط الهادي. ويذكر أن كولمبوس كان يرتدي الزي الديني الخاص بطائفة الفرنسيسكان وقد رسمت الصليبان على أشرعة السفن التي أقلته في رحلاته.⁽¹³⁸⁾

وكان نجاح رحلة كولمبوس الكشفية يعني ظهور منافس للبرتغال التي كانت حريصة على الاحتفاظ بالأقاليم الجديدة ملكاً لها، وحازت البرتغال على مرسوم بابوي يمكنها بمقتضاه التوسع شرقاً والاستيلاء على طريق التوابل والبلاد التي تكتشف، فبدأت المشاحنات بين الدولتين (البرتغال وأسبانيا)⁽¹³⁹⁾ ولجأ كل منهم إلى بابا روما فتصور البابا خط وهمي من القطب الشمالي للقطب الجنوبي وعلى بعد 100 فرسخ غرب الجزر الواقعة في أفريقيا، ويكون لأسبانيا الأقاليم غرب هذا الخط وللبرتغال الأقاليم شرق هذا الخط. فاعترضت البرتغال فنقلها الخط الوهمي 360 فرسخاً غرباً وأصبحت البرازيل برتغالية ورضت أسبانيا بهذا التقسيم، ولكن دول أخرى شكت وهاجمت هذا القرار (فرنسا، إنجلترا، هولندا) ووصفوا ذلك بأنه اعتداء وقع على حرية البشر فكيف يقسم العالم على دولتين، ولقد كان البابا يحب الدولتين لأن كلاهما كاثوليكيتين وأكثر الدول له، ولهذا أبرمت معاهدة تورد سيسلاس في 1494 بين أسبانيا والبرتغال لتثبيت هذا الخط الوهمي بينهما.⁽¹⁴⁰⁾

الجدير بالذكر؛ أن كولمبس في الرحلة الأخيرة قام بشحن شحنات آدمية من تلك الجزر وشجع تجارة الرقيق، والمسيحية لا توافق على نظام الرقيق أساساً ولا نظاماً وتجارة، فكان ذلك سبب للهجوم عليه في البلاط وأمر ربان السفينة بتقييد كولمبوس وتكيله بالأغلال لأنه أساء استخدام السلطة، وقيل أنه عاش بقية حياته منزوياً وقد أمر أن تدفن معه الأغلال في مدفنه ويكتب على قبره أنه مات ظلوماً، ولكن عندما توفي كولمبوس عام 1506 كتب المواطنون على مقبرته "ذلك الذي أعطى أسبانيا عالماً جديداً"⁽¹⁴¹⁾

¹³⁸ . مما يذكر هنا أن؛ أريجو فيزوبوتشي الرحالة الإيطالي أكد أن المكتشف ليس آسيا ولا الهند وإنما عالم لم يكتشف من قبل فأطلق اسمه على القارتين.

¹³⁹ . Bernard Guillemain, Les papes d'Avignon (1309-1376). -du Cerf, Paris, 2000 .

¹⁴⁰ . John Dillenberger, Martin Luther: Selections from His Writings, -New York: Doubleday, 1951 .

¹⁴¹ . ولمزيد من التفاصيل يراجع:

الواقع أن؛ الوجود الأسباني في أمريكا الجنوبية كان وجود هائلاً فهناك حملات استكشافية اكتشفت عدة أماكن نذكر منها المكسيك وأمريكا الوسطى وبيرو. ففي عام 1519م توجه فرناندو كورتيز لغزو المكسيك وكانت تسكنها قبائل الهنود الحمر "الأزتك أو الأزاتكة" وهم قم ذو حضارة عرفوا الزراعة وعبدوا الشمس،⁽¹⁴²⁾ ولكن كورتيز ألقى الرعب في قلوبهم فكانوا لا يعرفون الخيل ولا المدفعية وكانوا بالنسبة للأسبان شعب متخلف. وقد استولى كورتيز على مساحات كبيرة من أراضي المكسيك وانشأ ميناء وزحف على العاصمة وعزل ملك المكسيك بعد هزيمته، واستولى على كثير من الذهب والفضة فكانت المكسيك عاصمة الفضة وكان كل هذا في حوزة أسبانيا، حيث أصدر شارل الخامس إمبراطور الدولة الرومانية مرسوم بتعيين كورتيز حاكم عام على "أسبانيا الجديدة" وهو الاسم الذي أطلقه الأسبان على المكسيك. وبفضل سلاح المدفعية وسلاح الفرسان تقدم الأسبان لأمريكا الوسطى وأسسوا عدة مدن جديدة بها.⁽¹⁴³⁾

أما كشف بيرو فيرتبط بالمغامر الأسباني فرانسوا بيزار هذا الرجل كان يجهل القراءة والكتابة وكان فقير وطموح جداً، وعندما سمع عن الذهب والفضة اتجه إلى جزر الشرقية لأمريكا الجنوبية على رأس مائة من أتباعه فوجد هناك قبائل الإنكا، عبدوا الشمس وكانت لهم طقوس خاصة ويعيشون في بداية ولا توجد لهم عمله ولكن نظام المقايضة. ومن الغريب أنه عام 1529م جعل ملك اسبانيا من فرانسوا حاكم على بيرو وبفضل ذلك فتح فرانسوا ما تبقى من

عبد الفتاح حسن أبو عليّة، تاريخ أوروبا وأمريكا الحديث. - الرياض: دار المريخ، 1979، ص16. زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث، القاهرة. - دار الفكر العربي، 1998. ص48. جورج هارب، الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي/ تعريب عبد العزيز طريح. - الإسكندرية: مؤسسة الثقافية الجامعية، 1993. (ص143، ص163) أحمد رمضان أحمد، الرحلى والرحالة المسلمون، جدة - دار البيان العربي (بدون تاريخ) ص200. حسين مؤنس، تريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس. - القاهرة: مكتبة مدبولي، 1986. ص172. خالد أبو بكر، مقال بعنوان "إكتشاف أمريكا.. مراحل ورجال وآثار" إسلام أون لاين، متاح بتاريخ 20 أبريل 2009، على الرابط:

(<http://www.islamonlin.net/Arabic/history/1422/article07.SHTML>)

¹⁴² Mackinnon Vide, Luther & The Reformation, -London: Longmans, Green Co. 1929. (Vol. III).

¹⁴³ . موسوعة تاريخ العالم، وليام لانجز؛ أشرف على الترجمة محمد مصطفى زيادة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 19598. (الجزء الخامس).

بلاد بيرو، كما أسر ملك الإنكا الذي يريد أن يفندي نفسه بملء الحجرة التي كان بها ذهباً، وقد قبل بيزار وبعد ذلك تم حرق ملك الإنكا في حضور بعض الرهبان فكان ذلك نقطة سوداء في تاريخ الاستعمار الإسباني.⁽¹⁴⁴⁾

وفي عام 1541م قتل فرانسوا بيزار في ليما على يد بعض أعدائه، ولم يتوقف الأسباب عند هذا الحد حيث سيطروا على أمريكا الجنوبية ما عدا البرازيل التي كانت تحت حكم البرتغاليين ويتضح مما سبق أن الكشوف الجغرافية الإسبانية لم تكن إسبانية خالصة، فقد قام بها أجنب أمثال كريستوف كولمبوس⁽¹⁴⁵⁾.

¹⁴⁴ . موسوعة الواحة: (<http://www.coptreal.com>)

¹⁴⁵ . من الجيد هنا الإشارة إلى أنه قد تبين من دراسة خارطة محفوظة في مكتبة الكونغرس في واشنطن أن ماركو بولو قد يكون اكتشف الساحل الغربي من القارة الأمريكية قبل حوالي مائتي عام من كريستوف كولومبوس، وفق ما ورد بمجلة "في ا سدي" الفرنسية، ويفيد تقرير وضعه حافظ المكتبة عام 1933 وهي السنة التي احضر فيها مارتشيان روسي المواطن الأمريكي الايطالي الأصل الوثيقة الى المكتبة، أنها "تصور سفينة إلى جانب خارطة تظهر قسماً من الهند والصين واليابان والهند الشرقية وأميركا الشمالية" وأوضح المحرر في المجلة الفرنسية الكاتب تييري سيكريتان أن الوثيقة المحفوظة تحت عنوان "خارطة مع سفينة" تظهر "شعار مرسوما على السفينة هو تخطيط لأحرف اسم ماركو بولو. والمضيق الذي يفصل بين سيبيريا والاسكا هو موضوع الخارطة الرئيسي". وكتب سيكريتان أن مكتب التحقيقات الفدرالي الأمريكي (اف بي أي) اخضع الخارطة عام 1943 لفحص بالأشعة ما فوق البنفسجية "كشفت عن وجود ثلاث رسومات هلى هذه الخارطة الواحدة فوق الأخرى ما يشير إلى تحديثها مع الوقت". وأورد التقرير عدة فرضيات منها أن يكون "ماركو بولو الذي عاد إلى البندقية عام 1295 أعاد معه إلى أوروبا أولى المعلومات حول وجود أمريكا الشمالية منذ المعلومات التي جمعها المستكشفون الشماليون". وكتب تييري سيكريتان أنه "إذا كان ماركو بولو حقا من وضع هذه الخارطة، فهذا يعني انه وصل إلى القارة الأمريكية قبل قرنين من كولومبوس ورسم المضيق الذي يفصل آسيا عن أمريكا قبل أربعة قرون من ظهور أمريكا على الخرائط الأوروبية". وينسب اكتشاف أمريكا إلى كريستوف كولومبوس عام 1492. وذكر سيكريتان بان ماركو بولو لم يذكر مرة في رواياته عن أسفاره اكتشاف أي ارض في منطقة الاسكا، إلا أنه اسر لأصدقائه وهو على فراش الموت "لم اكتب نصف ما رأيت".

خبر بعنوان "ماركو بولو قد يكون اكتشف أمريكا قبل كولومبوس"، منشور بتاريخ 8 أغسطس 2008، ص33 شبطة العلمانيين العرب، على الرابط: (<http://www.3almani.org/spip.php?breve80>) .

لقد كان كل من كريستوف كولمبوس صاحب الكشوف الإسبانية ومكتشف العالم الجديد، وفاسكو داجاما مكتشف طريق الهند من أعظم البحارة القدامى الذين قاموا بأعمال جلييلة في تاريخ الكشوف الجغرافية،⁽¹⁴⁶⁾ فقد تخيلوا أن الوصول للهند يمكن عن طريق السير ناحية الغرب، وقد جاء ماجلان وتخيّل أن القدر حفظة للقيام بأعمال ضخمة تتمثل في فكرته بالوصول إلى جزر التوابل في الهند الشرقية حفظة للقيام بأعمال ضخمة تتمثل في فكرته بالوصول إلى جزر التوابل في الهند الشرقية عن طريق الغرب، ويتبين أن كان هؤلاء كانت تحوهم روح صليبية شديدة بالنسبة لهذه الكشوف.⁽¹⁴⁷⁾

يعتبر ماجلان أحد عظماء عملية الكشف الجغرافي، وكان برتغالياً من أسرة نبيلة، وقد اشترك في حملة البرتغال للهند بقيادة الميدا، وكان ماجلان يرى أنه يستطيع الوصول إلى جزر التوابل في الهند الشرقية عن طريق الغرب بالطواف حول أمريكا الجنوبية حتى أقصى طرفها الجنوبي والانتقال إلى المحيط الآخر (المحيط الهادي).⁽¹⁴⁸⁾

وقد حدث خلاف بين ماجلان وملك البرتغال فذهب للبلاط الأسباني عارضاً خدماته وعرض مشروعة على شارل الأول موضحاً له أن جزر التوابل تقع غرب الخط المستقيم وأنها سوف تكون ملكاً لأسبانيا، وقد رحب البلاط الأسباني بهذا المشروع، وكان شريك ماجلان في

¹⁴⁶ . The Catholic Encyclopedia: J. Loughlin, "Pope Paul IV." , -New York: Robert Appleton

Company. Retrieved March 20, 2009 from New Advent:

<http://www.newadvent.org/cathen/11581a.htm/>

¹⁴⁷ . الشيخ التيجاني ندوي، مقال بعنوان "الإسلام في ظل المستعمرات الفرنسية في غرب أفريقيا"، مجلة الأمة، العدد (49) المجلد الخامس 1405 هجرية، متاح بمجلة الفسطاط التاريخية بتاريخ 2008/12/30 على الرابط:

http://www.fustat.com/C_hist/w_africa.shtml/

¹⁴⁸ . مقال بعنوان "معرض لإحياء ذكرى خروج العرب والمسلمين من غرناطة". -صحيفة "الشرق الأوسط". العدد 11040،

الأربعاء 23 صفر 1430 هـ - 18 فبراير 2009. ص 39

المشروع فاليرو الذي يمثل الجانب العلمي على علم بالدراسات الجغرافية ورسم الخرائط، وماجلان على دراية بالناحية الملاحية فكل منهما يكمل الآخر. (149)

وفي عام 1518 وقع شارل الأول ملك أسبانيا مع ماجلان عقد الرحلة ويشاركه فيها عالم الجغرافيا فاليرو، وكان الاتفاق مع الملك على أخذ 50% من الأرباح، وإذا اكتشفوا ستة جزر يأخذون جزيرتين ويكون ماجلان حاكم على أي جزيرة يكتشفها، وقد زودهم الملك بخمس سفن وكان الملك حريص على عدم الإساءة لملك البرتغال، وطلب من ماجلان الالتزام بخط التقسيم الوهمي بين أسبانيا والبرتغال، وآلا يكتشف أي شيء إلا في نطاق أسبانيا. (150)

وفي عام 1519م أفلعت السفن من سان لوكار وأبحرت في الأطلسي جنوباً ثم الجنوب الغربي حتى أمريكا الجنوبية إلى خط عرض 49 درجة جنوباً. ثم عبر مضيق بنما بين جبال شاهقة أطلق عليها ماجلان مضيق الأحد عشر ألف عذراء ثم أطلق عليها مضيق ماجلان، وعبر المحيط الهادي الذي أطلق عليه ماجلان اسم الباسافيكي Pacifique ثم الإبحار شمالاً في اتجاه الغرب آلاف الأميال غرب أمريكا حتى وصل لبعض الجزر في بحر الصين وسماها (الفلبين) نسبة إلى فيليب ولي العهد، ولقد كان اعتقاد ماجلان الخطأ في أنه وصل لجزر التوابل بسبب التقديرات الخاطئة أدى إلى أن تصبح الفلبين من ممتلكات أسبانيا. (151)

فقد وصل الأسبان بقيادة فرديناند ماجلان للفلبين وبدأت حركة التنصير بعد أن وطد ماجلان علاقته مع الراجا هومايون حاكم جزيرة سيبو، حيث اعتنقت المسيحية زوجة الراجا هومايون (152) وبعد ذلك اعتناقها هو نفسه. وتم عقد اتفاق يقضي بأن يوليه ماجلان ملك الجزر

149 . عماد البحراني، دراسة بعنوان "فتح القسطنطينية في عهد السلطان محمد الفاتح 1453". -دورية كان التاريخية. -العدد

الثالث، مارس 2009.ص37) (www.historicalkan.co.nr)

150 . عماد البحراني، دراسة بعنوان "فتح القسطنطينية في عهد السلطان محمد الفاتح 1453". -دورية كان التاريخية. -العدد

الثالث، مارس 2009.ص3) (www.historicalkan.co.nr)

151 . أحمد علي الملا، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية. -الطبعة الثانية. -مشق: دار الفكر، 1981.

152 . شوقي عطا الجمل، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، - الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الأنجلو، 1980.ص39

المجاورة تحت التاج الأسباني مقابل أن يساعده على تنصير الشعب الفلبيني، وانتقل الأسبان إلى جزيرة صغيرة بالقرب من سيبو على بعد كيلومترات تدعى جزيرة ماكتان عليها سلطان مسلم يدعى هو الداتو لابو- لابو،⁽¹⁵³⁾ ويذكر البعض أنه عرف باسم Kaliph Pulak⁽¹⁵⁴⁾.

علم الأسبان بإسلام حاكم جزيرة ماكتان فطاردوا نساءها وسطوا على طعام أهلها فقاومهم الأهالي فأضرم الأسبان في أكواخ السكان النار وفروا هاربين،⁽¹⁵⁵⁾ وقد رفض لابو الخضوع لماجلان وحرص سكان الجزر المجاورة عليه ورأى ماجلان الفرصة مناسبة لإظهار قوته وأسلحته الحديثة فذهب مع بعض جنوده لتأديبه.⁽¹⁵⁶⁾

وفي صباح 27 أبريل 1531 حدثت معركة ماكتان وطلب ماجلان من لابو لابو التسليم قائلاً (إنني باسم المسيح أطلب إليك التسليم ونحن العرق الأبيض أصحاب الحضارة أولى منكم بحكم هذه البلاد) فأجابه لابو لابو (إن الله وإن الإله الذي نعبد هو إله جميع البشر على اختلاف ألوانهم) ثم هجم على ماجلان وقتله بيده وشتت شمل فرقته ورفض تسليم جثته للأسبان، ولا يزال قبر ماجلان داخل الفلبين شاهداً على رفض المسلمين لطمس هويتهم.

أما الحملة بعد وفات ماجلان، فقد استمرت الحملة ووصلت بعد 27 شهر في البحر بحثاً عن هذه الجزر (جزر التوابا) إلى الهند، ثم غادرته إلى رأس الرجاء الصالح، ثم المحيط الأطلسي وشمالاً إلى أسبانيا في اشبيلية بعد أن قضت ثلاث سنوات كان طاقم الرحلة يتكون من (200)

¹⁵³ . Zaide, Sonia M. The Philippines: A Unique Nation, –Philippines: All Nations Publishing Co, 1994. Pp. 83–84.

¹⁵⁴ . Josiah C. Ang, PM, Historical Timeline of the Royal Sultanate of Sulu Including Related Events Neighboring People, Center for Southeast Asian Studies, available in 25 April 2009 at: (http://www.seasite.niu.edu/TagalogLMuslimLhistorical_timeline)

¹⁵⁵ . مجدي براهيم محرم، مقال بعنوان "وفاء سلطان بين الضلال والإضلال"، جريدة سبأ مصر، منشور بتاريخ

17، أغسطس 2005 / على الرابط: (<http://shbabmisr.com/?xpage=view&EgyxpID=931>)

¹⁵⁶ . "The Death of Magellan 1521", Eye Witness to History, available in march 2001 at:

(<http://www.eyewitnesstohistory.com/magellan.htm>)

بحار وعادت ب(18) بحار بعد موت وقتل معظمهم، وبعد أن كانت الحملة مكونة من خمس سفن عادت بسفينة واحدة هي "فكتوريا" واضطلع بقيادتها جوان سبستيان ديكانو⁽¹⁵⁷⁾.

وقد نتج عن هذه الرحلة عدة أمور هامة؛ فقد قال البابا أن الأرض مسطحة ولكن ماجلان اثبت أنها كروية وكانت تلك حقيقة غير معروفة، بالإضافة إلى تصحيح مواقع الأرض المستكشفة والخرائط وتغيير خريطة العالم. كما ثبت أنه هناك عالم جديد (الأمريكتين) فتغيرت الخرائط العالمية، كما تم اكتشاف محيط مجهول هو المحيط الهادي ومضيق ماجلان الموصل بين المحيط الهادي والأطلسي⁽¹⁵⁸⁾.

وبذلك تعد الكشوف البرتغالية أهم الكشوف وكان من نتائجها مع الكشوف الأسبانية أن تضاءلت أهمية البحر المتوسط من الناحية التجارية وانتقلت إلى المحيط الأطلسي، كما كانت هناك كشوف تابعة لهاتين الدولتين مثل إنجلترا وفرنسا وهولندا وقد دخلت متأخرة في هذه الحركة.

لقد أدى قيام حركات الإصلاح الديني في أوروبا، إلى انقسام الأوروبيين إلى كاثوليك وبروتستانت، الأمر الذي نتج عنه اشتعال الحروب الدينية الهوجاء التي هزت أوروبا، ولعل أشد وأفسى تلك الحروب هي حرب الثلاثين عاماً (1618-1648م)، تلك الحرب التي اکتوت بنيرانها جميع أرجاء أوروبا، وانتهت أخيراً إلى حرية العقيدة والتسامح الديني، وذلك على إثر توقيع اتفاقية ستفاليا بين الأطراف المتحاربة.⁽¹⁵⁹⁾

¹⁵⁷ . ويل ديوانت، قصة الحضارة، ماجلان وكشف الأرض (ص9184)، متاح بتاريخ 24 أبريل 2009، على الرابط:

(<http://islamport.com/w/amm/Web/2482/10096.htm>)

¹⁵⁸ . عزلمو يوسف بك أصفاف، تاريخ سلاطين بني عثمان: من أول نشأتهم حتى الآن/ تقديم محمد زينهم. -الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة مديولي، 1995.

¹⁵⁹ . لويس عوض، ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية. -الطبعة الأولى. -القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر،

ورغم أن الحرب كانت مصبوغة بصبغة حرب دينية في بداية أمرها، إلا أنها سرعان ما اتسعت لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية للدول الأوروبية المختلفة، وكانت بالطبع هولندا من بين هذه الدول وقد استفادت هولندا كثيراً من حرب الثلاثين عاماً، والتي كفلت لها عند نهايتها وتوقيع اتفاقية وستفاليا، وكفلت لها الاستقلال، إذ أن هولندا كانت خاضعة لإسبانيا قبل الحرب، ومن هنا بدأت الرغبة الهولندية في اقتحام ميدان الكشوف الجغرافية والاستعمار.

ويمكن رد أسباب اقتحام هولندا ميدان الكشوف الجغرافية والاستعمار، إلى ثلاثة عوامل مترابطة وهي: الموقع الجغرافي لهولندا، حيث تقع هولندا على نهر الراين الذي يخترق أوروبا،⁽¹⁶⁰⁾ مما يتيح لها أن تلعب دور اقتصادي أكثر فعالية في أوروبا، وذلك بأن تكون نركز تجاري لتجارة التوابل من الشرق، حيث أن موقع هولندا يتيح نقل هذه التجارة بسهولة لدول أوروبا، في مختلف الأماكن، وبطرق سهلة وغير مكلفة، وذلك على الرغم من أن البرتغال هي المكتشفة لطريق التجارة الجديد، إلا أن موقعها لم يكن الموقع المثالي،⁽¹⁶¹⁾ كي تلعب دور المحطة التجارية الرئيس لهذه التجارة، ويكمن العامل الثاني في أن البرتغاليين هم المحتكرون لتجارة التوابل، وذلك بسيطرتهم على طرق التجارة، الأمر الذي نتج عنه تدمير التجار الهولنديين لهذا الاحتكار، ودعاهم إلى تأسيس شركة الهند الشرقية سنة 1602م، والتي حصلت على امتياز احتكار التجارة، وغزو الأراضي، وعقد المعاهدات وبناء الحصون⁽¹⁶²⁾.

¹⁶⁰ . يسري عبد الرزاق الجوهري، الكشوف الجغرافية: دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور التفكير الجغرافي. - القاهرة: دار المعارف، 1965، ص48.

¹⁶¹ . "The Twelve Articles of the Black Forest" , available in 16 April 2009, at: http://en.wikipedia.org/wiki/Twelve_Articles_of_the_Black_Forest

1- ¹⁶² . "Thirty Years, War- Political consequences". -available in 20 January 2009 at: http://www.experiencefestival.com/a/Thirty_Years_War/id/385103

وأخيراً، كان تحطم قوة البرتغال على يد إسبانيا، دفعاً حاسماً لهولندا كي تقتحم ميدان الاستعمار، وذلك لتعزيز من موقعها التجاري عن طريق الانقضااض على أملاك البرتغال في آسيا في كل من الهند والهند الشرقية، الأمر الذي نتج عنه تقلص الأملاك البرتغالية.

أما بالنسبة للمستعمرات الهولندية؛ فقد اتجهت هولندا في الاستعمار، إلى شطري العالم الشرقي والغربي، وذلك يشمل امتدادها في آسيا، وأفريقيا، والأمريكيتين، بل أستراليا أيضاً، ولم تشر المصادر التاريخية إلى اسم ملاح هولندي بعينه، أو مستكشف هولندي بارز، كما كان الأمر في البرتغال وإسبانيا.

كان هدف الهولنديين اقتصادي بحت، فقد أقاموا مستعمران ساحلية على ساحل غانة، وامتلكوا جزيرة موريشيوس، كذلك فقد استطاع الهولنديون اكتشاف ساحل شمال أستراليا، حيث اكتشفوا تاسمانيا ونيوزيلاندا، بالإضافة إلى أن اندونيسيا تعتبر هي قاعدة هولندا الرئيسية في الشرق.⁽¹⁶³⁾

وفي الغرب كانت الجهود الهولندية في الأمريكيتين، منصبه أكثر في أمريكا الجنوبية عنها في أمريكا الشمالية، وقد استطاعت شركة الهند الغربية الهولندية أن تزيد من مساحة الأراضي الهولندية في أمريكا الجنوبية، وذلك بتأسيسهم لعدة مستعمرات منها مستعمرة جيانا Guiana، كذلك فقد استولى الهولنديون على باثيا، وأولندا، وريسييف، ونيوأمستردام.⁽¹⁶⁴⁾

الجدير بالذكر، أن نظام الاستعمار الهولندي كان يهدف إلى تحقيق أكر قدر من المنفعة الاقتصادية من المستعمرات، فكان ذلك هو المسعى الدائم والغالب على السياسة الهولندية في إدارة مستعمراتها، وقد مارسوا في ذلك عدة سياسات تهدف إلى تحقيق أهدافهم التجارية بوقت

2- ¹⁶³ . هاينكه زودهوف، معذرة كولومبوس: لست أول من اكتشف أمريكا/ تعريب حسين عمران. -الطبعة الأولى.-

الرياض: مكتبة العبيكان، 2001. ص39

¹⁶⁴ . بيير رنوفان، تاريخ العلاقات الدولية: القرن التاسع عشر (1815-1914)// ترجمة جلال يحيى - القاهرة: دار المعارف،

قصير، وبتكلفة أقل،⁽¹⁶⁵⁾ وبمنفعة أكبر. ومن سياساتهم التي لجئوا إليها في أول الأمر، سياسة التجارة المباشرة مع الأهالي المستعمرات، إلا أنهم عدلوا عنها، واستبدلوا بسياسة الاستغلال الاقتصادي لأهالي المستعمرات، حيث أنها تكف عنهم نفقة المقل، وهي أكثر بجا من التجارة المباشرة، التي يتناصف في الربح بين الطرفين البائع والمشتري. ولذلك فقد بدأت شركة الهند في دفع أثمان المحاصيل الزراعية مقدما ولسنوات لضمان احتكارهم لها، وبيعها بالثمن الذي يترائى لهم، ومن جهة ثانية يكون للهولنديين الحق في انتزاع الأراضي من أصحابها،⁽¹⁶⁶⁾ في حالة عدم وفاء المزارعين بالعقود، وهذا ما تم فعلاً في جزيرة باندا وملوكا، وأمبونيا.

الواقع أن؛ هوندا كانت تلجأ في إدارة مستعمراتها- وخصوصاً اندونيسيا- إلى أسلوب السيطرة العليا، وهو إدارة الحصون والمؤسسات التي تمكن هولندا من السيطرة على البلاد. إلا أن إدارة شركة الهند الشرقية، رأت السيطرة المباشرة والمركزية على الأراضي في المستعمرات مكلف من الناحية الاقتصادية لذا رأت تنقل ملكيات هذه الأراضي إلى هولنديين، يقومون بأنفسهم بإدارة هذه الأراضي. ومن ثم فقد بدأ الهولنديون في نقل ملكية المناطق الحساسة إلى هولندا، ومنها على سبيل المثال؛ ملكية موانئ اندونيسيا، التي انتقلت إلى هولندا.⁽¹⁶⁷⁾

وتجدر الإشارة هنا إلى؛ النزعة الاستغلالية السائدة على علاقة الهولنديين مع سكان المستعمرات، فبعد ارتفاع الأسعار العالمية للبن، تم تحويل كثير من المزارع في اندونيسيا إلى ضياع لزراعة البن، وكان على الاندونيسيين أن يقدموا لشركة الهند الشرقية بمقابل زهيد جداً، وهذا يوضح مدى بشاعة السيطرة الهولندية، وكان تحويل هذه الأراضي لزراعة البن، تتم على

¹⁶⁵ . رولان موسنييه، تاريخ الحضارات العام/ تعريب يوسف أسعد داغر وفريد م. داغر. -الطبعة الأولى. -بيروت: منشورات

عويدات، 1969. ص31 (الجزء الرابع: القرنان السادس عشر والسابع عشر: التحول الفكري العظيم الذي طرأ على البشرية
طلوع الحركة العلمية الحديثة سيطرة أوروبا).

¹⁶⁶ . دانتي أليجييري، الكوميديا الإلهية/ ترجمة وتقديم حسن عثمان، الطبعة الأولى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،
2001. ص58 (مكتبة الأسرة- أمهات الكتب).

¹⁶⁷ . ميرل دوبينييه، تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر/ ترجمة الشيخ إبراهيم الحوراني. -الطبعة الثانية. -بيروت:

منشورات مكتبة المشعل بإشراف رابطة الكنائس الإنجليزية في الشرق الأوسط، 1878. ص30

حساب محاصيل زراعة أكثر أهمية لحياة الإنسان كالحبوب وغيرها من الغلات الزراعية ذات القيمة الغذائية، وقد أدى إلى وفاة الكثيرين.⁽¹⁶⁸⁾

وقد كانت اندونيسيا هي مستعمرة هولندا الرئيسية في آسيا، وكان الإسلام منتشراً في مراكز التجارة حول اندونيسيا، لذا لجأ الاندونيسيون إلى اعتناق الإسلام ليجابها به ما يلاقونه من جور وظلم واضطهاد الهولنديين، أضف إلى ذلك ما يحتويه الإسلام من مبادئ تدعو إلى خير البشرية والعدل والمساواة بين البشر، وكان التجار المسلمون هم خير من يحمل دعوة الإسلام في شرق آسيا، وذلك بفضل حسن أخلاقهم وأمانتهم في التعامل مع أهل تلك البلاد، الأمر الذي شجع الكثيرين إلى الدخول في الإسلام.⁽¹⁶⁹⁾

وقد كان ذلك إيذاناً بزوال إمبراطورية هولندا في اندونيسيا، وغدت في موقع البرتغال القديم التي بقتها إلى هذه البلاد إلا أن موقف هولندا كان أسوأ من موقف البرتغال، ذلك أن هولندا دخلت مجال الصراع الفرنسي الإنجليزي، من أجل السيطرة على أماكن مجاورة في القارة الأوروبية، وكما نعلم فإن هولندا تقع في الوسط ما بين فرنسا المتلاحمة الحدود البرية معها، وانجلترا من الجهة المطلة على البحر، ومن ثم فقد كان مصير الإمبراطورية الهولندية أسوأ من مصير إمبراطورية البرتغال.⁽¹⁷⁰⁾

وأخيراً؛ يمكننا تلخيص أسباب تقلص النفوذ الهولندي، في انحصار اهتمام الهولنديين على اغتنام الفوائد الاقتصادية بمنأى عن تعزيز قدراتها في المجالات الأخرى، كحسن الإدارة السياسية، وتعزيز الأساطيل البحرية، وتسليح الجيوش بالأسلحة المتطورة، وحسن توزيعها. لقد كانت هذه المجالات بحق تعتبر من الضروريات لاستمرار استعمار الهولنديين للأراضي

Althaus Paul, The Ethics of Marthin Luther/ Translated by Robert C. Schultz, -Philadelphia: ¹⁶⁸ Fortress Press, 1972.p93

¹⁶⁹ . Charles Sala, Michel-Ange: Sculpteur, peintre, architecte. -Pierre Terrail, 2001 P90.

¹⁷⁰ . جيمس وستفال تومسون، وآخرون، حضارة عصر النهضة، ترجمة عبد الرحمن زكي. -القاهرة: دار النهضة العربية:

والمستعمرات، ففي ذات الوقت كانت إنجلترا وفرنسا هما الرائدتان آنذاك في تطوير قدراتهم العسكرية البحرية والبرية،⁽¹⁷¹⁾ كما كانتا في تنافس مستمر للاستفادة من تطور العلوم المختلفة بما يكفل لكل منها على حدة التقدم والتطور، والسيطرة على البلاد، وهذا بالفعل ما حدث، إذ انحصر التنافس بين فرنسا وإنجلترا على مستعمرات الدول الأوروبية الأخرى حول العالم، ومنها مستعمرات هولندا.⁽¹⁷²⁾

الكشوف الفرنسية

يذكر التاريخ رجلين، ساهما في تقديم فرنسا في كافة المجالات، ومن أهمها مجال البحرية، وما يتعلق به من كشوف واستعمار، وهما ريشيليو رئيس الوزارة في عهد الملك لويس الثالث عشر، والثاني هو كولبير، المسئول الاقتصادي في عهد الملك لويس الرابع عشر. ونذكر في البدء رئيس الوزارة ريشيليو، الذي تولى رئاسة فرنسا عام 1624م، لقد كان هذا الوزير على مستوى الثقة التي أولاه إياه الملك الفرنسي لويس الثالث عشر، إذ أحس الملك الفرنسي بصدق نوايا ريشيليو، وحبه للأسرة الحاكمة، ورغبته في نهضة فرنسا، لهذا فقد أعطى الملك الفرنسي لرئيس الوزارة ريشيليو مطلق الحرية في الشئون الفرنسية.⁽¹⁷³⁾

إن إنجازات ريشيليو عديدة، نذكر منها فقط إسهاماته في مجال الكشوف الجغرافية والاستعمار الفرنسي، إذ أن ريشيليو كان يؤمن بأن الشعب الفرنسي شعب بحري مرتبط بالبحار، لاتساع السواحل الفرنسية ولهذا فإن ريشيليو كان يرغب في الدخول في مضمار الاستعمار الخارجي،

¹⁷¹ شبكة النبا المعلوماتية: (<http://www.annabaa.org>)

¹⁷² . غانم العبد الله، "حركة الكشوف الجغرافية والاستعمار الأوروبي"، مدونة هاتف من الصحراء (الكويت)، متاح بتاريخ

2008/2/29 على الرابط: (<http://gdm-85.maktoobblog.com>)

محمد خليفة، "أوروبا الإمبراطورية البرتغالية إلى المجهول"، جريدة إيلاف (لندن)، بتاريخ 12 يونيو 2005، على الرابط:

(<http://www.elaph.com/ElaphWeb/NewsPapers/2005/6/68679.htm>)

عبد الفتاح حسن أبو علي، تاريخ الأمريكيتين: الطبعة الثالثة، الرياض: دار المريخ للنشر، 2007، ص37.

¹⁷³ . The Catholic Encyclopedia: J. Loughlin, "Pope Paul IV." , -New York: Robert Appleton

Company. Retrieved March 20, 2009 from New Advent:

(<http://www.newadvent.org/cathen/11581a.htm/>)

ولكن هذا كان يتطلب وجود أسطول قوي، وهذا ما لم يكن متوافراً، حيث أن فرنسا حتى عهد ريشيليو سنة 1624م، لم تكن تملك أسطولاً قوياً لحماية تجارتها والقيام بالتجارة عبر البحار، ولهذا فكثيراً ما كانت السفن الفرنسية القادمة من الخارج تتعرض للغرق أو التلغ، مما كان له أكبر الأثر في تخلف التجارة الخارجية الفرنسية.⁽¹⁷⁴⁾

من أجل ذلك كله، أنشأ ريشيليو إدارة للبحرية والتجارة، وترأس هذه الهيئة، وبدأ في بناء الأسطول الفرنسي، وبالفعل نجح ريشيليو في تكوين أسطول فرنسي يمكن استخدامه في السلم من أجل التجارة الفرنسية في الخارج، وحمايتها في الحرب، وإذا دعت الحاجة الدخول في مجال الاستعمار خارج أوروبا مثل هولندا والبرتغال وأسبانيا.⁽¹⁷⁵⁾

أما كولبير، وهو خبير اقتصادي، فإنه يرجع الفضل في وضع فرنسا فعلياً على مسار الاستعمار خارج أوروبا، فقد عمل على تكوين إمبراطورية بحرية فرنسية على غرار ما قامت به بقية الدول الأوروبية، فقد رغب في إقامة مستعمرات على السواحل المؤدية إلى الهند والشرف الأقصى، كما أنه رغب في امتلاك مصر، وضمها إلى فرنسا، لضمان الطرق التجارية إلى الهند وربط البحر الأحمر بالمتوسط.⁽¹⁷⁶⁾

ومن أجل ذلك أسس كولبير شركة الهند الشرقية الفرنسية، كما فعلت إنجلترا وهولندا من قبل، كما تم في عهده زيادة عدد السفن الفرنسية من عشرين سفينة سنة 1661م، إلى مائة وأربعين سفينة، كذلك فقد أنشأ إدارة تربط بين البحرين والتجارة العسكرية، حتى يمكن أن تكمل كل منها الأخرى عند الغزو والاستيلاء الخارجي.

¹⁷⁴. موسوعة فنون عصر النهضة: <http://www.civilizationstory.com/tharwat>

¹⁷⁵. The Catholic Encyclopedia: Sixth Edition, -New York: Columbia University Press, 2007.

Available in 03/04/3009 at: (<http://www.bartleby.com/65/th/ThirtyYe.html>)

¹⁷⁶. الموسوعة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة/ إشراف وتخطيط ومراجعة مانع بن حماد الجهني. -الطبعة الثالثة

أما عن التوسع الفرنسي في العالم الجديد؛ فيعتبر الملاح الفرنسي كارتية، هو الملاح الذي ارتبطت برحلاته نشأة حركة الكشوف الجغرافية الفرنسية، فحينما شرع كارتية عام 1524م، في القيام برحلات بحرية، عبر المحيط الأطلسي ووصل إلى شواطئ كندا، واكتشف مصب نهر سانت لورنس.⁽¹⁷⁷⁾

وقد اهتم الفرنسيون بعد كارتية باكتشاف العالم الجديد، وتوسعوا في ذلك حتى وصلوا إلى مونتريال، وحاول الفرنسيون التوسع أكثر في كندا، إلا أنهم فشلوا في ذلك بسبب البرد القارس، وعدائهم الشديد للهنود، ولكنهم نجحوا في تحقيق هدفهم هذا بعد قرن، وأقام دي شامبلان مستعمرة كيبيك الفرنسية في كندا، التي شكلت مركزاً يستمد منه الفرنسيون العزم.⁽¹⁷⁸⁾

وفي عام 1682م، استطاع البحار الفرنسي لاسال اكتشاف نهر المسيسيبي، مما أدى إلى الاصطدام مع الانجليز عام 1754م.

جاء التوسع الفرنسي في العالم القديم بعد تداعي قوة الإمبراطوريات البرتغالي والاسبانية والهولندية في جنوب شرق آسيا، فاتجهت فرنسا إلى الهند، وأقامت مراكز تجارية على شاطئها الشرقي والغربي، واتخذت من هذه المراكز نقاطاً لاندفاع الفرنسيين في الداخل والتوغل في الهند، ومن هذه المراكز التجارية التي أقامها الفرنسيون على شواطئ الهند: كاريكال، يانون، ماهي، شاندرجور، وبوند شيري. وقد أدت حركة الكشوف لفرنسية إلى احتكار الفرنسيين لتجارة الصيد والفراء.

¹⁷⁷ . أحمد محمد الأصبحي، مقال بعنوان تأثير الثقافة العربية وإنجازاتها على الثقافات الأخرى، صحيفة 26 سبتمبر. - العدد

1167، الخميس 23 ديسمبر - كانون الأول 2004 (صحيفة يمنية، أسبوعية، سياسية، عامة)

¹⁷⁸ . مقال بعنوان "معرض لإحياء ذكرى خروج العرب والمسلمين من غرناطة". - صحيفة "الشرق الأوسط". العدد 11040،

الواقع أن؛ الفرنسيين لم يتورعوا عن ارتكاب أشنع الجرائم والمحظورات الإنسانية في مستعمراتهم حول العالم، وخصوصاً تلك العربية منها،⁽¹⁷⁹⁾ وذلك في سبيل تنفيذ أهدافهم التجارية منها والسياسية، فقد سعى الاستعمار الفرنسي غرب أفريقيا في كل من السنغال، والسنغال العالي، ونيجيريا، وغينيا، وساحل العاج، وداهومي إلى مواجهة الإسلام في هذه البلدان والقضاء ونيجيريا، وغينيا، وساحل العاج، وداهومي إلى مواجهة الإسلام في هذه البلدان، والقضاء على الوجود الإسلامي، وذلك بمحاربته ثقافياً وعلمياً.⁽¹⁸⁰⁾

لقد كان العلماء المسلمون يمثلون تحدياً قوياً أمام صلف الاستعمار، وكانوا بمثابة الوقود الذي لا ينضب في دعم وتشجيع أبناء البلاد على مواجهة الاستعمار الفرنسي، وكما نعلم فإن الدعاة المسلمين كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر، دونما قيد أو حرج، وذلك لأن جميع البلدان إسلامية، فهم واحد، وهدفهم واحد، من أجل ذلك رأى المشرف العام على سياسة المستعمرات، بأن يحد من نشاط وفعالية المسلمين⁽¹⁸¹⁾.

لذلك أصدر عدة أوامر في هذا الإطار ومنها القبض على يد داعية أو عالم أجنبي في إقليم يقوم فيه بدون سابق إذن بالوعظ والحديث الديني، مع وجوب حبسه بعد القبض عليه حتى نتبين أنه ليس من الزعماء الدينيين الذي يثيرون الفتن ويعكرون الصفو والأمن العام، ورفع تقرير إلى الحاكم بعد كل ذلك للنظر ما إذا كان ممكناً أن يفرج عنه ليستمر في رحلته أو يوقف نهائياً، ومهما يكن من أمر، فإن العالم تائراً أو هادئاً في حله وترحاله ملزماً أن يصحب أوراقه

¹⁷⁹ . أحمد ترك، الدولة العثمانية: تاريخ وإنجازات. - شبكة الدكتور رأفت عثمان. متاح بتاريخ 18 أبريل 2009 على

الرابط: <http://www.rafatosman.com/vb/t167434.html>

¹⁸⁰ . لمزيد من المعلومات راجع: الشيخ التيجاني ندوي، مقال بعنوان "الإسلام في ظل المستعمرات الفرنسية في غرب أفريقيا"، مجلة الأمة، العدد (49)، المجلد الخامس 1405 405 هجرية. متاح على شبكة الإنترنت بمجلة الفسطاط التاريخية بتاريخ 2008/12/30 على الرابط: http://www.fustat.com/C_hist/w_afica.shtml

¹⁸¹ . أشرف صالح، مقال بعنوان "القسطنطينية: عاصمة الإمبراطورية الرومانية وعاصمة الدول البيزنطية." - مجلة العرب (الالكترونية - أسبوعية - شاملة): دراسات وبحوث. - متاح بتاريخ 2008/4/28 على الرابط:

<http://arabmag.blogspot.com/search/labu/Edu>

المدنية، كبطاقة الشخصية، وبطاقة التعريف، وشهادة الميلاد، وكثيراً ما تكون معرفة الطريقة والمذهب والعائلة التي ينتمي إليها مهمة عند الكشف والتفتيش.⁽¹⁸²⁾

ومن جهودهم أيضاً في محاربة الإسلام ودعاته: فرض كل أنواع الرقابة التي هي إحدى ركائز سياسة فرنسا في البلاد الإسلامية، استغلال الاختلاف والتمايز الذي يوجد بين القبائل المسلمة من ناحية اللهجات فرصة لإحداث فجوة في صفها، وخلق حالات تلهيها عن التفكير في ضرورة التضامن والتآزر للدفاع عن عقيدة واحدة ودين واحد.⁽¹⁸³⁾

وقد طاردت الإدارة الفرنسية الأئمة حين استاءوا واستنكروا تدخلها في شؤون دينهم، واعتبرتهم عملاء يروجون الأخبار الخاطئة ويوهمون الناس أن على عاتقهم مسؤولية تبليغ رسالة الإسلام التي جاءت من المشرق.⁽¹⁸⁴⁾ ومن أجل تحقيق الدمج الثقافي، والذي يضمن للفرنسيين إنتاج أجيال من الأفارقة والعرب، يميلون إلى الثقافة الفرنسية فكراً وعلماء، واجتماعاً، ولذلك فقد رأوا أن يستخدموا في محاربة الإسلام وهو المشكل والعنصر الثقافي الأول للأفارقة والعرب، رأوا أن محاربته لا تتم إلا بالقضاء على اللغة العربية.⁽¹⁸⁵⁾

لذلك فقد نشأت فكرة إقامة مدارس وتنظيم تعليم الأهالي حيث سجل سنة 1909م في المدارس الجديدة عشرة آلاف طفل، وهذه المدارس التي عرفت زيادة ونمواً وتنظيماً عبر السنين من حسن إلى أحسن هي النواة الأولى للمدارس التي نعرفها اليوم، ويتخرج منها كبار رجال الدولة في أفريقيا قبل وبعد الاستقلال.

¹⁸² . أيمن أبو الروس، الكشوف الجغرافية: القصص المثيرة لاكتشاف القارات والأراضي المجهولة. -القاهرة: دار الطلائع، 2003. (ص112)

¹⁸³ . زاهر رياض، الاستعمار الأوربي لأفريقيا في العصر الحديث، -القاهرة: مكتبة الجامعة، 1960. ص38

¹⁸⁴ . عبد الفتاح مصطفى غنيم، نحو فلسفة السياسة: النظم والنظريات والمذاهب السياسية: أصولها وتطورها التاريخي. - 1989ص31

¹⁸⁵ . عزلمو يوسف بك أضاف، تاريخ سلاطين بني عثمان: من أول نشأتهم حتى الآن/ تقديم محمد زينهم. -الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة مديولي، 1995. ص38

كان الحاكم تشن حملات شعواء عنيفة ليس فقط ضد اللغة العربية، ولكنه أيضاً ضد اللهجات الأفريقية، ووصف السكان بالسفاهة والخمول وفقدان الذاكرة. ومنه الاستعمار الأهالي أن يتعلموا لغة أجنبية اللغة العربية فاللغة العربية تشكل خطراً كبيراً، وعانقاً دون تحقيق سياسة الغزو الثقافي لذي يعتبر من الحركات الأساسية للاحتلال والاستعمار. (186)

زد على ذلك؛ توقيف استعمال العربية في تحرير الأحكام القضائية في المحاكم الشرعية، وكان القضاء الإسلامي في المدن الكبيرة: في سان لويس، وروفيك، وغاي مستقلاً استقلالاً ذاتياً ولغته الرسمية هي العربية، وكان المنع يستهدف أساساً محاكم المدن الثلاث السابقة الذكر. كما أصدر الحاكم تعليماته إلى رؤساء مصالح البريد والجمارك في المستعمرات أن يشددوا الرقابة على كل المطبوعات المكتوبة بالعربية سواء أكانت قد أرسلت بالبريد أو بغيره، ثم تتلف أو تحرق كل مطبوعة، جريدة أو مجلة أو كتاب يعادي النظام القائم - نظام الاستعمار - أو تؤيد حركة الشيوخ.

كانت إنجلترا تستغل موقعها الجغرافي، وذلك باللجوء إلى القرصنة البحرية، وكانت تعترض السفن الإسبانية القادمة من العالم الجديد قاصدة إسبانيا، ومحملة بالمعادن النفيسة، الأمر الذي أدخلها - أي إنجلترا - في صراع مع إسبانيا، انتهى أخيراً بتفوق الانجليز، وذلك بعد أن هزموا الأسطول الإسباني المسمى بالأرمادا عام 1588م وعلى ذلك فإن إنجلترا لم تفتح مجال الكشوف الجغرافية إلا متأخراً في القرن السابع عشر، حيث تم في عام 1606م، تأسيس شركتان ملاحيتان هما: شركة لندن، وشركة بليموت. (187)

186 . عبد الفتاح أبو علي، تاريخ الأمريكتين، ص34-37.

187 . عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوربية. - الطبعة الثانية. - القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر،

1998. ص30 (الأعمال الفكرية، مشروع مكتبة الأسرة).

وقد تم الاتفاق على أن تقوم الشركتان بالاستيلاء على الشاطئ الأمريكي وإنشاء مستعمرات انجليزية به، واتفق أيضاً على أن تكون لشركة لندن الاستيلاء على الجزء الجنوبي من الساحل الشرقي،⁽¹⁸⁸⁾ وأن تكون لشركة بليموت الجزء الشمالي من الساحل. وحدثت أول محاولة اكتشافيه عام 1497م عندما أبحر الإيطالي جون كابوت من ميناء بريستول عبر المحيط الأطلسي للوصول إلى الهند من طريق آخر، إلا أنه وصل إلى شواطئ أمريكا الشمالية عند جزيرة نيوفوند. كذلك فقد أبحر فروبشير جزيرة شتلند، ومنها إلى جزيرة جرينلاند، وتم له كشف مضيق هدسن. أما جون ديفيز فقد كشف المضيق المسمى باسمه غرب جزيرة جرينلاند.⁽¹⁸⁹⁾

وفي قراءة لنظام الاستعمار الإنجليزي في أمريكا الشمالية نجده يتلخص في إقامة المستعمرات، والاضطهاد والرق. فقد أسس الانجليز المهاجرون إلى أمريكا، المستعمرات على الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية، وقد تأسست أول مستعمرة انجليزية سنة 1607م في جيمس تاون، وذلك بتشجيع من شركة لندن الأنفة الذكر، ولم يأت عام 1665م، حتى كان الانجليز قد أسسوا 7 مستعمرات، وهي ماتشوستس، كانيكتيكوت، رود آيلند، مين، نيوهامبشير، ميريند، وكارولينا. كما لجأ الانجليز إلى اضطهاد السكان الأصليين من الهنود الحمر، وقد نشبت بين المستعمرين والهنود الحمر حرب عام 1662م، وانتهت بإبادة معظم هؤلاء السكان.⁽¹⁹⁰⁾

¹⁸⁸ . كتاب حقائق عن ألمانيا: عشرة أجزاء. -متاح بتاريخ 2009/4/16 على الرابط: (<http://www.tatsachen-ueber-deutschland.de/ar/home1.html>)

¹⁸⁹ . Hartig, Otto. "John & Sebastian Cabot." The Catholic Encyclopedia. -New York: Robert Appleton Company, 1908. (Vol.3). Available in 2 May 2009, at:

(<http://www.newadvent.org/cathen/03126d.htm>)

¹⁹⁰ . عبد الفتاح أبو عليه، تاريخ الأمريكيتين، ص31-32.

كما أخذ المستعمرون الإنجليز، في جلب العبيد والأرقاء من أفريقيا، وذلك كي يعلموا في الزراعة والصناعة، وكثيراً ما كان يتم خطف هؤلاء الأفارقة من بلدانهم الأفريقية، ثم يتم جلبهم قسراً إلى أمريكا كي يعلموا في خدمة البيض.⁽¹⁹¹⁾

ويلاحظ أ؛ الدور الذي أسهمت به إنجلترا في حركة الكشوف الجغرافية كان ضئيلاً بالنسب للإنجازات الرائعة والضخمة التي حققتها البرتغال وأسبانيا، فقد كان هنري السابع منصرفاً إلى توطيد دعائم وإقرار النظام في إنجلترا في الوقت الذي كان فيه البرتغاليون يطوفون حول شاطئ أفريقيا، وكولومبس يعبر المحيط الأطلسي.⁽¹⁹²⁾

من الناحية التجارية؛ انتقل مركز النقل التجاري للمحيط الأطلنطي (الأطلسي) بدل من البحر المتوسط، حدثت الثورة التجارية بين دوزل البحر المتوسط والأطلنطي، وازداد حجم التجارة وقوية دول غرب أوروبا بسبب عمليات الاستيراد والتصدير، كما هجرت آلاف الناس دول غرب أوروبا إلى العالم الجديد بحثاً وراء الثورات. وعلى الجانب الزراعي، عرفت أوروبا محاصيل جديدة مثل البطاطس/ الكاكاو/ التبغ/ الكيف/ الذرة وأصبحت عنصراً هاماً من القطاع التجاري بعد أن كانت من الكماليات⁽¹⁹³⁾.

تدهور البلاد العربية، فقد كان العرب يلعبون دور الوسيط في حركة القوافل التجارية المتجهة من الشرق (الهند والصين) إلى الغرب (أوروبا)، وكان هذا الدور يدر عليهم أرباحاً طائلة نتيجة للضرائب المفروضة على هذه البضائع، وكان ذلك يعود بالفائدة الكبيرة للدول الكبيرة، إلا أنه

¹⁹¹ . غانم العبد الله "حركة الكشوف الجغرافية والاستعمار الأوروبي"، مدونه هاتف من الصحراء (الكويت)، متاح بتاريخ

2008/2/29 على الرابط: (<http://gdm-85.maktoobblog.com>)

¹⁹² . جاد طه، محاضرات في تاريخ أوروبا الحديث، ص92.

¹⁹³ . خالد عبد العزيز الفرج، (دكتور)، بحث بعنوان "تحول الفكر في أوروبا"، ص7، متاح بتاريخ 10 أبريل 2009، على

الرابط: (www.cba.edu.kw/hasan/Europeldeology.doc)

بعد اكتشاف طريق الأطلسي ورأس الرجاء الصالح، فقد فقدت بذلك البلاد العربية هذه الفائدة، ثم أصاب الأسواق العربية الكساد والفقر⁽¹⁹⁴⁾.

من الناحية الاقتصادية؛ بعد أن زادت رؤوس الأموال في الدول الاستعمارية، بدأت الرغبة فيها لاستثمار رؤوس الأموال هذه، وخاصة في مجال الصناعة ومجال الزراعة، لذا توجهت الدول الاستعمارية إلى استعمار وامتلاك الدول التي يتوافر بها المواد الخام اللازمة للصناعة أو تلك الدول ذات المناخات الملائمة للزراعة، وبدأت المستعمرات تلعب -مرغمة في ذلك- دور مزدوج في التصدير والاستيراد، فهي مصدر هام للمواد الخام وسوق لتصريف هذه المنتجات بعد ذلك، وفي الزراعة، استخدمت رؤوس الأموال في تنمية مواد ومحاصيل زراعية نقدية غالية الثمن كالبن، كما فعلت هولندا مع اندونيسيا.⁽¹⁹⁵⁾

وبناء على ما سبق من نمو لرؤوس الأموال، وتنامي الصناعة والزراعة، أتى دور التجارة لتزدهر أكثر، فقد لجأ بعض القادرين إلى إنشاء بورصات عالمية حيث تتركز فيها العمليات التجارية من بيع وشراء وتحديد الأسعار العالمية، وأدى هذا إلى التركيز الشديد في العمليات التجارية، ومن البورصات بورصة ليون Lyon، وبورصة أنفرس Anvers.⁽¹⁹⁶⁾

أما الناحية السياسية؛ فالكشوف الجغرافية أدت للاستعمار والتوسع، فوقعت مشاحنات بين الدول مثل حرب السنوات السبع،⁽¹⁹⁷⁾ فقد كانت الدول تقيس عظمتها بكثرة الأراضي التي تسيطر

¹⁹⁴ . حركة الكشوف الجغرافية، الشبكة الوطنية الكويتية، متاح بتاريخ 23 فبراير 2008، على الرابط:

(<http://www.nationalkuwait.com/vb/archive/index.php/t-21272.html>)

¹⁹⁵ . J.P. Oliveira Martins, The golden age of Prince Henry the Navigator.- London: Chapman and Hall. 1914 .P87

¹⁹⁶ . أوروبا وحركة الكشوف الجغرافية" المنتدى العلمي الثقافي، متاح بتاريخ 11 مارس 2007، على الرابط:

(<http://www.3rbsc.com/vb/showthread.php?t=490>)

¹⁹⁷ . حرب السنوات السبع (1756-1873) اشتركت فيها جميع دول أوروبا تقريباً، وامتدت إلى أمريكا والهند وسميت في أمريكا بالحروب الهندية، وفي أوروبا نشبت الحرب بين كل من بروسيا والنمسا من أجل السيطرة على ألمانيا. وساعدت

عليها. وقد أدت الأطماع إلى إنشاء الأساطيل الحربية وظهور نظريات جديدة تنادي بسيطرة الرجل الأبيض وتقر التفرقة العنصرية.

ومن الناحية العلمية، تحسين صناعة بناء السفن التجارية، كما حدث انقلاب في المبادئ الأساسية التي يقوم عليها علم الجغرافيا وذلك بثبوت كروية الأرض،⁽¹⁹⁸⁾ فرسمت خرائط أكثر دقة وتم رصد وتصوير ورسم بعض النجوم التي لا تظهر في النصف الشمالي، بالإضافة إلى اتاع مجال البحوث التاريخية، وإضافة معلومات جديدة لعلوم النبات والحيوان والبحر، زد على ذلك، التوصل إلى آلات دقيقة جداً مثل الإسطرلاب، وتعيين الاتجاهات كما أصبحت المدفعية أكثر قوة، ثم التعرف على نباتات وحيوانات جديدة، أصبحت أسبانيا مركز الفضة وكان لها مكاسب مالية وعم الرخاء الأسبان من أفراد الطبقة الوسطى، وعرف عهد فيليب الثاني "بعصر الفضة".⁽¹⁹⁹⁾

وفي الناحية الدينية؛ تم تعويض الكنيسة الكاثوليكية في روما عن ما فقدته من أقاليم في أوروبا بسبب تحول السكان عن المذهب الكاثوليكي، وذلك بنجاح دعاة المسيحية في معظم أقاليم العالم الجديد، حيث أن البرتغاليين والأسبان بذلوا جهوداً في نشر الدين المسيحي، فأدخلت أسبانيا السكان الأصليين لأمريكا الجنوبية في العقيدة الكاثوليكية، ولكن البرتغال لم تفلح في تنصير المسلمين في الشرق.

وقد كان العالم الجديد، أرضاً أكثر خصوبة وسهولة لعمل هؤلاء المبشرين، إذ أن سكانه الأصليين لم يكونوا يعلمون شيئاً عن الإسلام ولا عن المسيحية، ولقد بذل البرتغاليون والأسبان جهداً كبيراً في نشر المسيحية بين السكان الأصليين، وسرعان ما انتشرت الكاثوليكية في أمريكا

بريطانيا بروسيا، كما ساعدت فرنسا النمسا. وقد أقيمت بريطانيا على الحرب ضد فرنسا من أجل السيطرة على البحار وأراضي أمريكا الشمالية، ونتيجة لهذا الحرب فقدت فرنسا سلطانها في أراضي أمريكا الشمالية التي استولت عليها بريطانيا.

¹⁹⁸ Henry H.Hart, Marco Polo: Venetian Adventurer, -University of Oklahoma Press, 1983P989.

¹⁹⁹ . R.J. Knecht, Renaissance Warrior and Patron: The Reign of Francis I. Cambridge: Cambridge University Press, 1994,p65.

الجنوبية، والبروتستانتية في المستعمرات الانجليزية في أمريكا الشمالية، أما المستعمرات في جنوب شرق آسيا، فقد لاقت فيها المحاولات التبشيرية مصاعب جمة، ذلك أن شعوب هذه المنطقة كانت لهم معتقداتهم الدينية الخاصة بهم، كما أن الإسلام قد سبق المسيحية إلى هذه البلاد، وترسخ في أهلها منذ عقود عديدة.⁽²⁰⁰⁾

ومن النحية الثقافية والاجتماعية؛ انتقل أهالي المستعمرات من العصر الوسيط إلى العصر الحديث، وذلك بملبسهم ومأكلهم وتغير شمل أغلب مظاهر ثقافتهم، وذلك لتستطيع أن تسير في علاقتها مع مستعمراتها، كما تغيرت حياة أهالي المستعمرات، حيث نشأت طبقة اجتماعية من التجار في المستعمرات، يعملون في التجارة مع الدول المستعمرة وفي خدمتها، مما أدى إلى ازدياد ثروتها، ثم إن هذه الطبقة تطلعت إلى النفوذ السياسي، كما بدأت تنمو في إطار الانتقال التدريجي من الداخل إلى الخارج، حيث السواحل التي تعتبر مراكز تجارية كبيرة.⁽²⁰¹⁾

كما أرست حركة الاستعمار نظام التفرقة العنصرية في المستعمرات، حيث كان البيض دائماً هم الأسياد والآخرين مهما اختلفت ألوانهم هم العبيد، وفي خدمة أسيادهم البيض، ولقد صيغت قوانين وأنظمة تتيح للمستعمر الأبيض أن يمتلك بالسلب وبالقوة من الأراضي والموارد الاقتصادية ما لم يمتلكها الأبيض، كما أباحت لهم حرية استغلال البشر والحجر كيفما شاءوا.⁽²⁰²⁾

وأخيراً؛ عانى سكان المستعمرات كثيراً من ظلم وجور الغزاة، وكانت المعاناة تختلف من مكان لآخر، رغم تمثلها في الشدة والألم، فهناك المعاناة الاقتصادية التي فرضتها هولندا على الاندونيسيين بإجبارهم على زراعة محاصيل لا حاجة للاندونيسيين فيها، ولكنها تدر على الهولنديين مبالغ هائلة، وكذلك كان البرتغاليون يضطهدون المسلمين دينياً بتخييرهم بين الدخول

²⁰⁰ . Laurence Bergreen, Marco Polo, Alfred A. Knopf, - New York, 2007.P97

²⁰¹ . كريت، برنتون، منشأ الفكر الحديث/ ترجمة د. عبد الرحمن مراد. - دمشق: مطبعة مفيد الجديدة، د. ت.

²⁰² . عبد الفتاح أبو عليه، تاريخ الأمريكيتين، ص50.

في المسيحية أو القتل. كما عمل البريطانيون والفرنسيون، والأسبان -من قبلهم- على تنفيذ أبشع جرائم الإبادة في حق السكان الأصليين، وذلك في المناطق التي احتلوها ولا سيما في أمريكا الشمالية، إلا أن الوضع في أمريكا الجنوبية قد بلغ درجة أقل حدة، إذ كان السكان الأصليون يندمجون مع المستعمرين في حياتهم ويتعلمون لغتهم، ويعملون في خدمتهم، ويعتقدون دينهم. (203)

وبهذا يمكن القول؛ إن حركة الكشف الجغرافي الأوربي كانت جزءاً من اليقظة العامة التي انتابت أوروبا في القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر الميلادي، فكانت حركة دينية سياسية علمية تجارية في آن واحد، أحدثت انقلاباً كبيراً في أحوال أوروبا الغربية وأفكارها وفي أحوال البلاد المكتشفة. (204)

²⁰³ . ميرل دوبينيه، تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر/ ترجمة الشيخ إبراهيم الحوراني. -الطبعة الثانية. -بيروت:

منشورات مكتبة المشعل بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط، 1878.

²⁰⁴ . "نتائج الكشوف الجغرافية" مشروع (لا أصل لمن ليس له تاريخ)، متاح بتاريخ 30 أبريل 2009 على الرابط:

(<http://www.history11.jeeran.com>)

مصلح ديني مسيحي ألماني ثار على الكنيسة الكاثوليكية وهو مؤسس البروتستانتية ولد في مدينة ايسلين بمقاطعة ساكس الألمانية سنة 1483 لأب فلاح كانت أميته أن يدرس أبنه القانون لكن مارتن لوثر المحب للرهبانية منذ صغره عكف على الدراسات اللاهوتية الأكاديمية،⁽²⁰⁵⁾ حتى حصل على الدكتوراه في هذا المجال من جامعة فيتنبرغ وصار أستاذا لدراسات الكتاب المقدس (الإنجيل) فيها في عام 1512. زار لوثر في العام 1510 روما للحصول على بركة المقر الرسولي ، وكان يتمنى رؤية القديسين والرهبان الزهاد . غير أنه ما إن حل بروما حتى فوجئ بمدى الفساد المنتشر داخل الكنيسة الكاثوليكية على جميع المستويات . في القرن السادس عشر ،⁽²⁰⁶⁾ رفع مارتن لوثر - مؤسس حركة الإصلاح البروتستانتية - شُعلة الإصلاح الديني ، ساعياً إلى تطهير المسيحية من العقائد غير الأصلية . كان أكثر ما يؤرق مارتن لوثر ، إيمان المسيحيين بفكرة صكوك الغفران . إلا أنه لم يكن في حسبانهِ أن يتحول هذا الأرق إلى ثورة إصلاحية كبيرة ، لا تعم ألمانيا وحدها ، بل القارة الأوروبية بأكملها . ولم يكن يدور في خلدِهِ ، ان تُسفر مسيرته تلك عن صلح وستفاليا في عام 1648 ذلك الصلح الذي وضع حجر

²⁰⁵ . جون هامرتن، تاريخ العالم/ ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف. -القاهرة، (بدون تاريخ).

²⁰⁶ .ك. م. بنيكار، آسيا والسيطرة الغربية/ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. -القاهرة: دار المعارف، 1962

الاساس لعلمنة الغرب . ولم يكن في حُبان لوثر أيضاً أن تتحول معارضته لصكوك الغفران الى حرب عارمة على البابوية , ومنها إلى تأسيس العلمنة السياسية في أوروبا .

-

-

- -]

- [

-

ظهرت حركة الإصلاح الديني اللوثيري كحركة دينية نصرانية في القرن السادس عشر الميلادي في أوروبا وادت إلى ظهور البروتستانتية , وكان لها أثر كبير على الحياة السياسية والإجتماعية والاقتصادية في أوروبا , بل لا تزال آثارها ملموسة حتى اليوم , كما ظهرن على إقرها العديد من الكنائس البروتستانتية الكبرى , وبعض الجماعات التي أصبحت تنافس الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في كسب ولاء النصارى .⁽²⁰⁷⁾

²⁰⁷. The Catholic Encyclopedia: J. Loughlin, "Pope Paul IV." , -New York: Robert Appleton Company. Retrieved March 20, 2009 from New Advent:

<http://www.newadvent.org/cathen/11581a.htm>

كان هناك دافع ديني أدى إلى ظهور حركة الإصلاح ، حيث شهدت القرون الثلاثة التي سبقت حركة الإصلاح صراعاً بين ملوك أوروبا والكنيسة ، فبعد أن كانت للكنيسة سلطة مطلقة على الحكام المدنيين ،⁽²⁰⁸⁾ سعى الملوك إلى استرداد سلطتهم المدنية. وبلغ الأمر أن اضطهد بعض الملوك البابا ، ولجأ البابا إلى ترك روما لفترة معينة ، الأمر الذي أضعف من سلطة الكنيسة . كما شهدت هذه الفترة أيضاً صراعاً داخلياً بين الكرادلة ، وتنافساً فيما بينهم حول منصب البابوية⁽²⁰⁹⁾ .

إضافة إلى أنه ظهرت في هذه الفترة مفاصد كثيرة داخل الكنيسة وإقبال على الدنيا بين رجال الدين النصارى الذين استغلوا جمع الاموال عن طريق بيع المناصب الكنيسة وصكوك الغفران ، واستخدام هذه الاموال في بناء القصور الفخمة ، والانغماس في ملذات الدنيا ، الامر الذي أضعف سلطة الكنيسة الروحية ومكانتها الدينية . وقد تولى بعض المصلحين مثل جون ويكلف في إنجلترا ، وجون هس في بوهيميا وغيرهما انتقاد هذه الممارسات والوقوف ضد تلك المفاصد ، ولكنهم لم يستطيعوا إيقافها ، وفي الوقت الذي أهملت فيه الكنيسة قيادتها الروحية ، بدأ ينمو بين العامة شعور ديني عميق ، الامر الذي ولد نوعاً من القلق الشديد بين العامة ورؤسائهم الدينيين خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين⁽²¹⁰⁾ .

ومن الناحية الثقافية ، ظهر في الغرب منذ بداية القرن الرابع عشر الميلادي ، ما يُعرف بحركة النهضة التي دعت إلى الاهتمام بالحضارات القديمة ودراسة آدابها وتاريخها وفلسفتها . وقد كان لذلك أثر كبير على النصرانية ، إذ ان الاهتمام باللغات القديمة مثل العبرية واليونانية

²⁰⁸ .inda Murray, Michel-Ange, -London: Thames & Hudson, 2003.

²⁰⁹ . موسوعة الفلسفة/ عبد الرحمن بدوي. -الطبعة الأولى. -بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984. ص33 (الجزء الثاني).

²¹⁰ . Frances Wood, Did <arco Polo Go to China? .-Westview Press 1995.P99

مكّن العلماء من قراءة النصوص المقدسة في اللغات التي كتبت بها أصلاً ، وبدراسة الفترة النصرانية المبكرة عرف العلماء كيف تغيرت الكنيسة خلال القرون . كما أن اختراع الطباعة المتحركة مكّن كثيراً من الغربيين من غير رجال الدين أن ينالوا حظاً من التعليم والثقافة .

وكانت هناك أسباب سياسية واقتصادية وراء ظهور حركة الإصلاح⁽²¹¹⁾، فقد شهدت الفترة التي سبقت حركة الإصلاح توسيع ملوك أوروبا من سلطاتهم السياسية في مقابل سلطة البابا والامبراطور،⁽²¹²⁾ وأصبح الملوك في إنجلترا وفرنسا وأسبانيا أكثر قوة ، ونظموا شؤونهم المالية ، وبنوا جيوشهم . وأصبح البابا لديهم مجرد قائد سياسي لدولة أجنبية لا سيطرة له ولا نفوذ على أقطارهم ، وبعد بداية حركة الإصلاح انفصل بعض الملوك تماماً عن سلطة البابا⁽²¹³⁾ .

أما اقتصاد أوروبا خلال القرون الوسطى فقد كان اقتصاداً زراعياً ، ومعظم الناس كانوا فلاحين يعيشون في قرى صغيرة . وخلال القرن الثاني عشر الميلادي ، بدأت تتكون المدن وتكبر لاسيما في إيطاليا والنرويج ، وبدأت حركة تجارية نمت على إثرها ثروة المدن وأصبحت مستقلة ، فرفضت إدارة الإقطاعيين المحلية وسيطرة الاساقفة . وقد لجأ التجار والأثرياء الى الملوك والإمبراطور للحماية . وهكذا أدت هذه الاسباب مجتمعة ، إلى ضعف الكنيسة وفقدان سيطرتها ومكانتها الدينية وأثرها على الجماهير⁽²¹⁴⁾ .

²¹¹ شوقي ضيف، محاضرات بعنوان "تأثير الثقافة العربية في الثقافة الغربية الحديثة، مؤتمر مجمع اللغة العربية: الدورة

الثامنة والستين. - القاهرة، مارس 2002. ص33

²¹² . هيربرت ا.ل. فيشر، أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية/ ترجمه زينب راشد، أحمد

عبد الرحيم مصطفى. - القاهرة: دار المعارف، 1965. ص34

²¹³ . ميرل دوبينياه، تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر/ ترجمة الشيخ إبراهيم الحوراني. - الطبعة الثانية. - بيروت:

منشورات مكتبة المشعل بإشراف رابطة الكنائس الإنجليزية في الشرق الأوسط، 1878.

²¹⁴ . جورج هارب، الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي/ تعريب عبد العزي طريح. - الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية،

خلاصة القول ، يعد الإصلاح الديني أحد نتائج النهضة الأوروبية وقد تضافرت عدة عوامل على قيام هذه الحركة ومنها تدهور الكنيسة الكاثوليكية في روما ، التحرر من القيود التي فرضتها الكنيسة على التفكير، ورغبة حكام ألمانيا في الوحدات السياسية في التخلص من سيطرة الكنيسة وتدخل الباب⁽²¹⁵⁾. ولقد كان مارتن لوثر ذلك الفلاح السكسوني الفقير البائس يعيش في بيئة فقيرة تمتلئ بالخرافات الدينية، حيث صورت المسيح عليه السلام كما ورد منتقم ينتظر المخطئين ليذيقهم العذاب الأليم. وقد توصل لوثر إلى أن إيقاد الشموع والصلاة ليس إلا نوعاً من إسداء الشكر لله الرحيم ، ولقد كان نزول حنا تنزل إلى روما لبيع صكوك الغفران هذا الحدث وهذه الصكوك كانت السبب المباشر في قيام هذه الحركة التي حلم لواءها مارتن لوثر وجعلت منه داعياً للإصلاح⁽²¹⁶⁾.

ولد مارتن في 10 نوفمبر 1483 في آيزليبين في مقاطعة سكسونيا بألمانيا وعاش حياة تعيسة فقيرة ، وكان والداه يشتغلان في فلاحه الأرض ، وقد درس القانون في جامعة إرفوت . وفي عام 1505 دخل ديراً يتبع طائفة القديس أوجستين وأصبح راهباً ، وفي عام 1511 زار

²¹⁵ . شوقي ضيف، محاضرات بعنوان "تأثير الثقافة العربية في الثقافة الغربية الحديثة، مؤتمر مجمع اللغة العربية: الدورة

الثامنة والستين. -القاهرة، مارس 2002.ص34

²¹⁶ . Althaus Paul, The Ethics of Marthin Luther/ Translated by Robert C. Schultz, -Philadelphia: Fortress Press, 1972.

روما في مهمة رسمية ممثلاً لهذه الطائفة⁽²¹⁷⁾ ، وقد أدهشه في روما أنهيار المعايير الأخلاقية لدى رجال الدين والباباوات وأنغماسهم في حياة التبذل والملذات فقال عبارته " إن من يذهب الى روما يشعر بأن عقيدته الدينية تترنح تحت الضربات التي تصيبه من جراء ما يرى هناك"⁽²¹⁸⁾.

سنة 1512 عين لوثر أستاذاً لكرسي اللاهوت في جامعة وتنبرج وأصبحت رسالته الأولى هي التدريس والوعظ . وفي 1517 هبط مدينة وتنبرج راهب يدعى حنا تنزل من أتباع طائفة الدومينكان الدينية وقد جاء لبيع صكوك الغفران ، وخصص جزء صغير من حصيلة البيع الى كبير اساقفة مانيز ، والجزء الأكبر إلى خزانة البابا ليو العاشر للإسهام في نفقات المبنى الجديد لكنيسة القديس بطرس في روما⁽²¹⁹⁾.

وكان هذا الراهب يدعو الناس الى أن يشتروا الثواب وصك الغفران طواعية ، وبلغت وقاحته في أنه زعم إذا ارتكب الرجل الخطيئة مع العذراء المباركة نفسها فإن هذه الصكوك كفيلة بأن تمنحه الغفران الكامل ، وبذلك فقد تطاول على العذراء المباركة التي لها تقدير في نفوس الملايين من المسيحيين والمسلمين ، ومن جهة أخرى كان ذلك بمثابة تحريض على ارتكاب الخطايا بإعفاء من العذاب .

الواقع إن ، الغفران كما عرفه توماس أكونياس يقوم على ثلاث قواعد : الندم أو التوبة ، الاعتراف ، التفكير بالصلاة والصوم والزكاة⁽²²⁰⁾. وكان البابا قادر على اصدار صكوك الغفران لأنه خليفة القديس بطرس الذي له ميزة توزيع فيض من الثواب وذلك لأنه هو خليفة

²¹⁷ . جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث/ ترجمة علي المزروقي. -الطبعة الأولى- عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2006. ص596

²¹⁸ . روبرت المر، تاريخ العالم الحديث/ الجزء الأول: ترجمة محمود أمين؛ الجزء الثاني: ترجمة حسن علي دنون. -بغداد: مكتبة دار المتنبى، 1964. ص34

²¹⁹ . شارل أدري جوليان، تاريخ أفريقيا/ ترجمة طلعت عوضي أباطة، مراجعة عبد المنعم ماجد، القاهرة: دار النهضة مصر، 1968. ص276

²²⁰ .ك. م. بنيكار، آسيا والسيطرة الغربية/ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. -القاهرة: دار المعارف، 1962، ص98

المسيح , ولكن الباباوات استعاضوا الجزاء بالأشتراك في حرب صليبية او الحج الى روما في اول كل مائة سنة جيدة ويسمى ذلك الغفران اليوبيلي . وقد توسع البابا ليو العاشر في تطبيق مبدأ الاستعاضة عن الجزاء حتى صارت هذه الاستعاضة تشمل زيارة قبول القديسين وتقديم الهبات إذا تعذر الحج وأن يسري هذا التعويض على الأموات⁽²²¹⁾.

ولكن الباباوات عهدوا الى البنوك والمصارف في ألمانيا للقيام بعملية تحصيل هبات الأموال فأدى تدخل المصارف في مسألة التعويض عن الجزاء إلى مجرد عملية تجارية . فيكفي الإنسان أن يدفع مبلغاً ويحصل على شهادة صك الغفران .

وفي سنة 1515م توصل لوثر الى أنه ليس من المعقول التخلص من الخطايا بشراء صكوك الغفران , وأنه ليس التخلص منها بالصلاة والعبادة وإنما بأسداء الحمد والشكر للإله الرحيم . وان الايمان هو شرط الغفران هو الثواب على الايمان , وقد أهدى لذلك من دراسته للكتاب المقدس وتعاليم القديس أوجستين وهذه العقيدة تعرف بـ " التبريد بالايمن "⁽²²²⁾ .

وبذلك فقد أغتصب البابا ليو العاشر ما كان مفروضاً من صفات الله وحده , بل أنه قادر على التجاوز عن العقوبة وقادر أن يمحو الخطيئة ذاتها , وانحطت الأخلاق في عصره واستطاع المذنب أن يشتري صكاً ليحو كل خطايا⁽²²³⁾.

وقد أثارت التصريحات الحمقاء لحنا تنزل السخط في نفس لوثر فقام في 31 أكتوبر 1517 يوم الاحتفال بذكرى تدشين كنيسة وتبرج بتعليق احتجاجاً مفصل على باب الكنيسة من خمسة

²²¹ . CAROCCIOLI and BROMATO, VON RANKE, Hist.of the Popes in the XVIXVIII Centuries, REUMONT, Gesch. Der Stadt Rom, ARTAUD DE MONTOR, New York, 1867.P87

²²² . Clifford J.Rogers, Readings on the Military Transformation of Early Modern Europe. –San Francisco: Westview Press, 1995.P95

²²³ . Glenn J. Ames, The Globe Encompassed: The Age of European Discovery (1500–1700), .University of Toledo: Prentice Hall Copyright, 2008P34

وتسعين حجة ضد صكوك الغفران , وان البابا ليو العاشر يمنح الغفران للناس ولا يستطيع شراؤه لنفسه⁽²²⁴⁾ , فتلك صفة إلهية لا يجب أقتباسها وقد جعلها لنفسه , وأوضح لوثر ان الكتاب المقدس وحده هو القانون الذي يجب الاعتماد عليه في تفسير العقائد⁽²²⁵⁾.

وكان أحتجاجه باللغة اللاتينية إلى العلماء لمناقشتها والنظر فيها , لا الى عامة الشعب . ولكن سرعان ما ترجم الى اللغة الألمانية وأنتشر في طول ألمانيا وعرضها. وهذه بعض بنود الاحتجاج :

- ان الله هو الذي يغفر الخطايا . وإن الانسان لا يستطيع أن يشتري الغفران وخلص نفسه بمبالغ معينة من المال . وان الاعمال الصالحة لازمة , ولكنها لا تخلص الانسان . وهي ثمرة الايمان .
 - ان الكتاب المقدس هو دستور حياتنا وهو فوق تقاليد الكنيسة . أننا نقبل التقاليد اذا كانت لا تتعارض مع ما يعلمه الكتاب المقدس .
 - ان الاسرار المقدسة اثنان وليس سبعة , لأن المسيح لم يرسم الا سرين (أو فريضتين) مقدسين هما المعمودية والعشاء الرباني .
 - اننا نترك مسحة المائتين بالزيت .
 - ولكننا لا نترك الزواج , وان كنا لا نعتبره فريضة . والسبب في عدم اعتبار الزواج فريضة هو ان الناس كلهم يتزوجون منذ الخليقة .
 - دعا لوثر الرهبان والراهبات والكهنة الى الزواج أذ شاءوا ذلك . أما من أراد أن يبقى عازباً فإن حرية الخيار متروكة له وراجعة الى ضميره⁽²²⁶⁾ .
- وفي عام 1519م وجد لوثر انه يجب إصلاح الكنيسة من الخارج طالما انها لم تستجب من داخلها للدعوات المتكررة بأصلاح نفسها بنفسها , فوجه الدعوة الى حكام الولايات الالمانية من

²²⁴ .ويل ديورانت، قصة الحضارة: ماجلان وكشف الأرض. -متاح بتاريخ 24 أبريل 2009 على الرابط:

<http://islamport.com/w/amm/Web/2482/10096.htm/>

²²⁵ . كتاب حقائق عن ألمانيا: عشرة أجزاء. -متاح بتاريخ 16/4/2009 على الرابط: ([http://www.tatsachen-ueber-](http://www.tatsachen-ueber-deutschlanl.de/ar/home1.html)

[deutschlanl.de/ar/home1.html](http://www.tatsachen-ueber-deutschlanl.de/ar/home1.html)

²²⁶ . المطران داود حداد , حركة الاصلاح الديني في المانيا , مارتن لوثر / القسم الرابع / الفصل الثامن , متاح بتاريخ 10

مارس 2009 على الموقع العربي الأول والوحيد عن المصلح مارتن لوثر : (<http://www.lutherinarabic.org>) .

الأمراء ليتزعموا هذه الحركة الاصلاحية , وقد قبلها ورحب بها الامراء نظراً للمكاسب السياسية والمادية التي تعود عليها من ورائها . وقد حدد لوثر أسس ومبادئ الإصلاح الديني في رسالته الاولى وهي (227):

أولاً : أباح الطلاق للمسيحيين .

ثانياً : إلغاء الحج الى روما .

ثالثاً : ليس للبابا الحق في احتكار تفسير الإنجيل .

رابعاً : أخضاع رجال الدين للسلطة المدنية .

خامساً : أباحة الزواج للقسس (228) .

سادساً : عدم انشاء أديرة جديدة و إلغاء عدد من الأديرة القائمة وتحويل نزلاتها الى الحياة المدنية وإلغاء الديرية والرهبنة .

ونتيجة هذا الهجوم من جانب لوثر أصدر البابا ليو العاشر في ديسمبر 1520 قرار الحرمان ضد لوثر وذلك لأن أرائه جعلت منه مارقاً على المسيحية . وكان جواب لوثر على ذلك أن نشر رسالته الثانية عن الأسر البابلي لإظهار ضعف البابوية للكنيسة لإظهار ضعف البابوية ومفاسد الكنيسة , وقام بحرق الحرمان علناً في ساحة كنيسة وتبرج . وفي يناير 1521 استدعى لوثر للمثول أمام أول مجمع إمبراطوري لمناقشة أرائه بناء على طلب الإمبراطور

²²⁷ . بواقيم رزق مرقص، محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية: مارتن لوثر. -متاح بتاريخ 6 مارس 2009 على الرابط: <http://st-takla.org/Coptic-History/05-History-of-The-Western-Churches.html>

²²⁸ . وقد تزوج لوثر في عام 1525م من راهبة تدعى كاترين بورا Catherine Bora . وعاش وإياها حياة هنية مع اطفالها في البناء الذي كان قبلاً ديراً له ويتنبرج وهناك كتب المؤلفات الدينية ونظم الترانيم التي يرددها البروتستانت الآن . راجع : بواقيم رزق مرقص , محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية , مارتن لوثر , متاح بتاريخ 6 مارس 2009 على الرابط : <http://st-takla.org/Coptic-History/005-History-of-The-Western-Churches.html> .

تشارلز الخامس ، وأصر لوثر في هذا المجمع على آرائه فأعتبر خارجاً على السلطة القائمة وحرّم من حقوقه المدنية⁽²²⁹⁾.

فقد طلب المجمع من مارتن العدول عن هرطقاته فكان جوابه : " لا يمكنني العدول أو التراجع عن كل ما كتبتّه أو قلته إلا بشرط واحد هو أن يبين لي أن أقوالي وكتاباتي تناقض الكتب المقدسة أو تناهض مبادئ العقل والضمير ، أو تثبتوا لي بأنها غير سليمة أو غير مستقيمة " . وأنهى كلمته بالقول : " ما عدا ذلك لا يمكنني التراجع عن آرائي أو العمل بخلافها . علي هذا عاهدت نفسي وسأكون علي العهد مقيماً أعانني الله . آمين " ⁽²³⁰⁾.

في نفس اللحظة تم وضعه تحت الرقابة الإمبراطورية وسُمح له بالذهاب الى منزله . لكن في طريقه الى بيته وفي أحد الشوارع الضيقة انقضت عليه مجموعة من الفرسان المقنعين فحملوه الى قلعة ورتبورج . هذا حدث بإيعاز من صديقه فرديريك حاكم سكسونيا الذي كان يخشى على حياة صديقه مارتن ولم يتمكن علناً من توفير الحماية له ، فقرر على الاقل اختطافه ووضعها في مكان آمن . وخلال مدة العشرة شهور التي قضاها في القلعة قام مارتن لوثر بترجمة جديدة للكتاب المقدس من اليونانية الى الألمانية فأعتبر ذلك العمل الضخم حجر الاساس في تاريخ الادب الألماني .

²²⁹ . منصور الجمركي، دراسة بعنوان مقدمات في الفكر السياسي الأوربي". -مجلة ديوان العرب.- منشور بتاريخ 19 يونيو

2006 على الرابط: <http://www.diwanalarab.com/spip?article4823>

²³⁰ . مقال بعنوان "أوروبا لا تدين بتطورها للمسلمين"، شبكة الإعلام العربية، -متاح بتاريخ 26 أبريل 2008 على

الرابط: http://www.moheet.com/show_news.aspx

في سنة 1546 دُعي لفض نزاع قام في بلدة إيسليين ، وبعد أن أفلح في فض النزاع أصيب بنوبة برد ما لبث أن توفي في أثرها وذلك في 18 فبراير 1546 ودفن في نفس الكنيسة التي قام بتثبيت آرائه الدينية على بابها (231) .

والجدير بالذكر ، ان اللوثرية تدين بالكثير لسياسي وباحث وجامعة ، فكان فردريك منتخب سكسونيا هو الذي حمى لوثر من اعدائه ودبر له مخبأ بعيداً عن متناول أيديهم في قلعة وارثر برج وقد ظل لوثر هناك سنة ترجم فيها الانجيل للألمانية ، وقد أثر ذلك في إحياء الأدب وإطلاع عامة الناس على كتابهم المقدس . والباحث هو فيليب ملانكتون الذي أمد الدين الجديد في سنة 1521 بأول كتاب له في اللاهوت وهو " كلام معاد " ويرجع إليه الفضل في وضع فلسفة واضحة للإصلاح اللوثرية . أما الجامعة فهي جامعة وتبرج التي اصبحت المهد الأساسي لتعليم اللوثرية وجاء إليها طلاب العلم من جميع أنحاء ألمانيا(232).

وهكذا ، نرى أن الظروف السياسية التي أحاطت بألمانيا ساعدت على انتشار الحركة اللوثرية ، ولكن الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي سادت في أرجاء ألمانيا جعلت الحركة تأخذ في مسارها اتجاهات معينة ، فالبعض وجد في هذه الحركة فرصة لتنفيذ الآراء التي يؤمن بها مما أدى لوقوع اضطرابات وجعل حركة الاصلاح تقترن بالعنف والفوضى ، وذلك شاعت حركات الإصلاح في ألمانيا (233) .

²³¹ . وقد أمر الإمبراطور فريديريك وليام الرابع سنة 1858 باستبدال أبواب الكنيسة القديمة بأبواب برونزية جديدة تحمل آراء لوثر . وقد تم تشييد نصب تذكاري للمصلح الكبير مع العبارة التالية : " ان كان هذا العمل من الله فسيكتب له البقاء ، أما اذا كان من صنع البشر فمآله الزوال " . راجع :

محمود سعيد ، مقال بعنوان " مارتن لوثر : المتهم البريء والمصلح الجريء " السويداء نت ، متاح بتاريخ 3 يناير 2009 على الرابط : (<http://www.swaidanet.com/modules.php?name=News&file=article&sid=495>) .

²³² . مقال بعنوان "أوروبا وحركة الكشوف الجغرافية" -المنتدى العلمي الثقافي. -متاح بتاريخ 11 مارس 2007 على الرابط: (<http://www.3rbsc.com/vb/showthread.php?t=490>)

²³³ . ولمزيد من التفاصيل عن حركة الاصلاح الديني ومارتن لوثر راجع :

شوقي عطا الله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، تاريخ اوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة . - القاهرة : المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، 2000 ، ص 43 - 53 .

في 3 ديسمبر سنة 1521م دخل بعض الطلبة وسكان المدينة في كنيسة الأبرشية- بيتبرج وهم مسلحون بالمدى , وطردهوا القساوسة من المذابح , ورجموا بعض المصلين , أمام تمثال (مريم العذراء)⁽²³⁴⁾ , لكن استخدام أسلوب العنف لم يلق تأييداً من لوثر فقد دعا الى نبذ العنف والابتعاد عن العصيان , وتجاوز المحتوى الطبقي للثورة بهدف كسب النبلاء الى جانبها , وفي ذلك خير لخدمة الإصلاح , بينما العنف يولد العنف ويذهب الإصلاح أدرج الرياح , وعليه فتوجه الفلاحين وجميع الافراد بالدعوة لتحاشي الالتجاء الى القوة , فالله منتقم جبار , ومما يبرر رفض اللجوء الى العصيان أنه ... " غير معقول وهو بصفة عامة يضر الابرياء اكثر مما يضر الآثمين , لذلك فإن العصيان ليس من الصواب في شيء ولأن الأضرار التي ينتجها تتجاوز قدر ما يتم من الإصلاح , وحتى لا يؤدي الى الوقوع في ظلم فظيع على يد عبد يتخلص من قيده فلا يميز بين الخبيث والطيب "⁽²³⁵⁾ .

وفي هذا يلتقي لوثر مع أرازموس الذي يدعو الى نبذ العنف واحلال السلام , وفي الوقت نفسه عبر لوثر عن تعاطفه مع المظلومين بقوله : " إن عواظي ستكون دائماً ولسوف تظل مع

Jesse Couenhoven , " Grace as Pardon and Power : Pictures of the Christian Life in Luther , Calvin , and Barth " . – Blackwell Publishing : The Journal of Religious Ethics , Vol . 28 , No.1(Spring , 2000) , pp . 63 – 88 . stable URL . <http://www.jstor.org/stable/40015277>

Paul Althaus , The Ethics of Martin Luther / Translated by Robert C.Schultz. – Philadel – phia : Fortress Press , 1972 .

John Dillenberger , Martin Luther : Selections from His Writings . – New Yor;k : DoublNew Yor;k : Doubleday , 1951.P44

Gerhard Ebeling , Luther : An Introduction to His Thought / Translated by R.A . Wilson. – Philadelphia : Fortress Press , 1970 .

²³⁴ . محمد حرب، الحملات الحربية في عهد سليمان القانوني. -مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.ع55-56- المدينة المنورة (1983-1982).ص33

²³⁵ . رأفت عبد الحميد، "السمو البابوي بين النظرية والتطبيق".- بحث منشور في مجلة ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط،

المجلد الثالث.- القاهرة 1985.ص37

ولئك الذين يوجة التمرد ضدهم " . في الوقت الذي دعا فيه جابرييل تسفيلينج أحد زعماء الطائفة الأوغسطينية مستمعيه الى إحراق الصور الدينية وهدم المذابح حيثما وجدت .

وأطلق أنصار الإصلاح الديني ولوثر من أن المرجعية العقديّة لهم هي الانجيل وحده , وأعلن (منتسر) و (نيكولاس ستورك) والعالم (ماركوس ستييز) أنهم وهدم مؤهلين ليكونوا مفسرين الكتاب المقدس من خلال أقتناعهم بأنه يوحى إليهم من الروح القدس , التي تأمرهم بأن يؤجلوا (العماء) الى حين بلوغ سن الرشد , وبأن القربان المقدس لا يكون له اثر إلا بالإيمان وهو امر لا ينتظر من الاطفال (236) .

والتعميد هو تغطيس الطفل في الماء ثلاث مرات على اسم الثالوث المقدس (الاب- الابن- الروح القدس) وقالت هذه الطائفة إن تعميّد الاطفال وهم في سن مبكرة لا يتمشى مع تعاليم الإنجيل فطالبت عام 1525 بأعادة تعميدهم مرة اخرى حين يبلغون الحلم , وكانت حجة أفراد هذه الطائفة أن أركان التعميد الدينية الصحيحة لا تتوفر الا في التعميد المتأخر , وقد أطلق على رجال هذه الطائفة المطالبون بإعادة التعميد أو المعمودية(237) .

وقد تطرف دعاة هذه الحركة , ووقعت الاعتداءات والاضطرابات مما عرض الإصلاح الديني ذاته للخطر , فأضطر مارتن لوثر الى الخروج من مخبأه كي يدعو هؤلاء المتطرفين الى التزام الهدوء والحكمة , وقد ساعده في ذلك فيليب ملانكتون(238).

كانت حرب الفرسان هي الحركة المتطرفة الثانية التي صاحبت الإصلاح الديني اللوثيري , فقد ترقب الفرسان الفرصة المواتية للثورة على الامراء والبطاركة والممولين , في وقت كانت

²³⁶ . سامي الشيخ محمد , مقال بعنوان " حركة الاصلاح البروتستانتية (لوثر , زونجلي , كالفن) " , دنيا الرأي , كتب ودراسات , متاح بتاريخ 8 يناير 2006 , على الرابط :

(<http://pulpit. Alwatanvoice.com/content-35520.html>) .

²³⁷ عبد الرحمن كيلاني, مقال بعنوان لمحة تاريخية عن الدولة العبيدية" .-الفسطاط: المجلة التاريخية, متاح بتاريخ 8يناير

2009 على الرابط (http://www.fustat.com/l_hist/ubaidyah.shtml)

²³⁸ . جاد طه , محاضرات في تاريخ اوروبا الحديث - القاهرة : جامعة عين شمس , 1997 , ص111 . (غير منشور) .

فيه اراضي الكنيسة مباحة يمكن الاستيلاء عليها بسهولة, ثم جاءت دعوة (هوتن) مترافقة مع دعوة (لوثر) الشهه=عب الالمانى الى الثورة , وتطهير الأرض من مضطهديه , غير ان الثورة قد فشلت وخضع الفرسان للامراء , بينما أستمر نجم لوثر في الصعود , وإقبال الرهبان والقساوسة بكثرة على الزواج , ثم ترددت كلمة "الله" في كنيستي (لورنز) و (زيبالدوس) بـ (نورمبرج) وهي العبارة التي أطلقها المصلحون على عقيدة الكتاب المقدس⁽²³⁹⁾ .

أما دور الوعاظ الانجيليون فقد تحدد في تشييد مقابر جديدة والاستيلاء على المقابر القديمة , وباتوا ينددون بالسادة الزمنيين بأعتبارهم مبتدعين ظالمين , مما أدى الى ازدياد اتباع لوثر من قبل العديد من السادة الزمنيين حتى أن (إيزابيلا) شقيقة الامبراطور كانت من اتباع لوثر أما المجلس النيابي فقد بعث برد على مندوب البابا كلمنت السابع (الكاردينال لورزو كاميجيو) الذي كلف بنقل طلب القبض على لوثر في يناير 1524م . بأن أي محاولة لقمع الحركة اللوثرية بالقوة سوف تنتهي بـ " ثورة وعصيان ومذبحة ودمار شامل "⁽²⁴⁰⁾ .

وبعد أن اخفقت الثورة وكان لوثر وقتها يناصر الأمراء ضد استخدام الفلاحين للعنف . عاد من جديد الى مناصرة الفلاحين , فندد بمواقف الامراء والسادة الاقطاعيين من الانجيل وظلم الناس , وبالتالي فأنهم يستحقون أن يهزموا من قبل الله , واذا تمكن الفلاحون أن يكونوا حملة ضمير جيد , فسوف يقف الله معهم , حتى اذا تعرضوا لمعاناة الهزيمة والموت لفترة من الزمن فسوف يفوزون بالنصر في النهاية,⁽²⁴¹⁾ " فالضمير الحي قبل التوجه الى الله يعتبر الشيء الرئيسي " للانسان .

²³⁹ . القس حنا جرجس الخضري، المصلح مارتن لوثر حياته وتعاليمه: بحث تاريخي عقائدي لاهوتي.- دار الثقافة : القاهرة. -
-متاح بتاريخ 11 مارس 2009 على الموقع العربي الأول والوحيد عن المصلح مارتن لوثر:

<http://www.lutherinarabic.org/>

²⁴⁰ . محمود شاكر، مقال بعنوان "المنطلق الأساسي في التاريخ الإسلامي": خطبة طارق بن زياد، الفسطاط: المجلة التاريخية. -
-متاح بتاريخ 8 يناير 2009 على الرابط:

http://www.fustat.com/l_hist/muntalaq.shtml/

²⁴¹ . مشروع "لا أصل لمن ليس له تاريخ": نتائج الكشوف الجغرافية. -متاح بتاريخ 30 أبريل 2009 على الرابط:

<http://www.history11.jeeran.com/>

أما ثورة الفلاحين , فكانت بسبب الشدائد والمظالم التي تعرض لها الفلاحون فجعلتهم يقومون باثنتي عشرة ثورة مما خلف اضطراباً محموداً في أذهان ونفوس الفلاحين , وازداد شدة بتحدي لوثر للبابا والكنيسة والامراء , وجعله من كل إنسان قساً واعلانه حرية الإنسان المسيحي , وشكلت طباعة الكتاب المقدس " العهد الجديد" بالألمانية تحدياً لرجال الدين عندما كشف عن شيوعية الرسل وعطف المسيح على الفقراء والمضطهدين , وعلى ذلك فقد كانت هزيمة رجال الدين شرطاً لانتصار الثورة البروتستانتية , كذلك وجد الفلاحون والكادحون في الكتاب المقدس ضماناً إلهياً مقدساً لإلغاء الملكية الخاصة وتوريث الفقراء الارض⁽²⁴²⁾.

وعلى الرغم من الدور الذي لعبه لوثر في إذكاء روح الثورة لدى الفلاحين إلا إن أن الأسباب الحقيقية لقيام الثورة تكمن في المظالم التي حاقت بطبقة الفلاحين أساساً, ويفضل إنجيل لوثر - أي الترجمة الألمانية التي قام بها (لوثر) للإنجيل - وأتباعه من المتطرفين , فقد تحول استياء المضطهدين إلى نزاعات طوباوية وإلى عنف وانتقام شديد .

وفي خضم هذا الصراع وجدت بعض النظريات التي تدعوا الى العدالة الاجتماعية, بل وحتى الشيوعية , طريقها الى الظهور , فتوماس منتسر منتسر أحد واعطي الشنتد Waldshut يرى : " أن كل شيء على المشاع ويجب أن يوزع حسب ما تقضي به الحاجة وطبقاً للأحتياجات العديدة للمجتمع , وكل كنت أو بارون , يرغب عن قبول هذه الحقيقة بعد تذكره بها في حزم يجب أن تقطع رأسه أو يشنق " ⁽²⁴³⁾ .

²⁴² . مقال بعنوان "أوروبا لا تدين بتطورها للمسلمين", شبكة الإعلام العربية، -متاح بتاريخ 26 أبريل 2008 على

الرابط: http://www.moheet.com/show_news.aspx

²⁴³ . Jesse Couenhoven, Grace as Pardon AND Power: Pictures of the Christian Life in Luther, Calvin, and Barth, -The Journal of Religious Religious Ethics, Vol. 28, No. 1, -Blackwell Publishing: (Spring, 2000).P53

وفي عام 1524م شكل هانز ميلر - أحد قادة ثورة الفلاحين في ألمانيا عام 1525م - رابطة " الأخوة الإنجيلية " (244) وعلى رأسها منتسر بناء على إحياء وتعهد بتحرير المزارعين في أرجاء ألمانيا , ورفعت شعارات ترفض الضرائب التي تفرضها الدولة , وضرائب العشور الكنسية , والضرائب الإقطاعية , متخذين من أسلوب الكفاح الإيجابي منهجاً نظرياً وعملياً لهم في آن واحد , فقد أقسموا على الحرية أو الموت وكانت الصيحة التي أطلقها منتسر بين رجاله هي " إلى الأمام والحديد لا يزال ساخناً واجعلوا سيوفكم دائماً ساخنة بالدماء " .

أشهر الفلاحون اثني عشر مبدأ (Zwolf Artikel) منحوا لأنفسهم بموجبها حرية انتخاب رعائهم وإبطال العشور والرق والغرامة على الإرث وحق الصيد براً وبحراً , وقطع الحطب وكان كل مطلب مقرون بآية من الكتاب المقدس (245) .

صيغت المبادئ الاثني عشر في مارس 1525م فأشعلت لهيب الثورة في ألمانيا ومن هذه المبادئ : القوة والسلطان والسلطة والسياسة للزعيم المختار من الجماعة وحققها في عزله - وفي ذلك إرساء لأساس هام من أسس الديمقراطية . أما ضريبة العشور (246) فيجب دفعها

²⁴⁴ . عبد العزيز بن عثمان التويجري، بحث بعنوان "أثر الثقافة العربية في النهضة الأوروبية". ندوة الثقافة العربية والثقافات الأخرى. -الرياض، مارس 1998.ص39

ندوة الثقافة في إطار المهرجان الوطني للتراث والثقافة في السعودية الفترة ما بين 4-19 مارس 1998م.

²⁴⁵ . حدد الفلاحون والعامّة في ألمانيا شكواهم في بيانات . بيانات الغابة السوداء الإثني عشر (Zwolf Artikel) الشهيرة أعتمدت كمطالب نهائية . شمولها للمظالم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في ظل الشعبية متزايدة للسلك البروتستانتي وحدت السكان في انتفاضة ضخمة اندلعت بداية في اواخر عام 1524م ببلدة ستولينغن في منطقة الغابة السوداء ومالبت أن أنتشر شاملاً كالنار في الهشيم. وسرعان ما وقع تأثيره على كل أرجاء ألمانيا ماعدا بارفابا واندفعت جموع الفلاحين الى داخل القلاع واجبرت النبلاء على الخضوع لرغباتهم . واتخذوا راية عرفت بأسم عصبة الحذاء من قماش أسود وأبيض واحمر عليها رسم لحذاء من أحذيتهم . أنظر :

" The Twelve of the Black Forest " , available in 16 April 2009 , at :
(<http://en.wikipedia.org/wiki/Twelve-Articles-of-the-Black-Forest>)

²⁴⁶ . العشور : هي ضرائب للكنيسة فرضت في مطلع العصر النصراني , وقامت على بعض الأوامر في التوراة , إذ كان يطلب من الناس دفع العشور أي عشر دخلهم للكنيسة , وغالباً ما كانوا يدفعون عشر محصولاتهم أو حيواناتهم , وقد بنيت

بطريقة صحيحة , وتوكل مهمة جمعها الى رئيس الكنيسة الذي تعينه الجماعة ويمنح منها الراعي مرتباً متواضعاً وكافياً لمعيشته وأسرته وأن يوزع الباقي على الفقراء والمحتاجين الذي يعيشون في القرية نفسها , أما ضريبة العشر الصغيرة مثل الماشية فلن تدفع على الاطلاق , وان ما يتفق وتعاليم الكتاب المقدس هو أن نكون أحراراً ولسوف نكون أحراراً هكذا⁽²⁴⁷⁾.

أما الخضوع للحكام فيجب أن يكون عن طواعية والحكام المختارون والمعينون بمشيئة الله في جميع الامور المسيحية , ولا ريب انهم سوف يعملون على تحريرنا من نير العبودية أو يرونا في الإنجيل أننا أرقاء , كذلك الشكوى من تزايد الخدمات من يوم الى آخر , وفحص الاراضي المستأجرة من قبل أناس من الشرفاء وتحديد الايجار العادل , لأن كل عامل يستحق أجره , كذلك ملكية المراعي يجب أن تكون كما كانت عليه يوماً ملكاً للجماعة . بالإضافة الى العمل على إلغاء الضرائب المفروضة على الفقراء إلغاءً تاماً ولن نتحملها ولن يسمح بنهب

مخازن العصور في القرى لحفظ تلك الحبوب . واستمرت التعريفات الجمركية والضرائب في الاسواق خلال العصور الوسطى في اوربا , بينما بدأ العديد من المدن يجبي الضرائب على الاراضي والمباني , وكذلك ضريبة رؤوس على كل مواطن . وصار بعض المدن الأوروبية يفرض ضريبة على الاثرياء الذين كان يستوجب عليهم تقدير دخولهم بأنفسهم وهم يقسمون امام مجلس المدينة . ومنذ العصور الوسطى , كانت الضرائب تفرض على السلع الكمالية , على اساس ان من يستطيع شراءها يمكنه ان يدفع ضريبة فوق ذلك للحكومة لتمييزه . ومن امثلة تلك السلع الكمالية الشبايك والمدافئ ومساحيق الشعر . فقد فرضت الضرائب على الشبايك في بريطانيا بين عامي 1692 و 1851م على المنازل التي بها سبعة شبايك او اكثر . اما ضريبة المدفأة فقد فرضت بين عامي 1662 و 1689م بينما أعفي الفقراء . وفرضت ضريبة مسحوق الشعر في بريطانيا بين عامي 1795 و 1869م .

وقد أسهم فرض الضرائب غير العادلة في قيام الثورات والاضطرابات المدنية . فضريبة السفن التي فرضت في الاصل على الموانئ البحرية , وسعها الملك تشارلز الاول عام 1635م لتشمل المدن الداخلية في بريطانيا فكان هذا التغيير عنصراً مساهماً في الحرب الاهلية (1642 - 1651م) . ومن جهتها اعترضت المستعمرات الامريكية على دفع الضرائب الى بريطانيا في ظل قانون ضريبة رسم الدمغة لعام 1765م . وتبنى المحتجون شعار لا ضرائب بدون تمثيل , وتمكنوا من إلغاء القانون في عام 1766م . أما في فرنسا , فإن الاعباء الضريبية الثقيلة على الفقراء قادت الى الثورة الفرنسية عام 1789م .

²⁴⁷ . CHARLES AUGUSTUS BRIGGS, History of the Study of Theology. NEW YORK: CHARLES SCRIBNER'S SONS, 1916.(2 volume).

أموال الارامل والأيتام على هذا النحو المخجل , وأخيراً التراجع عن أي خطأ في هذه البنود إذ أيدت لنا أيّاً من أدلة الكتاب المقدس بطلانه⁽²⁴⁸⁾.

في الواقع , طرأت تبدلات جذرية على مواقف لوثر , فمن داعية ثوري الى داعية إصلاحية ثم إلى معارض لأستخدام العنف سبيلاً لتحقيق مطالب الفلاحين , فقد تمثل موقف لوثر بكتيب نشر في إبريل عام 1525م , وعنوانه : " تنبيه الى السلام" وفيه يثني على عرض الفلاحين الخضوع لأي قصاص , ينص عليه الكتاب المقدس, وفيه دفاع ضد التهم الموجهة إليه بأنه أشعل نار الثورة فأنكر مسؤوليته عنها , فقال : " انه كان يحث الناس على الخضوع للسلطة الدينية ولكنه لم يسحب نقده للطبقة الحاكمة . وأن الإصلاحية في فكره تستمد مبادئها من الكتاب المقدس , ثم توجه بالنصح الى الأمراء والسادة الإقطاعيين لكي يعترفوا بعدالة كثير من بنود المبادئ الاثني عشر , وحثهم الى اتباع سياسة تتسم بالرأفة , في وقت توسل فيه الى الفلاحين كي يجمعوا من إستخدام العنف وعن الانتقام , لأن العنف سيجعل الفلاحين في وضع أسوأ مما كانوا عليه من قبل , وتنبأ بأن أي ثورة سوف تصم بالعار حركة الإصلاح الديني , وأنه سوف يُلام على كل شيء , لأن حرية الإنسان المسيحي هي حرية روحية لا تتعارض مع العبودية ولا الرق⁽²⁴⁹⁾ .

في حين اتخذ ميلانكتون موقفاً سلبياً من مطالب الفلاحين فقال : " إن الفلاحين - مذبذبون - وهو يدعو ضدهم جميع الشرائع الإلهية والبشرية ... وإذا كانت المعاملة اللينة لا تفيد , فيجب على الولاة أن يلقوا القبض عليهم كأنهم لصوص وقتلة ولكن فليتشفقوا على اليتامى عندما يصلون الى القتل " . أما المساواة بين الناس جميعاً كما نص عليها البند الثالث من مبادئ الثورة , فأمر مستحيل لأن مملكة دنيوية لا تستطيع أن تقف على قدميها ما لم تكن هناك درجات

²⁴⁸ . Henry H. Hart, Marco Polo: Veneetian Adventurer, -Universit of Oklahona Press, 1967P86

²⁴⁹ . Thirty Years' War- Casualties and disease". -available in 20 January 2009 at:http://www.experincefestival.com/a/Thirty_Years_War/id/385103

متفاوتة بين الاشخاص بحيث يكون البعض منهم أحراراً والبعض مسجونين والبعض سادة والآخرين رعايا⁽²⁵⁰⁾ .

أما حل المشكلات فيمكن أن يتحقق من خلال تبني الدعوة الى الحل الوسط لحسم جميع الامور بطريقة ودية بمشاركة بعض الأشراف والكونتات واللوردات , ولتحقيق هذا الغرض فقد توجه لوثر الى السادة الحكام بالدعوة للتخلي عن عنادهم وأن يقلعوا قليلاً عن طغيانهم واضطهادهم حتى يتنفس الفقراء ويجدوا متسعاً للعيش , وكان قد حذر الأمراء ليحرصوا من الآثار الناجمة عن سوء الحكم على عموم الناس, فقال مخاطباً الأمراء والأساقفة : " إنكم أنتم علة هذا العصيان فإن صراخكم ضد الانجيل وظلمكم الأثيم للفقراء هما اللذان أوقعا الشعب في اليأس , فليس الفلاحون يا سادتي الاعزاء هم الذين يقومون ضدكم , بل الله نفسه هو الذي يقاوم جنونكم , وأما الفلاحون بيده آلة لإذلالكم " ⁽²⁵¹⁾ .

في المقابل على الفلاحين أن يعملوا أنفسهم ويتخلوا عن بعض المطالب التي ارتفع عن مستوى فهمهم وإدراكهم , ورأى أنه لأجل تقوية الإصلاح لا بد من تهذيب الفتيان وتحسين المدارس وإذاعة المعرفة الضرورية لدرس الكتب المقدسة بتعمق في كل العالم المسيحي , ومثل هذه المواقف وما سيلبها تفسر مدى قرب لوثر من الامراء وابتعاده عن الفلاحين الذين طالما وقف إلى جانبهم , ومحاولة تكريسه لسلطة الحكام وعدم الإطاحة بهم , ثم دعوة الفلاحين للخضوع والامتثال لسلطة الأمراء , ناعثاً إياهم بالقصور والسلبية , وغياب الوعي الصحيح لديهم⁽²⁵²⁾ .

وبناءً عليه فقد رفض في البدء العصيان وتوجه الى مخاطبة الفلاحين بالمواعظ النصوحة لعلها تسكن عقولهم المضطربة فقال : " إن العصيان لا يحدث التحسين الذي نرغبه وهو مشجوب من الله " . ثم تجذّر موقف لوثر المعارض لممارسات الفلاحين العنيفة , ففي منتصف

²⁵⁰ . الموسوعة العربية الميسرة/ إشراف محمد شفيق غربال. - القاهرة: الدار القومية للنشر، 1959.

²⁵¹ . ميرل دوبينياه , تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر / ترجمة الشيخ ابراهيم الحوراني - الطبعة الثانية - بيروت : منشورات مكتبة المشعل بإشراف رابطة الكنائس الانجيلية في الشرق الاوسط , 1878 , ص66 .

²⁵² . الموسوعة الحرة ويكيبيديا: www.wikipedia.org

مايو 1525م . وضع كتيباً عنوانه : " معارضة لجموع الفلاحين التي تقوم بالسلب والقتل " ينتقد فيه ممارسات الفلاحين الذين وعدوا أن يسلكوا الطريق المستقيم وأن يتعلموا , لكنهم تصرفوا كالكلاب المسعورة فنهبوا وسلبوا ... فيجب وضع خطاياهم أمام أعينهم وعلى الحكام أن يتعلموا كيف يسوسون أنفسهم (253) .

وكان لوثر يجزم بإمكان تحقيق الإصلاح دون اللجوء الى الثورة المسلحة , لأن الثورة تأتي معها بأرض مليئة بالقتل وسفك الدماء , وترمل النساء وتيتم الاطفال , وتقلب كل شيء رأساً على عقب , فيخاطب الفلاحين : " ضعوا نصب أعينكم انه لا شيء أكثر فتكاً أو ضرراً أو خبثاً من الثورة " (254), ولعل أصول موقف لوثر مستمدة من احداث ورد ذكرها في الكتاب المقدس لتبرير إدانته للعنف وضرورة التسامح , مثلما تصرف " المسيح " يوم شهر أحد تلاميذته السيف وقطع أذن احد المكلفين بالقبض عليه فوبخه راجياً له المغفرة وأعاد أذنه الى رأسه , إيماناً منه بأن ما يؤخذ بالسيف بالسيف يؤخذ .

إن كثيرين من الذين قاموا بتحليل هذه الحوادث دهشوا من موقف لوثر إزاء الفلاحين عندما قال للأمرء الذين كانوا يحاربون الفلاحين الجملة التي سجلها له التاريخ " قاتلوا هؤلاء الفلاحين ككلاب مسعورة " (255). إن هذا الرجل لم يدافع قط عن الإهانات الشخصية التي وجهت إليه والذي حاول في كل الظروف التي مر بها أن يستعمل المحبة والصبر واللفظ وكيف يمكن أن يأمر الأمرء بأن يقاتلوا الفلاحين ككلاب مسعورة !! وستظل الجملة بلا جدال نقطة سوداء في

²⁵³ . سامي الشيخ محمد , مقال بعنوان " حركة الاصلاح البروتستانتية (لوثر , زونجلي , كالفن) " دنيا الرأي , متاح بتاريخ 8 يناير 2006 , ص 65 على الرابط : (<http://pulpit.alwatanvoice.com/content-35520.html>) .

²⁵⁴ . The Catholic Encyclopedia: J. Loughlin, "Pope Paul IV." , -New York: Robert Appleton

Company. Retrieved March 20, 2009 from New Advent:

<http://www.newadvent.org/cathen/11581a.htm>(

²⁵⁵ . موقع مجمع ترنت على شبكة الإنترنت: (<http://www.thecounciloftrent.com/index.htm>)

تاريخ هذا الرجل العظيم . كما يقول الأستاذ جرّير (Greiner) أن قولاً كهذا يعدّ عشرة ليس فقط لإنسان القرن العشرين بل حتى لإنسان القرن السادس عشر (256) .

استهجن الفلاحون موقف لوثر وأحزنهم هذا التحول وعدّوه خائناً واستمروا في الثورة فصعدوا من وتيرة نشاطهم في وجه السلطات الدينية والزمنية ، واقترحوا العمل على تصفية أملاك الكنيسة للوفاء بالحاجات الدنيوية ، والغاء كل الرسوم للنقل والرسوم الجمركية ، وألاً يستخدم في كل أنحاء أوروبا إلا نوع واحد من السكة ، ونظام واحد من الاوزان والمكاييل (257)

وفي ربيع عام 1525م اشتعلت الثورة وتم الاستيلاء على السلطات الادارية وطرد القساوسة من بعض الكاتدرائيات وتحطيم التماثيل الدينية ، فتخلّت المدن الخاضعة للسيادة الإقطاعية عن ولائها لهم ، ونادت المدن الخاضعة للأساقفة بإنهاء امتيازات رجال الدين ، الامر الذي حدا بعدد ليس بقليل من السادة والأساقفة ورجال الدين من الرتب الدنيا الذين كانوا يمقتون السلطة الكهنوتية الى الانضمام للثورة في وقت رحبت فيه معظم المدن قلبياً بثورات أهالي الريف (258)

في الحقيقة ، لم يُقدّر لثورة الفلاحين النجاح أمام زحف جيوش الخصوم التي تفوقهم عدداً وتنظيماً وتسامحاً ، كذلك كان معظم الرجال في قوات الدوقات من الجنود المدربين بينما لم يكن الفلاحون منظمين ، ولم يكن بحوزتهم إلا الأسلحة البسيطة ، بالإضافة الى تفشي الاضطراب

256 . القس حنا جرجس الخضري ، المصلح مارت لوثر حياته وتعاليمه : بحث تاريخي عقائدي لا هوتي - دار الثقافة :

القاهرة ، متاح بتاريخ 11 مارس 2009 ، على الموقع العربي الاول والوحيد عن المصلح مارتن لوثر :

. (<http://www.lutherinarabic.org>)

257 . جورج هارب، الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي/ تعريب عبد العزي طريح. -الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية،

1993.ص78

258 . رولان موسنييه، تاريخ الحضارات العام/ تعريب يوسف أسعد داغر وفريد م.داغر. -الطبعة الأولى. -بيروت: منشورات

عويدات، 1969. (الجزء الرابع: القرنان السادس عشر والسابع عشر: التحول الفكري العظيم الذي طرأ على البشرية طلوع الحركة العلمية الحديثة سيطرة أوروبا).

في صفوفهم ، وأعدم (بيفر) - أحد قادة الثورة - وباقي القواد ، وأعفي عن الجنود مقابل دفع فدية ، وأصبح هواء المدن تشيع فيه رائحة الموت نظراً لشدة آلف القتلى ، بينما أستمرت الثورة في النمسا عام 1526م لمدة عام بزعامة (ميكائيل جاسماير) الذي قدم أعظم البرامج الثورية ضد الكفرة من غير البروتستانت⁽²⁵⁹⁾ .

لقد هلكت ثورة الفلاحين حيث هلك نحو 130,000 منهم وتم تنفيذ حكم الاعدام في 10,000 رجل تحت حكم السوابية ، وعلى الرغم من إخفاق الثورة ، إلا أنها تألقت بألوان وأفكار بلاتستانتية⁽²⁶⁰⁾، وأصبحت التطلعات الاقتصادية تغلف بعبارات أضفى عليها لوثر مسحة من القداسة ، أما الشيوعية فلم تكن إلا مجرد عودة الى الانجيل . وبالرغم من إدانة لوثر لاستخدام أساليب العنف من جانب الفلاحين ، فإن شارل الخامس يفسر " الثورة " بأنها " حركة لوثرية " أما المحافظون فقد نظروا إلى نزع البروتستانت ملكية رجال الدين بمثابة أعمال ثورية ، مثل نهب الفلاحين للأديرة، وفي هذه الاثناء أُطلقت عبارات السخرية والتهكم والتصغير على لوثر .

فقد نعته البعض بـ " الدكتور الكذاب " و " المنافق صنيعة الامراء " وظل سنوات بعد الثورة لا يحظى بأي شعبية فكتب يقول : " ها هم السادة والقساوسة والفلاحون يتجمعون كلهم ضدي ويتوعدونني بالموت " . وقد أقسم من بقي من حزبي (منستر) بإعدام حياته ، أما الامراء الذين قدّر لهم أن يحموه فقد تركوه . فشارل الخامس نفسه غقد بحقه مجعماً جديداً قاصداً من ورائه أن يضرب الإصلاح ضربة مميتة . تلك الحروب الداخلية جعلته يتهدد ويئن ، فكيف يقاوم كل هؤلاء الأعداء الكثيرين⁽²⁶¹⁾ ؟

إن المواقف الوسطية لمارتن لوثر هي التي جعلت كلاً من الامراء والفلاحين يسخطون عليه ، غير ان المواقف المتطرفة التي تعرض لها من الفلاحين جعلته يتخذ أشد المواقف تطرفاً في

²⁵⁹ . كريت، برنتون، منشأ الفكر الحديث/ ترجمة د. عبد الرحمن مراد. -دمشق: مطبعة مفيد الجديدة، د. ت.

²⁶⁰ Charles de Tolnay, Michel-Ange, Flammarion, 1970 P55.

²⁶¹ . الموسوعة الثقافية، مدير التحرير فايزة حكيم رزق الله- القاهرة: دار الشعب، (بدون تاريخ).

مواجهتهم , فقد أجاز قتل الفلاحين الثائرين وانقلب إلى خصم لهم في 30 مايو عام 1525م , كما أجاز استخدام الامراء للعنف , في مواجهتهم بوصفهم ينفذون مشيئة الله حسب الكتاب المقدس , إن هذا التبرير في تأييده للحكام هو شبيه بالتبرير لثورة الفلاحين في مراحل معينة عندما اعتبرهم ينفذون مشيئة الله في حربهم ضد الأمراء (262) .

وفي خطاب مفتوح ضد الفلاحين يقول : " إن الفلاحين لم يصيخوا السمع , ففي آذانهم وقر ويجب أن تفتح بطاقات الرصاص حتى تقفز رؤوسهم من فوق أكتافهم , إن من لا يستمع الى كلمة الله عندما ترتل برفق , يجب أن يستمع الى الجراد عندما يأتي ومعه الفأس ... وأنتم يا من ترفعون عقيدتكم مطالبين بالرحمة ... لماذا لم تبدوا الرحمة للأمراء والسادة الذين أرادوا أن يقضوا عليهم قضاءً مبرماً ؟ " (263) .

زوينجلي هولدريتش (1484 - 1531م) زعيم حركة الإصلاح الدين البروتستانتية (264) في القرن السادس عشر الميلادي . تركَّز عمله وحياته في سويسرا , إلا ان نفوذه أثر على حركة الإصلاح البروتستانتية في ألمانيا وهولندا وإنجلترا . ولد زوينجلي في وادي ويلدهوس بالقرب من سانت جول بسويسرا , وفي عام 1506م تم ترسيمه قسيساً كاثوليكياً , وبحلول عام 1514م صار زوينجلي تابعاً لعالم الحركة الاحيائية والفلسفة الانسانية الهولندي الجنسية ديزيدريوس أرازمس . درس زوينجلي طبعة العهد الجديد التي اصدرها إرازمس وتبنى برنامج الدعاة

²⁶² . سامي الشيخ محمد , مقال بعنوان " حركة الإصلاح البروتستانتية (لوثر , زونجلي , كالفن) " , دنيا الرأي , متاح بتاريخ 8 يناير 2006 , على الرابط : (http://pulpit.alwatanvoice.com/content-35520.htm) .

²⁶³ . وعن مفهوم الرحمة والعفو عند لوثر وكلفن يراجع :

Jesse Couenhoven , " Grace as Pardon and Power : Pictures of the Christian Life in Luther , Calvin , and Barth " . - Blackwell Publishing : The Journal of Religious Ethics , Vol . 28 , No.1 Blackwell Pulishing : (Spring , 2000) , pp . 63 - 88 .

²⁶⁴ . فرقة من النصرانية احتجاجوا على الكنيسة الغربية بأسم الانجيل والعقل , وتسمى كنيستهم بالبروتستانتية حيث يعترضون (Protest) على كل امر يخالف الكتاب وخلص أنفسهم وتسمى بالانجيلية أيضاً حيث يتبعون الأنجيل دون سواه , ويعتقدون أن لكل قادر الحق في فهمه , فالكل متساوون ومسئولون أمامه .

الإنسانيين لأصلاح الكنيسة . حاول هذا البرنامج أن يتتبع ما استشعره الإنسانيون في العهد الجديد من بساطة العقيدة وما كان عليه النصارى الاوائل من إيمان⁽²⁶⁵⁾ .

اختير زوينجلي عام 1518م ليكون قسيساً لكاتدرائية زيوريخ , فأضحى واعظاً إصلاحياً ذا سطوة وقوة ينهج نهج وآراء أرازموس , وسرعان ما تمكن من قراءة أعمال المصلح مارتن لوثر . وبحلول عام 1520م وضع زوينجلي نظرية لاهوتية بروتستانتية مخالفة لتلك التي وضعها لوثر , وفي أعقاب محاولة أسقف زيوريخ الكاثوليكي إسكات زوينجلي اهتم القضاة المدنيون بكافة الشؤون الدينية للمدينة . وفي عام 1523م دعا القضاة لعقد اجتماع علني ليفصل بين المذهب الكاثوليكي والمذهب البروتستانتى الجديد الذي تزعمه زوينجلي ففاز فيه الجانب المؤيد لزوينجلي⁽²⁶⁶⁾ .

وفي عام 1529م تقابل زوينجلي ولوثر في ماربورغ ليناقشا اختلافهما حول تفسير وجود المسيح في العشاء الرباني !! وقد عدّ لوثر هذا القربان المقدس وسيلة يظهر من خلاله كرم الرب على الناس⁽²⁶⁷⁾ . وهو يعتقد حضور المسيح حقيقة في الخبز والنبيذ. بينما يعد زوينجلي هذا القربان صلاة شكر لله على نعم سبقت , لاسيما من خلال الإنجيل . وهو يعد الخبز والنبيذ مجرد رمز لجسد المسيح ودمه . وقد قاد هذا الخلاف بينهما الى أول انشقاق كبير في صفوف البروتستانت . وأثناء العامين التاليين ألغى القضاة النصب الدينية⁽²⁶⁸⁾ , مثل التماثيل وتبنوا الطقوس الدينية البروتستانتية وأغلقوا الاديرة واستبدلوا العشاء الرباني بآخر . وبحلول عام

²⁶⁵ . الموسوعة العربية العالمي، رئيس التحرير أحمد مهدي الشويخات. -الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 2004 (الإصدار الرقمي).

²⁶⁶ . Robert Green Ingersoll, "Spain And Spaniard" .-available in 20 March 2009 at: http://www.infidels.org/library/historical/robert_ingersollSpain_and_spaniard.html

²⁶⁷ جيمس وستفال تومسون، وآخرون، حضارة عصر النهضة، ترجمة عبد الرحمن زكي. -القاهرة: دار النهضة العربية: 1961. ص54

²⁶⁸ . شارل أدري جوليان، تاريخ أفريقيا/ ترجمة طلعت عوضى أباطة، مراجعة عبد المنعم ماجد، القاهرة: دار النهضة مصر، 1968. ص87

1528م افتتحت كبرى المدن الالمانية السويسرية بزعامة زيورخ على الرغم من ان المناطق الريفية بقيت كاثوليكية . قُتل زوينجلي بينما كان يؤدي خدماته قسيساً في صفوف القوات البروتستانتية وذلك إبان الحرب مع الكاثوليك

خلال السنوات الثمانية والعشرين الواقعة بين وصوله الأول الى جنيف في عام 1536م , وموته في عام 1564م عالج كالفن مسائل لا تحصى بوصفه بطل الإصلاح وداعيته في الخلاف مع الخصوم الكاثوليك الرومان وكمتأمل في النزاعات الداخلية , ومناصرتها في ألمانيا وسويسرا , وكلمه ومشرف عام على النشاط التبشيري في موطنه الاصلي وأراضٍ غربية أخرى , وكدبلوماسي فعال للسياسات الدولية لفترة طويلة قبيل وفاته عام 1564م . فلم تعد جنيف مجرد مدينة للجوء الكثير من المضطهدين من الاصقاع المختلفة , لكنها أضحت مركزاً لرئاسة الحركة البروتستانتية المشتبكة في حرب بهذه الاراضي مع الكنائس في روما (269) .

وهكذا بات في مقدورنا منذ عام 1529م تسمية حركة الإصلاح الديني الاوروبي بأسم الحركة البروتستانتية التي لم تتوقف عن التطور والتحول , فقد أصدر ملك انجلترا هنري الثامن قانون السلطة العليا ووضع بذلك الاسس التي قامت عليها كنيسة قومية وطنية في إنكلترا , هي الكنيسة الإنجليكانية , الملك فيها هو الرئيس الاعلى للكنيسة مع كل ما يستتبع ذلك من سلطة روحية , أما الفرنسيون البروتستانت فقد وضعوا وثيقتين بروتستانتيتين هما " الأهاجي " التي ظهرت عام 1534م و " المؤسسة المسيحية " التي هي من وضع (كالفن) نفسه عام 1536⁽²⁷⁰⁾ , فقد كان الفرنسيون البروتستانت قد لجأوا الى مدينة (نيوشاتل) في سويسرا التي تلتزم بتعاليم (زونجلي) ونظرياته , بينما كان (كالفن) قد أثار من جديد مطالب الإصلاح

²⁶⁹ . رولان موسنييه , تاريخ حضارات العام / تعريب يوسف اسعد داغر وفريد م . داغر - الطبعة الاولى - بيروت : منشورات عويدات , 1969 .ص 28 الجزء الرابع : القرنان السادس عشر والسابع عشر : التحول الفكري العظيم الذي طرأ على البشرية طلوع الحركة العلمية الحديثة سيطرة اوروبا , ص 96 .

²⁷⁰ . Charles Sala, Michel-Ange: Sculpteur, peintre, architecte. -Pierre Terrail, 2001 .

البروتستانتى ، مضيفاً إليها نظريات جديدة بعد تمكنه من تجنب " المثالب التي وقع فيها كل من لوثر وزونكلي " (271).

أما فلسفة كالفن ونظامه الدينى ، فقد تجلت في همه بـ " الحفاظ على سلطان الله وسيادته " وهو بوصفه من أتباع الفلسفة الأسمية ، يجزم أن الله تتعذر معرفته . هذه اللاعرفانية ترى أنه يستحيل على العقل البشرى تفهمه وإدراكه حتى ولو بالمجاز ، فالصور التي نقيمها له وننحتها عنه في ضمائرنا هي حماقة لا أكثر ولا أقل فالكتاب المقدس وحده يوحى لنا على قدر مانستطيع أن نفهم ونستوعب وفيه ما يكفي لأثارة الخوف والمحبة فينا ، وبواسطة الكتاب المقدس وحده نتعرف إلى الله عن طريق يسوع المسيح وبيسوع المسيح مرآة الله ، ولكن أنى لنا أن نعرف الله نفسه معرفة حقيقية ، ولنفهم الكتاب المقدس حق الفهم يجب الاستعانة بالروح القدس لأنه يجعل الكتاب المقدس سهل التناول " .

وعليه يصبح الكتاب المقدس المرجع الأعلى في الحياة كما هو عند لوثر . مع فارق جوهرى بينهما في إعلاء لوثر الأهمية للإنجيل على التوراة ، بينما يرفض كالفن وضع التوراة منزلة أقل شأناً من الإنجيل وإنما يساوي بينهما مساواة تجعل منهما كتاباً واحداً ، ودرس كالفن القانون بغبطة شديدة ورأى أن القانون وليس الفلسفة أو الأدب هو ابرز نتاج فكري حققته البشرية ، وأنه يصوغ نوازع الإنسان الفوضوية ويحولها إلى نظام وسلام (272) .

نشر كالفن في ميدان اللاهوت " مبادئ الدين المسيحى " باللغة اللاتينية سنة 1536م وأعاد نشره معدلاً سنة 1539م ، ثم رجع إلى الفرنسية عام 1541م ، ويعد من أعظم ما أنتجته القرائح تأثيراً في النثر الفرنسى ، ومن خلاله حاول أستمالة الملك فرانسيس - ملك فرنسا آنذاك

²⁷¹ . Gerhard Ebeling, Luther: An Introduction His Thought/ Translated by R. A. Wilson, - Philadelphia: Fortress Press, 1970.P98

²⁷² . هـ.جـ. ويلز، موجز تاريخ العالم/ تعريب عبد العزيز توفيق جاويد. -القاهرة: مطبعة السعادة، (بدون تاريخ).

- حيث استهلكت الطبعة الاولى من الكتاب بـ " مقدمة إلى أعظم ملك مسيحي لفرنسا " (273) وهي مقدمة تفيض بالمشاعر وبأسلوب رصين (274) .

وكان الأمر الملكي الصادر عام 1535م ضد الفرنسيين ودعوته لميلانكتون وبوسر - وهما من كبار رجال الإصلاح الديني في ألمانيا - للحضور إلى فرنسا لترتيب تحالف بين الأمراء اللوثرينيين ضد شارل الخامس مع الملكية الفرنسية , أن هياً لكفن ظروف حوار جادة مع الملك فرانسيس , يقول كالفن : " لقد عرضت اعترافي عليك لكي تعلم طبيعة تلك العقيدة التي يستهدفها هذا الغضب ... وإني لأعلم جيداً الدسائس الأثيمة التي ملأوا بها أذنيك لكي تبدو قضيتنا بغیضة جداً في نظرك ... (275) وأنت يا مولاي تستطيع أن تتبين الوشايا الزائفة وهي تفتضح كل يوم ... نحن الذين لم نسمعنا أحد نفوذه بكلمة واحدة تثير الفتنة , نحن الذين عرفنا طوال حياتنا أن نعيش حياة هادئة مستقيمة عندما كنا نعيش تحت حكمك ولم نكف عن الصلاة لك بالنجاح , ولمملكك بالرخاء , وإني لأدعو الرب ملك الملوك أن يوطد عرشك بالعدل والتقوى , وأن يعم في مملكك القسط والإنصاف " .

لقد كان كالفن رجلاً هائماً في حب الله , وكان يغلبه شعور بضالة الإنسان وعظمة الله أما الكتاب المقدس , فهو كلمة الله , وقد أظهر الله نفسه فيه , رافة بعقل الإنسان (276) وعليه فالمرجع النظري الكالفاني هو التوراة , بوصفها السلطة السامية المعصومة عن الخطأ في جميع الامور , أما موقفه من العقل فيتضح من خلال وصفه له بـ " الزندقة , والانحراف والفجور ويصدر عنه ما هو فاسد وخبيث ... إن العقل يظل دائماً متورطاً في النفاق والخداع , والقلب

1. John Calvin , Instiutes Of The Christian Religion / Translated by Henry Bevridge ,

WM.B.Eerdmans – Michigan : Publishing Company , Grand Rapids , 1995 , p . 3 .

274 . محمود كامل الناقه، دور الفكر العربي في النهضة العلمية الحديثة/ ترجمة شكري عباس حلمي. -القاهرة: المنظمة

العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1996. (الكتب الثقافية للراشدين، 9)

CHARLES AUGUSTUS BRIGGS, History of the Study of Theology. NEW YORK: CHARLES

SCRIBNER'S SONS, 1916.(2 volume

276. Clifford J.Rogers, Readings on the Military Transformation of Early Modern Europe. –San

Francisco: Westview Press, 1995

يظل عبداً لنحراف الباطني " ويسلم كالفن بأن حتمية القدر تتنافى مع العقل , وعليه فإن أي محاولة لتقصي الأمور التي قرر الرب أن يخفيها عنا من جانب البعض لن نفلت من العقاب .

أما الكنيسة والدولة فهما مقدستان من وجهة نظر كالفن لأن الله خلقهما لكي يعملتا في انسجام كالروح والجسد لمجتمع مسيحي واحد , ووظيفة الكنيسة تتحدد في وضع القواعد التي تنظم كل التفاصيل الخاصة بالعقيدة والعبادة والأخلاق وعلى الدولة أن تدعم هذه القواعد باعتبارها ذراع الكنيسة الطبيعي , وأن الكلمة الطاهرة هي الوحيدة التي يجب أن يتعملها ويتلقاها الناس , بينما الحكومة المثالية هي حكومة رجال الدين ويجب أن تعترف بالكنيسة التي تؤمن بالإصلاح الديني باعتبارها صوت الله⁽²⁷⁷⁾.

إن مهمة الكنيسة يجب أن تنحصر في تدريب المؤمنين على القداسة والصلاح لفئة أرستقراطية تتمتع بالحكمة لتفهم إرادة الله المسيطرة⁽²⁷⁸⁾ , أما الاساقفة فليسوا إلا رهبان حكموا بقوة سحرية يمتلكونها بأيديهم , بل يتفوقهم بالقداسة والمعرفة كطبقة مثقفة , وعدم الصلاح على نحو ما يراه المصلح الديني يكمن في خطأ تأويل التوراة والإنجيل , وخلافاً للرؤية السابقة للكنيسة يؤكد كالفن فهمه الخاص بها بالقول : "إننا على طرفي نقيض , نقرّ أن الكنيسة ربما تتشكل من صورة غير منظورة , وإن تلك الصورة لم تتدرج في المظهر الخارجي الفخم الخاص بها ... لكنها ذات دلالة أبعد , أعني التعليم الخاص لكلمة الله والخدمة الصحيحة للاسرار المقدسة"⁽²⁷⁹⁾.

أما الدولة فيخضعها مالفن لسيادة الكنيسة , على ان تشكل كنائس وطنية مستقلة , فقطع الصلة بالكنيسة الواحدة الجامعة , مما أدى إلى تقوية سلطة الدولة القومية على أساس طاعة

²⁷⁷. Linda Murray, Michel-Ange, -London: Thames & Hudson, 2003.P98

²⁷⁸. موسوعة الواحة: (<http://www.coptreal.com>)

²⁷⁹. The Catholic Encyclopedia: J. Loughlin, "Pope Paul IV." , -New York: Robert Appleton .

Company. Retrieved March 20, 2009 from New Advent:

(<http://www.newadvent.org/cathen/11581a.htm>)

أساقفة الكنيسة ، والكنيسة هبة من الله ، فقد أعطى الله في تحننه للبشر ، الكنيسة ، والكنيسة الحقيقية لا تقع تحت البصر فهي شركة كل الذين يعمل المسيح في وسطهم والذي يجري فيهم روح القدس نعمته ، إنها شركة المعدين منذ الأزل .

أما الكنيسة المنظورة فتتمثل في اجتماع المسيحيين في مكان معين ، الذين يؤلفون رغبة واحدة تحت إدارة القس أو الواعظ ، ومن المهام المناطة بوجود الكنيسة، الحيلولة ، دون عمل الهرطقة والخارجين عليها وتأثيرهم على المؤمنين ، وتمنع أنتشار الاخلاق الرديئة ووظائفها الرديئة ووظائفها الرئيسية اربع وظائف ، (أعمال المحبة ، الوعظ وخدمة الأسرار ⁽²⁸⁰⁾ ، التعليم ، والمحافظة على النظام) ، وخلافاً لتعاليم (زونكلي) حافظ (كالفن) على الأسرار ليس كمجرد ذكرى بل كشهادة حق على نعمة الله ، والسر لا يعمل من ذاته حسب التعاليم الكاثوليكية ⁽²⁸¹⁾ ، وإنما يعمل بتدخل مباشر من الله ، فالله له كل سلطان وسيادة " والحق أن كنيسة السيد المسيح قد عاشت وسوف تعيش طويلاً مثلما سيتولى السيد المسيح أمر العالم باليد اليمنى للأب . "

إن التجربة الاساسية لـ كالفن والمجددين من البروتستانت تركز على الحس الدقيق بإرادة الله المسيطر وسلطته ، فالله هو الحاكم العظيم وكلّي القدرة والخلص بين يديه ، وأن الغاية من حق الانسان هي تمجيد الله والتمتع بحضرتة الى الابد ... في المقابل يشجع (كالفن) تعميق الشعور القومي فالفرح الاسمي هو التضحية بالحياة والضمير في سبيل مجد البلاد ، ومفهوم

²⁸⁰ . لويس عوض، ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية. -الطبعة الأولى. -القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر،

²⁸¹ . يسري عبد الرزاق الجوهري، الكشوف الجغرافية: دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور التفكير الجغرافي. -

الحياة المسيحية عند كالفن يتلخص في أن الله أعد الناس للخلاص والقداسة وخضوع شديد لأوامره ، وما الحياة الصالحة إلا حافز من أجل تقدم الحياة الأخلاقية⁽²⁸²⁾.

أما المتبع لنظام كالفن فسيجده يبتدئ بالحكم الديني وينتهي الى مفهوم الحرية المدنية ، بل والديمقراطية في جانب منها ، والحرية المسيحية هي أن يتحرر الإنسان من أوامر الإنسان ، وفي وجوب الخضوع التام حرفياً لقانون الله ، لقد تأثر كالفن بعقيدة التبرير والاختيار بالايمان اللوثرية ، وتأثر بزونجلي وبنظريته عن القربان المقدس⁽²⁸³⁾ ، وأخذ عن (بوسر) الثنائيات المتضادة التي ينسبها لمشيئة الله باعتبارها سبباً لكل ما يحدث ، وأنكر الإصلاح الديني الكالفاني من جديد " النهضة " بأبعادها الفنية والأدبية ، كما نجح في تحول آراء الناس من جديد إلى العالم الآخر ورفض انشغال علماء الإنسانيات بأفضلية الدنيا ، فيقول : " إذا كانت السماء وطننا فماذا بمقدور الأرض أن تكون سوى منفى ؟ ألا تكون الدنيا لحداً ، إذ كان الرحيل عن هذا العالم معبراً إلى الحياة "⁽²⁸⁴⁾ .

وليس بخاف أن البروتستانتية تدين بالكثير من افكارها الى العهد القديم بصفة عامة ، ولعل كالفن في فكرته عن اختيار الله لبعض الناس أن يكون مديناً بها الى الصيغة اليهودية في العقيدة - التي تقول بشعب الله المختار - فركز على الصفة لأنه سواء كانت الصفة معدمة أم لا ، أرسنقراطية أو وراثية ، فأبناء الصفة يصبحون بمشيئة الله من الصفة بطريقة آلية⁽²⁸⁵⁾.

²⁸² . عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية. -الطبعة الثانية. -القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1998. (الأعمال الفكرية، مشروع مكتبة الأسرة).

²⁸³ . كتاب حقائق عن ألمانيا: عشرة أجزاء. -متاح بتاريخ 2009/4/16 على الرابط: <http://www.tatsachen-ueber-deutschland.de/ar/home1.html>

²⁸⁴ . جلال يحيى، جاد طه، معالم التاريخ الأوربي الحديث: دراسة لتطور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في القارة الأوروبية وعلاقتها مع العالم. -الإسكندرية: منشأة المعارف، 1974.

²⁸⁵ . عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا. -القاهرة: دار النهضة العربية، 1974.ص98

الجدير بالذكر ، أن أهم إنجازات كالفن تتحصر في إعادة تنظيم الكنيسة فقد عين المجلس الصغير القائم على شؤونها لجنة من خمسة من رجال الدين ، وستة من أعضاء المجلس يرأسهم كالفن لصياغة قانون كنسي جديد ، ثم قسم الخدمة الدينية بين كهان أبرشيات ومعلمين وشيوخ كنيسة من المدنيين والشماسة⁽²⁸⁶⁾.

كما عمل على تعميق دور الحياة الروحية وسيادة السلطة الدينية على السلطة المدنية ، ثم عمل على تنظيم عملية الوعظ بموافقة من الجماعة المبجلة - المجلس الصغير - وموافقة مجلس المدينة وجماعة المصلين والتأكيد على حظر الرسامات الاسقفية وتنصيب القساوسة ، في الوقت الذي أصبح فيه القساوسة الجدد تحت رئاسة كالفن أقوى منهم في أي نظام للقساوسة عرف منذ القدم ، وأصبح قانون الدولة المسيحية الحقيقي عند المصلح الديني هو الكتاب المقدس - بعهديه القديم والجديد - والمفسرون الحقيقيون لذلك القانون هم القساوسة ، وعلى الحكومات المدنية الخضوع لهذا القانون ودعمه على نحو تفسير رجال الدين له ، وعليه فالسيطرة والسلطة لرجال الدين على السلطات المدنية⁽²⁸⁷⁾.

ويظهر من تعاليم كالفن وممارستها التشدد الكبير في التنفيذ إذ ادّعى لنفسه الحق في تنظيم العبادة الدينية وفرض السلوك الاخلاقي على كل ساكن ، وإرسال قسيس أو شيخ للكنيسة لكي يزورا سنوياً كل بيت وكل أسرة ، وحققهم في استدعاء أي شخص للمثول أمامهم ، وزجر الآثمين أو حرمانهم من غفران الكنيسة ، وكان حكمه المطلق حتى وفاته في عام 1564م يعتمد على الإرادة والخلق والإيمان وبهذه السياسة انتصرت الكنيسة على الدولة ، لكن الإنسان الفرد

²⁸⁶ . شوقي أبو خليل، هاني المبارك، دور الحضارة العربية الإسلامي في النهضة الأوروبية. -الطبعة الأولى. -دمشق: دار

الفكر، 1996.ص38

²⁸⁷ . مجموعة باحثين، أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، دراسة بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو). -القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970. ص466).

كان ضحية لتلك السياسات بحيث ألقى فرديته وقاوم كل محاولة تصدر عن أي فرد من أفراد المجتمع للتعبير عن أفكاره ومعتقداته على نحو يخالف الكنيسة والتفسيرات المعمول بها (288) .

لقد كانت معظم أفكار كالفن جدلية ، ولم يسبق لأي مصلح نصراني آخر أن فعل ما فعله لدفع الناس الى التفكير في المسائل الإخلاقية الاجتماعية النصرانية . ومن هذا التوجه الاخلاقي ومن أفكار لوثر ، طور كالفن نمط الحكم الكنسي الذي يعرف اليوم بأسم الكنيسة المشيخية . وقد نظم الحكومة الكنسية بصورة منفصلة عن الحكومة المدنية ، حتى يكون هناك جهاز منظم من قادة الكنيسة قادر على العمل في سبيل الإصلاح الاجتماعي . وكان أول قائد بروتستانتني في أوروبا يجعل الكنية تحظى باستقلال جزئي عن الدولة (289) .

الجدير بالذكر ، أن الحركة الكالفنية لحنا كالفن قد انتشرت أكثر لما تميزت به من صراحة وحقت مكاسب كبيرة للمذهب البروتستانتني خلال القرنين (16) ، (17) لأن الكالفنيين كانوا أكثر جرأة واندفاعاً وحماساً وصلابة من اللوثريين ، ومن هنا استطاعت الكالفنية الصمود أمام الكاثوليكية .

يقول مؤلف كتاب الإصلاح الديني البروفيسور باتريك كولنسون - أحد كبار أساتذة جامعة كامبردج في بريطانيا - الإصلاح الديني في إنجلترا حصل في عصر النهضة عندما تحولت إنجلترا من المذهب الكاثوليكي الى المذهب البروتستانتني وقطعت صلتها بابا روما والفاتيكان

²⁸⁸ . لمزيد من التفاصيل ، يراجع :

حنا جرجس الخضري ، جون كالفن : حياته وتعاليمه (1509 - 1564م) - القاهرة : دار الثقافة ، 1989 . ص 265

²⁸⁹ . سامي الشيخ محمد ، مقال بعنوان " حركة الاصلاح البروتستانتني (لوثر ، زونجلي ، كالفن) " ، دنيا الرأي ، متاح

بتاريخ 8 يناير 2006 ، على الرابط : (http://pulpit.alwatanvoice.com/content-35520.htm) .

(290) وهو حدث خطير في تاريخ الانجليز بل ويشكل بداية الحداثة الدينية والفلسفية والسياسية لتلك البلاد . ويرى البروفيسور كولنسون منذ البداية أن الإصلاح الديني الذي حصل في القرن السادس عشر يشكل لحظة هامة ليس فقط بالنسبة للانجليز وانما للحضارة الاوروبية بمجملها , فهو الذي شكل هوية أوروبا الحديثة عندما قضى على عهد المملكة المسيحية المقدسة الذي ساد العصور الوسطى وفتح الباب أمام تشكل القوميات الحديثة من ألمانية , وانجليزية, (291) وفرنسية . الخ . فقبل ذلك كان الجميع ينتسبون الى العالم المسيحي ولا يتميزون عن بعضهم البعض الا قليلا . أما بعد الإصلاح الديني فقد انقسمت اوروبا الى قسمين : قسم مع الاصلاح الديني وقسم ضده (292). قسم مع بابا روما المعادي للاصلاح الديني , وقسم ضده يدعى بالمذهب البروتستانتي .

]:

- (1563 - 1545) -

- [() -] -

²⁹⁰ . آن جرانت، هارولد تمبرلي، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789-1950)/ ترجمة بهاء فهمي، أحمد عزت

عبد الكريم، القاهرة، 1985.ص38

²⁹¹ . بيير رنوفان، تاريخ العلاقات الدولية: أزمنة القرن العشرين (1914-1945)/ تعريب جلال يحيى. -القاهرة: دار

المعارف، 1980.ص54

²⁹² . محمود كامل الناقة، دور الفكر العربي في النهضة العلمية الحديثة/ ترجمة شكري عباس حلمي. -القاهرة: المنظمة

العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1996. (الكتب الثقافية للراشدين، 9)

انبثقت معظم الطوائف البروتستانتية من حركة الإصلاح الديني المعروفة التي قامت في أوروبا⁽²⁹³⁾، ولكن بعضها تم تأسيسه قبل ذلك كالكنيسة المورافية⁽²⁹⁴⁾. وتمثل حركة الإصلاح قمة الدعوة الى التجديد داخل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التي كان من معالمها ترجمة الكتاب المقدس من اللاتينية المحلية، مما جعل التعاليم النصرانية في متناول كثير من الناس، ورغب في العودة الى القيم والبساطة التي اتسمت بها النصرانية في عهدها الاولى. ثم ظهرت سلسلة من الحركات الدينية التي التفت جميعها في رفضها لسلطة البابا المركزية، ولكنها اختلفت فيما بينها نتيجة لعوامل ثقافية وجغرافية وسياسية ودينية.

تضم الحركة الإصلاحية المحافظة في القرن السادس عشر جماعات انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية و لكنها احتفظت بكثير من العقائد الاساسية لتلك الكنيسة، ومن بين هذه الحركات وفقا لتاريخ ظهورها: اللوثرية وقد تم تأسيسها وفقا لتعاليم مارتن لوثر، وتعد من اوائل واكبر الحركات البروتستانتية التي انتشرت بسرعة شديدة في شمالي المانيا وبين الامم الاسكندنافية خلال العشرينيات من القرن السادس عشر. ويتفق اللوثريون عموماً على اهمية الايمان بسلطة الكتاب المقدس، ولكنهم اختلفوا اختلافا كبيرا، على شكل الطقوس وحكومة الكنيسة، وادت تلك الاختلافات الى نشأة طوائف عديدة⁽²⁹⁵⁾.

²⁹³. هاينكه زودهوف، معذرة كولومبوس: لست أول من اكتشف أمريكا/ تعريب حسين عمران. -الطبعة الأولى.- الرياض: مكتبة العبيكان، 2001. (312صفحة)

²⁹⁴. من اهم الطوائف البروتستانتية (الإنجيلية) :
الكنيسة اللوثرية - الكنائس المصلحة - كنيسة الأدفنتست (السبتيون) - الكنيسة المورافية
أنظر : الموسوعة الثقافية (<http://www.almaoso3a.com>) .

²⁹⁵. John Calvin, Institutes Of The Christian Religion/ Translated by Genry Bevrige, WM.B. Eerdmans, -Michigan: Publishing Company, Grand Rapids, 1995.P77

وهناك أيضا الاصلاحية أو المشيخية (296) وقد تطورت بدرجة كبيرة من تعاليم اثنين من المصلحين , زوينجلي هولدريتش (1484 - 1532 م) وجون كالفن (1509 - 1564 م) .

ففي عشرينيات القرن السادس عشر شجع زوينجلي على القيام بأصلاحات أكثر تطرفاً من إصلاحات لوثر . وقد أثرت تعاليمه , بدرجة كبيرة في كل من إنجلترا وفرنسا وهولندا واسكتلندا , وعرف أتباعه في إنجلترا بأسم البيوريتان (المتطهرين) وفي فرنسا بأسم الهوغونيين . كما عمل جون نكس على إدخال تعاليم كالفن إلى اسكتلندا .

الواقع إن , أوروبا انقسمت نتيجة حركة الاصلاح الديني اللوثرى بين الاقطار الكاثوليكية في الجنوب , والاقطار البروتستانتية في الشمال , فنشأت طوائف بروتستانتية كثيرة في مناطق عديدة من أوروبا , وقد أوجدت تلك الحياة الدينية المتنوعة روحاً من التسامح الديني واحتراماً لأهمية ضمير الفرد , كما أثارت حركة الإصلاح المضادة (297) .

فقد بدأت حركات الاصلاح في الكنيسة قبل أمد بعيد من ظهور البروتستانتية , فخلال القرن الخامس عشر بدأ عدد من رجال الدين النصارى مثل جيرولامو سافونارولا في ايطاليا , وفرانيسكو خمينيس في اسبانيا بإثارة ضمير الكنيسة ضد المساوى التي تطورت خلال عصر النهضة . لكن الشرارة التي أحدثت تجديداً تاماً في المعتقد الكاثوليكي وممارسات الكنيسة الكاثوليكية , كانت لتطهير الكنيسة في الرأس والأعضاء بدءاً بالبابا ثم نزولاً الى غيره .

296 . الكنيسة المشيخية : تشكل مجموعة كبيرة من الطوائف البروتستانتية في البلدان الناطقة بالانجليزية . وتدعى هذه الكنائس في خارج هذه البلدان , الكنائس الاصلاحية مثل الكنيسة الإصلاحية الهولندية . وأحد اشعارات هذه الكنائس الاصلاح الدائم . وتنتهي زهاء 100 طائفة نصرانية الى الاتحاد العالمي للكنائس الاصلاحية . وتشير كلمة مشيخي الى نموذج مميز من اشكال ادارة الكنيسة . ويدير اعضاء المشيخية مجالس تسمى الجلسات أو المجمع الكنسية المؤلفة من قس وعدد من الشيوخ العلمانيين غير الكهنوتيين . الشعب التي تشرف على التجمعات في المنطقة . وتتمثل مجمعات اعضاء الكنيسة في المجمع الكنسية أو الجمعية . وتعمل الادارة النيابية على جميع المستويات . بحيث يشارك شيوخ علمانيون في الادارة مع القساوسة ويكونون جميعهم على قدم المساواة . ويكون لجميع القساوسة مرتبة متساوية .

297 . الإصلاح المضاد اسم كان يطلق في الغالب على الحركة التجديدية في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر . وقد كان كثير من علماء الكاثوليك يفضلون أستعمال مصطلحات مثل , الإصلاح الكاثوليكي أو الصحو الكاثوليكية على هذا الاسم . وذلك نقادياً لما يتضمنه , من كونه ردة فعل للإصلاح البروتستانتى .

وصف البابا اديان الخامس (298) الكنيسة كما كانت قبل الاصلاح البروتستانتي بقوله : " نحن نعترف بصراحة أن الله سمح بأضطهاد الكنيسة بسبب آثام الناس , خاصة الاساقفة ورجال الدين , ونحن نعرف جيداً أنه لسنوات طويلة كانت هناك أشياء تستدعي الاشمئزاز قد تجمعت حول الكرسي الأسقفي المقدس , وأن أشياء مقدسة قد أسيء استعمالها(299), وان الاوامر الإلهية قد انتهكت وكل شيء قد تغير نحو الاسوأ " .

وقد اتخذ الإصلاح المضاد طريقين , إعادة الأيمان بين النصارى وإعادة تقييم المبادئ , ويقوم بهذا قادة الكنيسة . وقد أثير الحماس الديني عن طريق إقامة أنظمة دينية جديدة في أوائل القرن السادس عشر . ومع تأسيس جمعية المسيح (الجيرويت) عام 1534م , أصبح الإصلاح المضاد حقيقة واقعة(300).

وقد أوضح مجمع ترنت , وهو عبارة عن مجموعة من المؤتمرات التي عقدتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في ترنت بإيطاليا بين 1545 – 1563م الطريقة التي ينبغي أن يجدد بها الكاثوليك حياتهم وعبادتهم (301) .

فكانت دعوة البابا بولس الثالث إلى انعقاد المجمع في 1542م , وتم أفتتاحه في 13 ديسمبر 1545م . وانعقد المجمع خلال ثلاث فترات منفصلة , ثم عاقت الحروب والنزاعات الدينية عمله . وخلال الفترة الاولى من 1545م إلى 1547م أعلن المجمع أن الإنجيل والتقاليد هما المصدران الصحيحان للإيمان الكاثوليكي . وقد اصدر المجمع مرسوماً يقضي بأن للكنيسة الحق الأوحد في تفسير الإنجيل , أما التقاليد فتشتمل على كتابات الرُّسل , ومراسيم البابوات

298 . تولى المنصب البابوي عام 1522م وتوفي في السنة التالية .

299 . Laurence Bergreen, Marco Polo, Alfred A. Knopf, – New York, 2007.P66

300 . Peter E. Russell, prince Henry "the Navigator": a life. –New Haven: Yale University Press. 2000.

301 . راجع موقع مجمع ترنت على شبكة الانترنت : (<http://www.thecouncliofrent.com/index.htm>) .

والمجامع , والعادات التي مارسها الكاثوليك على مدى تاريخ الكنيسة , ورفض المجمع أيضاً وجهات النظر البروتستانتية حول الخلاص والخطيئة⁽³⁰²⁾.

أما الفترة الثانية التي امتدت من سنة 1551م إلى سنة 1552م , فقد عرف مجمع ترنت طبيعة الاسرار السبعة , وأعاد توكيد مبدأ التحويل وهو الاعتقاد بأن الخبز والخمر قد تم تحويلهما الى جسم المسيح ودمه فيما يسمونه القربان الأقدس . وفي الفترة النهائية من 1562 إلى 1563م , فقد دافع المجمع عن صكوك الغفران, وأقر كذلك الصلوات من أجل القديسين , وعرف ذبيحة القديس , وكثيراً من العقائد النصرانية . وأمضى المجمع إصلاحات مثل تأسيس مدارس اللاهوت لتدريب الكهنة, وتحقيق مطلب عيش كل اسقف في منطقته الخاصة . وقد صدق البابا بيوس الرابع في 26 يناير سنة 1564م على كل المراسيم التي صدرت عن المجمع, والتي أصبحت فيما بعد جزءاً من العقيدة الكاثوليكية⁽³⁰³⁾.

لقد حاول المجمع أن يعرف الكاثوليكية , وأن يُبطل تعليمات البروتستانت , فقام المجمع بعدة اصلاحات في اجراءات الكنيسة الكاثوليكية خلال القرنين 16 , 17م . فحدد طبيعة الرحمة , والانقاذ من الخطيئة , والتضحية للجماهير (للقديس) , والكهنوت والاسرار المقدسة السبعة وسلطة الكنيسة . وهو أيضاً الذي خول للمعاهد الدينية أن تدرّب القساوسة , وشرع لباساً كهنوتياً لرجال الدين . وأصدر كتاباً مشتملاً على خلاصة العقيدة , وطالب الكهان أن يقيموا في أسقفياتهم . إضافة الى ذلك شجع المجلس على انشاء المدارس , وألح على أن يعيش الكهان , والراهبات في عيشة متقشفة , وشجع على عبث الارساليات التصيرية في كل أنحاء العالم . وقد أثرت المبادئ التي اصدرها المجمع تأثيراً كبيراً في الكنيسة منذ ذلك الحين⁽³⁰⁴⁾ .

³⁰². Desmond. Seward, Francpis I: Prince of the Renaissance, –New York: MacMillan Publishing Co.,. 1973.P66

³⁰³. "Thirty Years' War– Danish intervention". –available in 20 January 2009 at: http://www.experincefestival.com/a/Thirty_Years_War/id/385103

³⁰⁴. الموسوعة الثقافية (<http://www.almaoso3a.com>)

وتجدر الاشارة الى , أن تجديد الايمان أثر بين الكاثوليك في كل أشكال الفن , فمثلاً حركة الباروك في الرسم , والهندسة المعمارية , كثيراً ما يجري تعريفها مع الإصلاح المضاد . وقد أتسمت هذه الحركة بأعمال فنية درامية وعاطفية . وفي مجال الادب قام الشعراء الكاثوليك الانجليز ريتشارد كراشو , وجون درايدن , وروبرت ساوثويل بكتابات مكثفة لأعمال شعرية روحية مطابقة لتلك الروح في الإصلاح المضاد⁽³⁰⁵⁾.

وفي الحقيقة , لقد أسهم اكتشاف العالم الجديد والثورة الصناعية في نجاح حركة الإصلاح المضاد . وقد ساعد استعمار الأمريكتين الشمالية والجنوبية الكنيسة في تحقيق رغبتها في أن تمد حدود النصرانية , كما جاء التصنيع بأعداد كبيرة من الكاثوليك من المناطق الريفية الى المناطق المدنية , وأدت هذه الهجرة الى تكوين أبرشيات ومدارس كاثوليكية , والى تطوير ثقافة كاثوليكية متميزة .

وكان من دلائل انتعاش الكاثوليكية نشاط الطوائف أو الجامعات القديمة مثل الفرنسيكان والدومنيكان , ثم ظهور طوائف وجماعات دينية جديدة . وكان الجزويت أهم هذه الجماعات الجديدة ذات الأثر البعيد في المحافظة على كيان الكنيسة . ومؤسس هذه الجماعة رجل نشأ بين الشعب الاسباني المغرق في تعصبه للكاثوليكية هو دون اينجو لوبيز دي ريكالدي Don Inigo Lopez do Recalde وقد اشتهر في كتب التاريخ باسم اجنات ليولا Ignatins Loyola أو " أنياس لايبولا " (1490-1556م) ⁽³⁰⁶⁾ .

نشأ اجنات ليولا رجلاً كبيراً محباً للشهرة والفخفة , فأتخذ صناعة الجندي سلماً لأطماعه رجاء أن ينال بتبريزه فيها مقاماً بين الناس محموداً , ولكنه في حصار بامبولين أصيب بكسر

³⁰⁵ The Catholic Encyclopedia: J. Loughlin, "Pope Paul IV." , -New York: Robert Appleton Company. Retrieved March 20, 2009 from New Advent: (<http://www.newadvent.org/cathen/11581a.htm>).

في فخذة قضى عليه من الوجة العسكرية . وبينما كان يمرض في المستشفى أعطي إليه كتاب في حياة القديسين ليطلعه في وحدته , فأكب عليه وتأثر بما فيه غاية التأثر وعزم أن يتبع طريق الدينين , وجال في خاطره عند ذاك تأسيس طائفة دينية ولكنه أدرك أن جهله لا يسمح له بالتطلع لهذا المركز الرفيع , فأكب على دراسة العلوم وسنه ثلاث وثلاثون سنة وصار ينتقل من جامعة إلى جامعة لتحصيل الفلسفة العالية حتى نال مكاناً عالياً منها⁽³⁰⁷⁾.

كان مارتن لوثر في هذا العهد يمهد طريق الإصلاح الديني البروتستانتى , فأجمع اجنات ليولا على معاكسته وصد الناس عن سبيله . فكان كلما أرشد لوثر الى اعتبار العقل واستشعار الحرية في البحث والمناقشة وتأييد الحكومة الحرة المدعمة على القوانين , كان اجنات يتشدد في وجوب الطاعة بلا تردد لأحكام الدين , وبتقرير حكومة مطلقة يقودها ملك فرد , فكان يرمي في تعاليمه الى جعل اتباعه اشبه بالجنود في ساحة الوغى يجب عليهم الاستسلام لقائدهم يوجههم ويرمي بهم حيث أراد⁽³⁰⁸⁾.

تعرف اجنات ليولا أثناء إقامته بباريس ببعض الطلاب في علم اللاهوت وهم يبير لوفيفر ورود ريجز وفرانسوا كسافييه وثلاثة من الاسبانيين مثله وهم جان لينز ونيكولا بوباديليا والفونس سالميرون . فاجتمع بهم في 15 أغسطس سنة 1534م في مكان تحت الارض من كنيسة مونتم , وهنالك تعاهدوا على العفاف والفقر وارشاد الكفار الى الدين , وحج الاراضي المقدسة . ولما كانت الحروب قائمة بين الأوروبيين والأتراك في ذلك العهد عدلوا عن الحج الى ارشاد الكفار للدين وقرروا أن يتفرقوا في الاقطار على ان يجتمعوا في فينز سنة 1537م أي بعد تعاهدهم بثلاث سنين ليقدم كل منهم بياناً عما فعله في تلك المدة⁽³⁰⁹⁾.

³⁰⁷ . آن جرانت، هارولد تمبرلي، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789-1950)// ترجمة بهاء فهمي، أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة، 1985.ص134

³⁰⁸ . جلال يحيى، جاد طه، معالم التاريخ الأوربي الحديث: دراسة لتطور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في القارة الأوربية وعلاقتها مع العالم. -الإسكندرية: منشأة المعارف، 1974، ص154

³⁰⁹ . أحمد يوسف، محمد زبارة، مقدمة في العلاقات الدولية. -القاهرة: مكتبة الأنجلوا المصرية، 1989.ص43

وفي أكتوبر من السنة التالية اجتمع ليولا ولوفيفر ولينز وشخصوا الى روما فقابلوا البابا بولس الثالث وعرضوا عليه مشروعهم من تكوين طائفة دينية لنشر مبادئ الديانة الكاثوليكية وتأييد مركز الكنيسة الرومانية , فأظهر ارتياحه لعملهم واصر امره بتأسيس تلك الطائفة في 17 سبتمبر سنة 1540م وسمى ليولا طائفته بالجزويت مصداقاً لمشهد روحاني شهده كما قال رأى فيه الاب مع ابنه حاملاً صليباً طويلاً وهو يشكو من الآمه , فأوصى الاب المسيح بليولا وأوصى ليولا بالمسيح خيراً⁽³¹⁰⁾ .

كان اجنات ليولا يرمي بهذه الجمعية الى تحقيق غرضين أولهما هداية الكافرين الى المسيحية وثانيهما تكوين جيش محارب لنصر البابا , فوضع اجنات ليولا نظام هذه الطائفة ولما خلفه تلميذه لينز غير كثيراً من ذلك النظام وخفف من صرامته . وينقسم أعضاء هذه الطائفة الى خمسة أقسام⁽³¹¹⁾:

- 1- الاعضاء الزمنيين وهم الذين يمكثون سنة تحت التمرين تؤخذ عليه عهد بسيطه ويشغلون بأعمال يدوية ويؤدون الوظائف الدينية .
- 2- الاعضاء الجدد وهم شبابان متعلمون معنتي بانتخابهم . يحرم عليهم الاشتغال بأي درس مدة سنتين ولا تؤخذ عليهم عهد , وبعد مضي السنتين يسمح لهم بدراسة الادب والفلسفة والعلوم , فإذا بلغوا الثامنة والعشرين أو الثلاثين بدأوا بدراسة علم اللاهوت ثم عينوا قسوساً , واذ ذاك ينقطعون سنة كاملة عن كل درس او اختلاط مع الناس , وتسمى هذه السنة بمدرسة القلب وبعدها تؤخذ عليهم العهد المقررة⁽³¹²⁾.
- 3- الاعضاء المسمين بالتلاميذ هم رجال متعلمون اخذت عليهم العهد السرية المقررة ووظيفتهم الدعوة والارشاد وقياجة الضمائر .

³¹⁰ . جاد طه , تاريخ اوروبا الحديث , ص136 - 137 .

³¹¹ . Althaus Paul, The Ethics of Marthin Luther/ Translated by Robert C. Schultz,-Philadelphia: Fortress Press, 1972.P22

³¹² . John Larnar, Marco Polo and the DISCOVERY OF The Discovery of the Worlad, -Yale University Press, 1999,P44

4- الاعضاء الروحانيون وهم أرقى من السابقين تؤخذ عليهم عهود عالية ووظيفتهم مساعدة الاساتذة .

5- الاساتذة وهم الطبقة العليا من هذه الطائفة اختيروا من خلاصة الاشياخ وهم الاعضاء الحقيقيون لجماعة الجزويت العارفون بأسرار طائفتهم ولأجل أن يبلغ الرجل الى هذه المكانة يجب عليه أن يتعهد برعاية الرهبنة وايتار الفقر والاخلاص المطلق للبابا وأن يقبل أي مهمة تسند إليه (313) .

وكانت رئاسة هذه الطائفة تستند الى واحد من قسم الاساتذة يشغلها مدة حياته . وعليه أن يقيم بروما وله سلطة مطلقة على أشياخه اتباعاً لهذا الاصل الذي وضعه - اجنات ليولا - مؤسس هذه الطائفة وهو (314)" على كل عضو من هذه الطائفة أن يطيع كما لو كان جثة هامة أو عصا في يد رجل هرم " . ولما جاء البابا جول الثالث زاد في امتيازاتهم فجعلهم غير خاضعين لأي سلطة في الارض الا سلطته وسلطة رئيسهم , وقد عرف الجزويت كيف يستفيدون من هذا المركز الاستثنائي فبدلوا جهدهم لتحقيق أمنيتهم وهي قيادة العالم والسيطرة على أرواحهم (315) .

تذرع هؤلاء الناس بالصبر والحلم والمداخلات والثبات , فلم يهنوا أمام كارثة , ولم يتشددوا أمام جبار كيلا يكسرهم , بل عرفوا كيف يدارون وكيف يتدخلون ويحتاطون بالأكابر والأصاغر كل على قدر عقله ورتبته حتى أنك كنت تجدهم مع الملوك وعند نديماتهم ومع القادة والمقودين على السواء , لذلك لم يحدث حدث سياسي أو اجتماعي إلا ولهم يد فيه , فكانوا

³¹³ . الموسوعة العربية : بوابة عربية اسلامية شاملة , فرق ومذاهب دينية / جزويت - متاح بتاريخ 20 مارس 2009 على الرابط : (<http://aarabiah.isoc.ae>) .

³¹⁴ . Richard Henry Major, The discoveries of Prince Henry, the Navigator, and their results, - London: Sampson, 1877,977

³¹⁵ . David Ogg, Europe in the Seventeenth Century,- Oxford: Adam& Charles Black, 1954,p52

يؤيدون الوزراء أو يسقطونهم ، ويهيئون الثورات أو يفشلونها ، ويروجون الاشاعات ويبطلونها ، فكانوا هم الحاكمين حقيقة خلف كل ملك ووراء كل قائد أمر⁽³¹⁶⁾ .

كان مما قرره مؤسس طائفتهم عليهم من القيام على هيئة من الهيئات أنه يجب على كل منهم أن يكون رأسه منخفضاً الى الامام غير مائل الى احد الجانبين ، أن تكون عينه دون مخاطبه بحيث لا يراه إلا اختلاصاً ، ويجب أن تكون شفاته لا مفرطتين في الانطباق ولا مفتوحتين ، وأن لا يجعد جبهته ولا أنفه وأن يظهر مسروراً محبوباً لا حزيناً عبوساً . كانت كل مجهودات الجزويت ترمي الى غرض واحد هو توزيع جيشهم الجرار في كل مكان بحيث إذا اعطيت لهم اشارة قاموا دفعة واحدة في ان واحد لتحقيق مراد داعيهم الاكبر⁽³¹⁷⁾.

ثبت تدخل الجزويت في الجرائم السياسية كقتل هنري الرابع ، فأضطرت بعض الامم لطردهم من بلادها فقد طردوا سنة 1578م من أنفير ، وسنة 1598 من هولندا ، حيث ثبتت عليهم المؤامرة على قتل موريس ناسو ، وسنة 1618 من بوهيميا ، وسنة 1619 من مورافيا ، وسنة 1643 من مالطة ، وسنة 1759 من البرتغال حيث تأمروا على قتل الملك ، وسنة 1767 من أسبانيا حيث كدروا صفو الامن العام ، وسنة 1767 من سيليسيا ، وسنة 1786 من بارم⁽³¹⁸⁾ .

اشتهر الجزويت في جميع اقطار الارض بتحريك السواكن والعمل في الخفاء لأغراض بعيدة ، فرمتهم الامم عن قوس حتى ان البابا كليمان الرابع عشر لما اضطر لتحسين سياسته مع

³¹⁶ J.P. Oliveira Martins, The golden age of Prince Henry the Navigator.- London: Chapman and Hall. 1914.

³¹⁷ جلال يحيى، جاد طه، معالم التاريخ الأوربي الحديث: دراسة لتطور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في القارة الأوربية وعلاقتها مع العالم. -الإسكندرية: منشأة المعارف، 1974.

³¹⁸ . شبكة الفيصل نت ، مقالات : أديان ومعتقدات / جزويت ، متاح بتاريخ 8 سبتمبر 2007 ، على الرابط :

. (<http://www.fesal.net/articles>) .

ملوك أوروبا الى اقبال مدرستهم في روما سنة 1772 , ثم أصدر أمره في السنة التالية بمحو طائفتهم (319) .

كان عدد الجزويت عند نكبتهم هذه (22559) فلم تنثن عزيمتهم ولم تفتر همتهم بل ضموا صفوفهم وجعلوا لهم رئاسة سرية , وقد أعاد البابا اعتبار طائفتهم سنة 1801 تحت اسم طائفة القلوب المقدسة وتمكن سنة 1814 من اصدار امر بابوي ملغياً لأمر كليمانس الرابع عشر وأعاد لطائفة الجزويت حقوقها كافة , ولكنها لتهم أفرادها ومدخلاتهم استجلبت سخط الممالك من جديد فابتدأت تطاردها (320) .

الواقع أن , طائفة الجزويت امتازت بغرض بعيد وهو أنها رأت أن المسيحية جاءت لتخلع الناس عن هذه الحياة فلم تتجح , وحاول رجال القرون الوسطى أن يعيدوا سباب مبادئها هذه ففشلوا , فكان الفارق بين المسيحية وروح العصور كبيراً جداً فأراد الجزويت أن يخففوا من هذا التشدد ليجذبوا الناس الى ديانتهم . رأوا أن الناس كلهم لا يأتون اليهم فذهبوا هم الى الناس , ورأوا انهم لا يحضرون الى الكنائس فحملوا الكنائس اليهم , وأنسوا انهم اصبحوا يحبون التقرب من الطبيعة فاعتبروها وجعلوا لها من مباحثاتهم شأناً . فقال هنري مارتان الكاتب الفرنسي : "فلو أضافوا الى هذه الاغراض الحاذقة استقامة وحرية وروحاً دينية حقيقية لاستطاعوا ان يردوا الى الطبيعة حقوقها بدون أن يمسا بقوانين الحق والفضيلة الازلية" (321)

كان من الامور التي تركها مجلس ترنت عند انتهائه ليتصرف فيه البابا نفسه اختيار فهرس بأسماء الكتب التي تريد الكنيسة تحريم قراءتها على رعاياها .

³¹⁹ . R.J. Knecht, Renaissance Warrior and Patron: The Reign of Francis I. Cambridge: Cambridge University Press, 1994,p69

³²⁰ . Thirty Years' War- Casualties and disease". –available in 20 January 2009 at: (http://www.experincefestival.com/a/Thirty_Years_War/id/385103)

³²¹ . موقع مجمع ترنت على شبكة الإنترنت: (<http://www.thecounciloftrent.com/index.htm>)

فقد كان الباباوات من اواخر القرن الخامس عشر يفرضون العقوبات على المؤلفين واصحاب دور الطباعة والنشر والمشتريين والقارئ الذي يتداولون الكتب المهترقة أي التي تحمل بين طياتها كفراً وزندقة , وتدخل تحت هذا العنوان الكتب التي تتعارض مع المذهب الكاثوليكي أو التي ترمي الى رقابة كاملة على جميع المطبوعات المتداولة في روما والولايات البابوية , وكان المقصود من ادراج الكتب في الفهرس أو الكتالوج هو وجوب احراق هذه الكتب⁽³²²⁾.

وفي اثناء الفترة توقفت فيها جلسات مجمع ترنت وأمتدت عشر سنوات (1552-1562م) وضع البابا بول الرابع⁽³²³⁾ في عام 1559م أول الفهارس وكان من ضمن الكتب المحرمة في الفهرس كتب المصلحين مثل لوثر وزونجلي وكلفن .

³²² . The Catholic Encyclopedia: Otto Hartig, "John & Sebastian Cabot", New York: Robert Appleton Company, 1908. (Vol.3), -Available 2 May 2009,

at:<http://www.newadvent.org/cathen/03126d.htm>

³²³ . ولد بول في كانينو قرب بنينغينتو في ايطاليا . وكان اسمه الكامل هو جبان بيترو كرافا . وكان زاهدا في الحياة . وصل بول الى منصب كاردينال عام 1536م وقاد الاصلاح الديني اللوثيري الى حد ما في روما . وابتداء من عام 1550م ترأس تحقيقات روما واصبح مشهوراً بالعنف الذي لا يعرف الاستسلام . انتخب للبابوية عام 1555م . وكانت له اتجاهات قوية في مقاومة حركة التجديد الكنسي وهو الاتجاه المسمى بالإصلاح المضاد . وكان بول صارماً رافضاً أي صلح مع الحركة البروتستانتية اثناء الاصلاح الكنسي . ولم يعترف بالتسويات الدينية السلمية التي قام بها اوغسبورغ عام 1555م . واعترف فيها باللوثرية في ألمانيا . وكان ينظر نظرة تشكك الى أي انحراف عن الارثوذكسية الجامدة . ووسع أنشطة التحقيقات , حتى تم وضع أول قائمة بأسماء الكتب المنوعة . راجع :

النسخة التجريبية من (NNDB) , متاحة بتاريخ 20 / 3 / 2009 على الرابط : (<http://www.nndb.com/people>)

Lepold von Ranke , " Portrait of pope paul IV " , available in 1 August 2004 at :

(<http://www.umass.Edu/wsp/methodology/ranke/paul.html>).

J.Loughlin , Pope Paul IV . In The Catholic Encyclopedia . New York : Rebert Appleton Company . Retrieved March 20 , 2009 from New Advent:

(<http://www.newwadven.org/Cathen/11581a.htm>)

" pope paul IVBiographt " , in Biography Base , Available in 20 March 2009 at :

وقد نقد مجلس ترنت هذا الفهرس لقصوره ونقص محتوياته , وعلى ذلك فقد أعد فهرس جديد عام 1564م , ثم تكررت مراجعة هذا الفهرس عدة مرات حتى عام 1596 . واستمر معمولا بهذا الفهرس الاخير مع بعض الاضافات من وقت لآخر الى نحو القرن الثامن عشر .

وقد ظهرت آثار تحريم تداول الكتب على البلاد الكاثوليكية مثل ايطاليا واسبانيا والبرتغال وبلجيكا , اذ ضرب على هذه البلاد ستار كثيف حال دون انتقال ثقافة وعلوم الشعوب البروتستانتية في شمال اوروبا الى البلاد الكاثوليكية , مما ادى الى وضع الحواجز الخطيرة أمام انتشار العلم والمعرفة⁽³²⁴⁾.

أما محاكم التفتيش فكانت الوسيلة الاخرى التي لجأت اليها كنيسة روما في حركة الاصلاح الديني المضاد , وقد نشطت محاكم التفتيش Inquisition في القرنين الخامس عشر والسادس عشر , وكانت مهمتها اكتشاف مخالفي الكنيسة ومعاقبتهم⁽³²⁵⁾.

استخدمت بشكل عام لمحاكمة المهراطيين بواسطة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وكان ذلك من خلال محاكمات إكليريكية أو المحاكم التي تقيمها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لقمع أو مكافحة الهرطقة , وكانت مهمتها اكتشاف السحرة ومعاقبتهم حيث قامت محاكم التفتيش بحرق (59) امرأة بأسبانيا , (36) بأيطاليا و (4) بالبرتغال , بينما قامت محكمة القضاء المدني الأوروبي بمحاكمة (100) ألف امرأة , (50) ألف منهم تم حرقهم , (25) ألف بألمانيا خلال القرن السادس عشر بواسطة اتباع مارتن لوثر . وكانت سلطة محاكم التفتيش على أتباع

(<http://www.biographybase.com/biography/paul-IV-Pope.html>).

³²⁴ . Charles Sala, Michel-Ange: Sculpteur, peintre, architecte. –Pierre Terrail, 2001.

³²⁵ . روبرت المر، تاريخ العالم الحديث/ الجزء الأول: ترجمة محمود أمين؛ الجزء الثاني: ترجمة حسن علي دنون. -بغداد:

الكنيسة من المعمدين فقط ، والذين كانوا يشكلون الغالبية من السكان ، لكن كان ممكناً لغير المسيحيين أيضاً أن يحاكموا بتهمة سب الدين (326) .

وكان استخدام وسائل التعذيب في حق من كان يُظن انه من الهراطقة أمر مألوف كأسلوب بشع للعقاب من قطع أوصال وحرق الناس أحياء ، فوصلت الأعداد التي تم تعذيبها ثلاثمائة ألف من البروتستانت ومائة ألف بلغاري وفرنسي وأرثوذكسي (327).

وفي القرن السادس عشر أصبحت اسبانيا اكبر قوة كاثوليكية في العالم آنذاك ، وكانت موضع حسد من العالم البروتستنتي في الشمال ، وكانت اسبانيا نموذجاً لدولة دينية سلطوية ، فتتحكم وتعين الكنيسة فيها الملوك والاباطرة الذين يحكمون بحاكميه تسمى ظل الله في الارض أو قانون الحق الإلهي ، وللقضاء على ما سموه وقتها بالفساد واستهدفت من ثم إجبارهم على اعتناق المسيحية من المسلمين واليهود (328) ، ثم استهدفت المعتقدات المسيحية الاخرى وخاصة البروتستانتية وظهرت كلمة الهرطقة ، وهي وصف لمن اختلف معهم في الشرح المحدد للنص الإنجيلي من قبل الملتزمين في الكنيسة الكاثوليكية (329).

وكان توماس توركوما دا ، وهو رجل دين منتسب للمسيحية يرأس هيئة التفتيش للبحث عن هؤلاء الهراطقة ، فيقوم بوعظهم وتعذيبهم وقتلهم إن لم يعودوا الى كنف الكنيسة الكاثوليكية ، وكان يسمى بالمفتش العظيم أو جراند إنكويستر ، وكان يعدم واحداً على الاقل من كل عشرة أشخاص يمثلون أمام محكمته وكان ذلك بأسلوب خجلت منه الكنيسة الكاثوليكية واعتذرت عنه

1. David Burr , " INQUISITION : INTRODUCTION " , available in 15 February 2009 at :

(<http://www.fordham.edu/halsall/source/inquisition1.html>)

327 . غوستاف لوبون، روح الثورات والثورة الفرنسية/ ترجمة محمد عادل زعيتر. -القاهرة: المطبعة العصرية، 1934.

ص183

2. Robert Green Ingersoll , " Spain And Spaniard " available in 20 March 2009 at :

([http://www.indfidels.org/library/historical/robert ingersoll/spain and spaniard . html](http://www.indfidels.org/library/historical/robert%20ingersoll/spain%20and%20spaniard.html))

329 . هاري إيبرتس، مصلح في المنفى جوف كلفن: موجز عن حياته ومبادئه/ ترجمة وليم وهبة بباوي.

للعالم . كما كانت محاكم التفتيش وسيلة ملوك أسبانيا الصليبيين لتطهير اسبانيا من الهرطقة وجميع من يعتقد بغير الكاثوليكية , وذلك برغم المعاهدة الموقعة منهم (330).

أما محاكم التفتيش الروماني Roman Inquisition فكانت نظاماً من المحاكم أنشأه الحبر الاعظم أثناء النصف الثاني من القرن السادس عشر , وكان مسئولاً عن ملاحقة الافراد المتهمين بأي جريمة من قائمة طويلة من الجرائم المتعلقة بالهرطقة , ومنها السحر والشعوذة وعدم احترام المقدسات , وللرقابة على المؤلفات المطبوعة . وقد غطت هذه المحاكم القسم الاكبر من شبه الجزيرة الايطالية , فضلاً عن مالطة والمناطق المعزولة من الولايات البابوية في أوروبا , بما في ذلك افينيون في فرنسا(331).

وقد نجحت محاكم التفتيش الرومانية في القضاء على البروتستانتية في ايطاليا من جهة , كما نجحت في اذكاء روح التعصب في الكنيسة . ويحدد تأسيس هذه المحاكم في عام 1542 بداية عهد الاصلاح الكاثوليكي في اطاره الضيق , أي الإصلاح المستند على استخدام وسائل العنف والقوة التعسفية لإرجاع الكنيسة إلى مكانتها , وذلك بالقضاء على الذين يريدون الإصلاح الكاثوليكي على اساس التسامح والتساهل مع البروتستانتية من جهة , ثم القضاء على أتباع البروتستانتية من جهة اخرى(332) .

ولقد كان نجاح محاكم التفتيش نجاحاً هزيباً , فهي لم تتجح نجاحاً تاماً في القضاء على المذاهب المخالفة للكاثوليكية سوى في ايطاليا واسبانيا , وكان هذان الاقليمان أقل البلاد تقبلاً للمذاهب الجديدة , ولذلك كان أتباع هذه المذاهب من قلة العدد بحيث كان تأييدهم ضعيفاً جداً في المجتمعات الايطالية والاسبانية , وفيما عدا ذلك فقد أثارت محاكم التفتيش بإجراءاتها الشاذة

³³⁰ . غوستاف لوبون، روح الثورات والثورة الفرنسية/ ترجمة محمد عادل زعيتر. -القاهرة: المطبعة العصرية، 1934.

1. "historical overview of the inquisition " , available in 5 December 2008 at :

(<http://galileo.rice.edu/lib/student-work/trial96/loftis/overview.html>)

³³² . هيربرت ا.ل. فيشر، تاريخ أوروبا الحديث/ تعريب نجيب هاشم، وديع الصبغ. -القاهرة: دار المعارف، 1956

وأحكامها غير الانسانية مزيداً من العداوة بين البروتستنت في شمالي اوروبا وغربها , وجعلتهم يصرون على الابتعاد عن كنيسة روما ومقاومة المحاولات التي كانت تبذل لإرجاعهم الى حظيرة الكاثوليكية⁽³³³⁾ .

ولذلك , يقرر أغلب المؤرخين أن جهود جمعية الجزويت وقرارات مجمع ترنت هي التي أسهمت الى حد كبير في النجاح الذي حققته حركة دعم الكنيسة الكاثوليكية في نهاية القرن السادس عشر , أما محاكم التفتيش فلم يكن لها أدنى أثر في هذا النجاح⁽³³⁴⁾ .

أما الإنجليكانية أو الاسقفية , فقد بدأت في إنجلترا نتيجة لقانون السيادة لعام 1534م الذي أعلن فيه الملك هنري الثامن استقلاله عن البابا وأصبح بذلك الرأس الأعلى للكنيسة في إنجلترا , ورغم انه ظل كاثوليكياً , ولم يشجع افكار البروتستانت مثلهم , فإنه امر بترجمة الكتاب المقدس الى اللغة الانجليزية . ونتيجة لذلك وبعد جدال طويل وسفك للدماء , تأسست الكنيسة الانجيلية في إنجلترا . وفي عام 1559م أسست الملكة إليزابيث الاولى نموذجاً معتدلاً من البروتستانتية عرف فيما بعد الانجليكانية⁽³³⁵⁾ .

مصطلح الأنجليكان و (الكنيسة الأنجليكانية) Anglicana Ecclesia يستخدم لوصف الناس والمؤسسات والكنائس فضلاً عن التقاليد الدينية والطقوس والمفاهيم المتقدمة التي أنشئت في كنيسة إنجلترا الإنجليكانية⁽³³⁶⁾ . الإنجليكانيون تقليدياً يؤرخون نشأة كنيتهم في انكلترا الى كبراء أساقفة كانتربري , القديس أوغسطين في نهاية القرن السادس , لكن المصادر في مجلس

³³³ . عبد العزيز بن عثمان التويجري، بحث بعنوان "أثر الثقافة العربية في النهضة الأوربية". -ندوة الثقافة العربية والثقافات الأخرى. -الرياض، مارس 1998

³³⁴ . جاد طه , تاريخ أوروبا الحديث , ص143 .

³³⁵ . موسوعة الواحة , الانجليكانية , متاح بتاريخ 11 مارس 2008 , على الرابط : (<http://www.coptreal.com>) .

3. Paul. " What is Anglicanism ? " , in The Study of Anglicanism , ed . S.Sykes and J.Booty (London:Spck,1988) , PP.417-19 .

الكنيسة تمتد الى أبعد من ذلك , بعد أن اكتسبت المسيحية أول موطئ قدم لها أثناء الاحتلال الروماني قبل القرن الخامس وربما منذ القرن الاول . أول شهيد مسيحي سجل في بريطانيا هو القديس ألبان , الذي يُعتقد انه عاش في اوائل القرن الرابع , وله اهمية في هاغيوغرافية الانجليكان تتجلى في عدد من كنائس الابرشية الذي كان راع لها . الانجليكانيون الايرلنديون هو أيضاً يحددون أصولهم الى فترة تأسيس القديس الراعي (القديس باتريك) لايرلندا المسيحية , وهو بريطاني روماني جاء قبل المسيحية الانجلوسكسونية (337) .

فبينما يتعرف الانجليكانيون بأنهم نبذوا السلطة البابوية على يد هنري الثامن وتحولوا الى كنيسة انجلترا القائمة ككيان مستقل , فإنهم لا يزالون يؤكدون على استمرارية الكنيسة الحالية مع كنيسة ما قبل الإصلاح . بغض النظر عن العادات والصلوات الخاصة , إلا أن الآلية التنظيمية لكنيسة إنجلترا كانت قد وضعت في عامي 672-673 عندما استطاع مجلس الاساقفة لأول مرة من العمل كشخص واحد تحت قيادة رئيس أساقفة كانتربري (338) .

إن أثر قانون هنري لضبط العمل في الاستئناف (1533) , وأعمال السيادة (1534) كان لمجرد إعلان بان التاج الانكليزي هو " أعلى سلطة على الارض لكنيسة أنكلترا , سميت Anglicana ecclesia " وأن أسقف روما ليس لديه " أي سلطة إضافية في انكلترا من أي اسقف اجنبي " . فالاصلاح الانكليزي في البداية كان مدفوعاً لأهداف هنري الثامن الذي في سعيه للحصول على قرينة التي ستحمل له الوريث الذكر , ولكن وجد هذا وسيلة لإحلال سيادة التاج البريطاني بدل السيادة البابوية (339) .

1. Gonzalez , Justo L.,The History of Christiaity, Volume I : " The Early Church to the Dawn of the Reformation " , San Francisco : Harper , 1984 .

³³⁸ . Bernard Guillemain, Les papes d'Avignon (1309–1376). –du Cerf, Paris, 2000.p99

³³⁹ . الموسوعة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة/ إشراف وتخطيط ومراجعة مانع بن حماد الجهني . -الطبعة الثالثة منقحة وموسعة.

حيث تم فحص القوانين الاولى عن قرب , يقترح أنه لم يكن في نية هنري تأسيس كنيسة جديدة وهو على دراية كافية عن التاريخ ليعرف أن السلطات التي كان يطالب بها كانت هي تلك التي مارسها ملوك أوروبا على الكنيسة في الملاك منذ وقت قسطنطين العظيم وأن ما تغير منذ ذلك الحين حتى وقته كان نمو قوة البابوية⁽³⁴⁰⁾ .

القوانين الاصلية رأت ان تعكس ذلك وتضع هنري على رأس الكنيسة , التشريعات اللاحقة لوضع اشياء بروتستانتية على جدول اعمال هنري , تقديم فكرة نسخة جديدة مترجمة للإنجيل في 1538 باللغة الانكليزية ادى الى ترجمة واسعة لعدد كبير من الكتب , كما أن حل الأديرة في سنة 1540 أدى الى كميات كبيرة من أراضي الكنيسة والممتلكات أن تصبح تحت سلطة التاج , وفي النهاية يصب في مصلحة مجلس النبلاء⁽³⁴¹⁾ .

أنشأت هذه المصالح , التي تقدم حافزاً قوياً , لدعم مادي لكنيسة مسيحية مستقلة في انجلترا تحت سيادة التاج , وبحلول 1549 , قامت عملية خلق جديدة ومتميزة تماماً لكنيسة وطنية بالبداية خلال نشر أول كتاب للصلاة The Book of Common Prayer وتنفيذ تشريعات التوحيد , الذين قاموا بإحلال اللغة الانكليزية كلغة رسمية لشؤون العبادة⁽³⁴²⁾ .

خلال العهد القصير لـ ادوارد السادس ابن هنري , اتجهت كنيسة انجلترا كثيراً نحو البروتستانتية وكان هذا واضح في وضع كتاب صلاة ثاني (1552) وفي المقالات التسعة والثلاثين لمواد الدين (الاصل اثنان وأربعون) . وقد انعكس هذا الاصلاح فجأة في عهد الملكة ماري التي كانت كاثوليكية , حين قامت باعادة تثبيت السيادة البابوية . إلا انه فقط خلال عهد

³⁴⁰ . Justo L. Gonzalez, The History of Christianity, Volune I: "The Early Church to the Dawn of the Reformation" . –San Francisco: Harper, 1984.p11

³⁴¹ . مجدي إبراهيم محرم، مقال بعنوان "وفاء سلطان بين الضلال والإضلال". -جريدة شباب مصر. - منشور بتاريخ 17 أغسطس 2005 على الرابط: (<http://shbabmis.com/?xpage=view&EgyxpID=931>)

³⁴² . محمود بيومي، مقال بعنوان "المسلمون في الفبين"، -متاح بتاريخ 25 مارس 2009 على الرابط: (www.al-)

الملكة إليزابيث الأولى كانت كنيسة إنجلترا كنيسة مصلحة كاثوليكية تتضمن جوانب من اللاهوت البروتستانتي .

في القرن السادس عشر كانت الحياة الدينية هي جزء هام من الاسمنت التي عقدت المجتمع مع بعضه البعض , وشكلت قاعدة هامة لتوسيع ودعم السلطة السياسية⁽³⁴³⁾. كما ان الاختلاف في الدين في ذلك الوقت كان قد يؤدي الى الاضطرابات المدنية على الاقل الخيانة والاحتلال الاجنبي بوصفها التهديدات الحقيقية . طريقة إليزابيث في حل مشكلة اراقة الدماء من اجل الدين كانت في توحيد ديني الذي أصبح واضحاً بشكل كبير حينما تمت تنمية كتاب صلاة مشتركة في 1559 . هذه النسخة من كتاب الصلاة جمعت بين العناصر الكالفينية البروتستانتية 1552 والنسخة التقليدية من ساروم القديس الكاثوليكي 1549 . مراجعة كتاب الصلاة كانت مدعومة عن طريق تنقيح تشريعات مواد الدين , وأيضاً فيما يتعلق بأثواب التقديس والقديس . كان هدف إليزابيث انشاء كنيسة ذات شكل عبادة ثابت التي فيها الجميع ينتظر أن يشارك , وأيضاً نظام عقائدي يجب ان يكون قادراً على تقديم مجال ثيولوجي واسع لكي يستطيع الجميع أن ينضموا اليه⁽³⁴⁴⁾.

معظم السكان قبلوا فكرة إليزابيث بدرجات متفاوتة من الحماس أو الاستقالة , ولكن المقاومة البروتستانتية (ما يسمى المتشددون) وأولئك الذين ما زالوا يعترفون بسيادة البابوية عارضوا الفكرة , والشقوق في وحدة الواجهة الدينية في إنجلترا بدأت بالظهور . في القرن اللاحق خلال عهد جيمس الاول وشالز الاول , وفي الحرب الاهلية الانكليزية وفي محمية أوليفر كرومويل , صار هناك تحولات كبيرة ذهباً واياباً بين فصيلتين : المتشددون وآخرون متطرفون الذين أرادوا إصلاح واسع النطاق, وبسن الكهنة الاكثر محافظة الذين أرادوا ابقاء المعتقدات والممارسات التقليدية . ولعدة قرون قادمة , في عهد جيمس الاول وتشارلز الاول

³⁴³. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط. -القاهرة: دار المعارف، 1965.ص76

³⁴⁴. نور الدين حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوروبية. -بيروت: دار الفكر الحديث، 1968.

انتهاء بالحرب الاهلية الانكليزية وتولي اوليفر كرومويل الحكم , كان هناك تأرجح بالرأي بين فريقين: بعض المتعصبين دينياً الذين ناشدوا بأعادة تشكيل بعض المعتقدات الدينية, والفريق الآخر من الاشخاص المحافظين الذين فضلوا الحفاظ على التقاليد والعادات الدينية . إن عدم قبول السياسيين والاكليريين " الكنيسيين" بما ناشد به المعتصبون كان من احد الاسباب لنشوب الحرب (345).

حسب المقاييس العالمية , إن العنف لأسباب دينية لم يكن مرتفع لكن الاصابة شملت الملك تشارلز الاول ورئيس الاساقفة وليام لاود في كانتبري Canterbury . تحت محمية كومون ويلث انكلترا " " The Protectorate of the Commonwealth of England من 1649 الى 1660 , لم يعترف بالكنيسة الانجليكانية , ألحقت المشايخ الكنيسة بالنظام الاسقفي , وقد تم استبدال بنود القانون بأعتراف من الوزارة الغربية , وقد تم ابدال كتاب الصلوات الاعتيادي عن طريق قسم العبادة . بالرغم من ذلك ربع الكهنة الانكليز رفضوا الموافقة(346).

وبعد عودة الملك تشارلز الثاني , عادت الانجليكانية أيضاً الى عهد مشابه كثيراً لما كانت عليه أيام الحكم الإليزابثي , أن أحد الاختلافات هو أن فكرة شمل الانكليز كلهم لمنظمة دينية واحدة قد تم إلغاؤه . ان المواقع الدينية لأنكلترا وضعت على الشكل التالي : الكنيسة الانجليكانية في الوسط والكنيسة الكاثوليكية التي عارضت مؤسسي الانجليكانية وبسبب صعوبة دمج الاثنين اضطرت الى ان تكمل مسيرتها خارج الكنيسة الوطنية بدلاً من السيطرة عليها . لقد فشل العهد الإليزابثي في مصالحة جميع الاطراف في انكلترا وترك الناس الذين في الجزر الانكليزية . مع

³⁴⁵ . جلال يحيى، جاد طه، معالم التاريخ الأوربي الحديث: دراسة لتطور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في

القارة الأوروبية وعلاقتها مع العالم. -الإسكندرية: منشأة المعارف، 1974.

³⁴⁶ . ويل ديورانت، قصة الحضارة: ماجلان وكشف الأرض. -سمتاج بتاريخ 24 أبريل 2009 على الرابط:

<http://islamport.com/w/amm/Web/2482/10096.htm>(

ذلك ان الانجليكانية منتشرة الان في جميع انحاء العالم وان انتشارها كان مخالف لجميع التوقعات في القرنين (16) , (17) (347)

أوائل القرن السابع عشر بدأت عمليات التضييق على اتباع المذهب البروتستانتية. وخاصة في عهد القيصر فرديناند الثاني الذي حاول اجبار السكان على اتباع المذهب

347 . وعن نشأة الكنيسة الانجليكانية (كنيسة إنجلترا) كأصعب الطوائف البروتستانتية تشدداً وهي التي تكون منها التيار الصهيوني المسيحي بهدف الدعوة الى اليهودية (تهويد المسيحية) يقول القس مرقس البراموسى :

كان احد ملوك إنجلترا له ابنان واراد ان يعمل تحالف سياسي مع ملك اسبانيا الى إنجلترا فأرغم ابنه الكبير على الزواج بأبنة ملك اسبانيا الدميمة سيئة السمعة وتسمى كاترين لكن ابنه مات دون انجاب فأرغم ابنه الاصغر ويدعى هنري (الذي صار الملك هنري الثامن) على ان يتزوج ارملة اخيه لضمان استمرار الاتحاد وانجب هنري من كاترين ابناء لم يعيش منهم الا فتاة تدعى ماري . وبعد موت الملك الاب وتولى هنري المملكة , اراد ان يبطل زواجه بكاترين لأنه اعجب بوصيفتها التي تدعى أن بولين فذهب يطلب من بابا روما ان يبطل الزواج استناداً الى موقف يوحنا المعمدان من الملك هيرودس لكن البابا افهمه أن أخيه قد مات وهو لا يفعل شيء خطأ ورفض ابطال زواجه لان هذا معناه ان البابا السابق الذي زوجها قد أخطأ وهذا ضد مبدأ عصمة بابا روما من الخطأ . وقد أعتاظ الملك هنري فأستدعى مارتن لوثر واخبره برغبته في استقلال إنجلترا عن باباوية روما وان يكون الملك هو رئيس الكنيسة المستقلة فرحب لوثر بهذا واذن له فأستقل الملك عن تبعية بابا روما واسس كنيسة خاصة به مظهرها من الخارج الكاثوليكية وداخلها تنادى بالتعاليم البروتستانتية .

عين الملك الاساقفة الذين ارادهم وكانوا موافقين لأرائه ولما طلب منهم ابطال زواجه من كاترين وافقوا فسجن زوجته وابنتها في القصر في مكان خاص وتزوج بالوصيفة آن بولين وانجب منها ابنة اسمها إليزابيث . وقد اكتشف الملك ان زوجته الثانية تخونه فطلقها وتزوج بثالثة انجب منها ابن اسماء ادوارد وكتب الملك وصيته انه بعد موته يتولى العرش ابنه ادوارد ثم ابنته ماري ثم ابنته إليزابيث وشدد ان تكون إنجلترا انجليكانية وليست كاثوليكية . وقد تملك ادوارد بعد موت والده مدة 6 سنوات لكنه كان صغير السن مريض فمات سريعاً فتولت اخته ماري الحكم وكانت تدعى ماري الدموية اذ انها سعت للانتقام من الانجيليكان لما لحقها هو وامها من ذل واهانة وكانت مدة تملكها 5 سنوات وكانت من اصعب السنوات التي مرت على إنجلترا واهدت توقع اوامر قتل اتباع الانجيليكان في كل مكان واعادت محاكم التفتيش واعادت الكاثوليكية مرة اخرى .

لما ماتت تولت أختها إليزابيث الملك فأعادت الى إنجلترا الانجليكانية لكنها كانت شغوفة بالمظاهر والثياب البراقة والاحتفالات واجبرت الاساقفة على ارتداء ملابس رجال الدين الكاثوليك المزركشة فرفض كثيرين هذا وانفصلوا عن كنيسة إنجلترا واسموا أنفسهم (الطهوريين) وهاجروا الى ايرلندا ثم جينيف واستقبلهم هناك جون كلفن الذي كان اصعب من مارتن لوثر في تعصبه ضد الكاثوليك فقتلهم وعمل معهم ما كان أصعب من سابقه فهاجر الطهوريون المضطهدون الى أمريكا وهنا التقوا وتزوجوا مع المطرودين من فلسطين وكانت الفتنين تحت ضغوط نفسية صعبة فظهر منهم ما يسمى التيار الصهيوني المسيحي .

نقلاً عن : مرقس البراموسى , بعنوان " أنشقاق الكنيسة وظهور الطوائف " , دراسات صيف 2007 / المحاضرة الثانية , الاسكندرية: بطريركية الاقباط الارثوذكس 2007 .

الكاثوليكي في انتهاك واضح لمبدأ حرية الأديان المكفولة آنذاك . وهو الأمر الذي ساهم في اندلاع الانتفاضة البوهيمية في براغ . وكانت هذه الانتفاضة بمثابة شرارة بدء حرب الثلاثين عاما التي استمرت من عام 1618 وحتى عام 1648 . هذه الحرب التي بدأت كحرب دينية سرعان ما تحولت الى حرب اوروبية واسعة النطاق شاركت فيها كل من النمسا واسبانيا وفرنسا والسويد والدنمارك الى جانب الدويلات الالمانية المختلفة . وكانت الاراضي الالمانية المسرح الاساسي للمعارك الطاحنة خلال هذه الحرب التي دمرت مناطق واسعة وادت الى خسائر بشرية هائلة . وبنتيجه ذلك تراجع عدد السكان الى النصف مقارنة بفترة ما قبل الحرب كما يقول المؤرخون⁽³⁴⁸⁾ . وبعد مفاوضات طويلة انتهت هذه الحرب بإبرام ما يدعى صلح ويستفاليا (نسبة الى منطقة ويستفاليا الواقعة غرب المانيا) في عام 1624 . وبموجب هذا الصلح تم الاعتراف بالمساواة بين الطوائف الثلاثة الكاثوليكية واللوثرية والكالفانية . كما تم بموجبه ترسيخ تقسيم المملكة الالمانية الى قرابة ثلاثمائة دويلة وامارة كانت تحظى باستقلال كامل تقريباً . ما يعني الحد من صلاحيات القيصر الالمانى الى حد كبير⁽³⁴⁹⁾ . وقد استمر الوضع الذي تميز بأزدواجية السلطة بين الحكم المركزي ممثلاً في القيصر وبين الامراء الطامحين للاستقلال سنوات طويلة .

³⁴⁸ . جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث/ ترجمة علي المزروقي. -الطبعة الأولى- عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2006. (596 صفحة).

³⁴⁹ . مجموعة باحثين، أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، دراسة بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو). -القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970. (466 صفحة).

1648 – 1618

: -

- (1623 – 1618)

- (1629 – 1625)

(1635 – 1630)

- (1648 – 1635)

لقد نشبت حرب الثلاثين عاماً بسبب الفتنة الدينية في بيوهيميا , وقد كان من الممكن تحديد ميدانها ولكن اتيح لها ان تنتشر , مما ادى الى ان تدخل معظم الدول الاوروبية الصراع بدرجات متفاوتة , وعلى الرغم من ان الدنمارك والسويد وفرنسا وانجلترا وساقوى والاراضي المخفضة قد لعبت دوراً في هذه الحرب , فقد كانت ألمانيا بصفة خاصة هي المسرح الاصيل لهذه المأساة . كما ان أهل بوهيميا كانوا اوفر هذه الشعوب حظاً من الخسائر⁽³⁵⁰⁾ .

واذا اردنا ان نتصور الظروف التي اندلعت فيها هذه الحرب أو بمعنى اخر أن نتقصى اسباب هذه الحرب , نجد ان صلح أوجزبرج كان قد أنهى الحرب الدينية في ألمانيا في عام 1555 وقد حاول هذا الصلح التوفيق بين مطالب الكاثوليك والبروتستنت على السواء⁽³⁵¹⁾, ولكن هذه المحاولة اخفقت . وكان من اهم اسباب هذا الفشل ما جاء في صلح أوجزبرج بشأن المحافظة

³⁵⁰. كرييت، برنتون، منشأ الفكر الحديث/ ترجمة د. عبد الرحمن مراد. -دمشق: مطبعة مفيد الجديدة، د. ت.

Charles Sala, Michel-Ange: Sculpteur, peintre, architecte. -Pierre Terrail, 2001.³⁵¹

على ممتلكات الكنيسة الكاثوليكية في ألمانيا , حيث ان هذه الممتلكات سرعان ما صارت - بعد هذا الصلح - موضع اطماع البروتستنت المنتصرين .

كم ان اوجزبرج لم يعترف بالعقيدة الكالفنية أو بمبدأ التسامح الديني بصفة عامة , وظلت الكالفنية في ألمانيا لا تجد أي اساس قانوني يمكنها الارتكاز عليه , ومع ذلك فقد ساد السلام مدة طويلة في ألمانيا بالرغم من هذا القصور الواضح في صلح أوجزبرج , ولعل السبب في ذلك هو وجود نوع من التوازن في القوى بين تلك الجماعات أو القوى الثلاثة : الكاثوليك , وأتباع لوثر , واتباع كلفن , مما ادى الى ذلك الهدوء العجيب بينهم لأن الصدام المسلح قد يؤدي الى اوخ العواقب , الامر الذي منع هذه الجماعات من التطرف في تعصبها (352).

ومن ناحية اخرى , فقد بدا ان هذه الهدنة الطويلة بعد هذا الصلح كانت بصفة عامة في صالح البروتستنت , فقد استطاع اللوثيريون والكالفنيون العمل على نشر مذهبهم دون ان يلقوا معارضة عنيفة , حتى أصبحت ألمانيا الشمالية بروتستنتية, كما هذا المذهب الجديد الى الجنوب أي في النمسا وبافاريا(353).

أما الكاثوليك , فلم يكن من المتوقع أن يظلوا صامتين ازاء هذا الانتشار البروتستنتي في معاقلم السابقة , وخاصة بعد ان استمدوا قوة كبيرة من حركة الاصلاح الكاثوليكي , وكان الفضل الاكبر لهذه المواجهة الكاثوليكية للانتشار البروتستنتي راجعاً الى مجهودات الجزويت اليسوعيين . ففي عهد الامبراطور رودلف الثاني (1576 - 1612) استطاع الجزويت أن ينفذوا الى كثير من مظاهر النشاط في حذر ودون ضجة , فخدموا في الامارات المختلفة كأباء يقومون بسماع الاعتراف, أو كوزراء للأمرء وفي هذه الحالة كانوا هم الذين يوجهون سياسة

³⁵² . أشرف صالح، مقال بعنوان "القسطنطينية: عاصمة الإمبراطورية الرومانية وعاصمة الدول البيزنطية." -مجلة العرب (الالكتروانية- أسبوعية- شاملة): دراسات وبحوث. - متاح بتاريخ 2008/4/28 على الرابط:

<http://arabmag.blogspot.com/search/labu/Edu>

³⁵³ . أشرف صالح محمد سيد، مقال بعنوان "الأندلس المجد الزائل." -مجلة نسيمات. -العدد الثاني ابريل 1420هـ، 2000م.

هؤلاء الحكام , وأسس الجزويت المدارس , وبعثوا بالمنصرين الى اماكن مختلفة ونشطوا في تدعيم الكاثوليكية .

وفي بداية القرن السابع عشر , كان نجاح الجزويت كبيرا لدرجة أن البروتستنت اضطروا الى التآلف فيما بينهم الاتحاد البروتستنتي , فلم يلبث الكاثوليك أن واجهوا هذا الاتحاد البروتستنتي بتأسيس الحلف المقدس في عام 1609 . ومنذ ذلك التاريخ انقسمت ألمانيا الى معسكرين كبيرين , وكان الكاثوليك أقوى تنظيمًا برئاسة مكسيليان دوق بافاريا بينما ظل البروتستنت مترددين بسبب انقساماتهم القديمة بين لوثرين وكلفينيين , فلم يؤيدوا رئيس الاتحاد البروتستنتي تأييدًا كاملاً وهو فردريك الخامس ناخب البلاتين ومن اتباع كلفن .

وكان المحرك الأول للحرب يسوعيا من الجزويت تقلد تاجاً وهو فرديناند صاحب اسطيريا , والذي اصبح فيما بعد الامبراطور فرديناند الثاني , وكان فرديناند أول طالب يتلقى علومه في كلية يسوعية يصل الى العرش الامبراطوري , وكانت تعاليم الجزويت قد افعمته بالتعصب حتى سيطرت عليه عاطفة دينية متأججة قوامها المقت الشديد للبروتستنت والتصميم على اجتثاث جذورهم من ممتلكاته فأنزل بهم سلسلة من الاضطهادات في اسطيريا 1618 وواصلها في بوهيميا ثم تابعها في سائر انحاء املاكه النمساوية , ونجح في تحقيق هدفه وهو تصفية المارقين ووضع الحياة الدينية والفكرية في بلاده تحت حكم جماعة الجزويت الشديدة الوطأة , الا ان الثمن كان باهظاً وهو التدمير الشديد الذي اصاب المجتمع البوهيمي كله , ثم ما اعقب ذلك بطريقة غير مباشرة من اندلاع حرب الثلاثين عاماً (354) .

³⁵⁴ . ناجح العبيدي , " حرب الثلاثين عاماً واضعاف القيصرية " , ضمن تاريخ ألمانيا : من شارلمان الكبير الى صعود

بروسيا (الحلقة 1) , مؤسسة دويتشه فيله (DW) , متاح بتاريخ 10 يونيو 2007 , على الرابط :

(<http://www.dw-word.org/dw/article/0,,2375000,00.html>)

وقد مرت هذه الحرب الطويلة في أربعة ادوار : الدور البوهيمي البلاتيني (1618-1623) والدور الدنماركي (1625-1629) , والدور السويدي (1630-1635) وأخيرا الدور السويدي الفرنسي (1635- 1648) ⁽³⁵⁵⁾ .

1618 - 1623

في هذا الدور طلب الامبراطور فرديناند مؤازرة الحلف الكاثوليكي المقدس فأجابه الى رغبته مكسيميليان دوق بافاريا Maximilian رئيس هذا الحلف بالإضافة الى ان البروتستنت في بوهيميا لم يلبثوا ان اعلنوا انتخاب رئيس الاتحاد البروتستنتي فرديريك الخامس ناخب بلاتينه " الراين " ملكاً عليهم عام 1619 فأراد مكسيميليان أن يخلع عزيمة فرديريك عن هذا العرش .

وهكذا , اندلعت نيران هذه الحرب ولكن سرعان ما انهزم ملك بوهيميا في واقعة التل الابيض خارج براغ في نوفمبر 1620 أمام قوات الحلف الكاثوليكي وقوات الامبراطور فرديناند الثاني , واستولى الامبراطور على بوهيميا واخذ يعمل لعودة الكاثوليكية واستقرارها بها ⁽³⁵⁶⁾.

وكادت تنتهي الحرب إلا ان الإمبراطور لم يكتفِ بذلك , فإنه لم يلبث ان اعلن خلع فرديريك ثم جرده من املكه ومنحها لمكسيميليان دوق بافاريا واعطاء الحق في الاستيلاء على هذه الممتلكات , الا ان هذه الممتلكات كانت موزعة ومتناثرة في جنوب ألمانيا من حدود الراين الى

³⁵⁵ . الحرب البوهيمية (1618 - 1623) وفيها سحقت ثورة البروتستانت في بوهيميا واحتلت اسبانيا البلاتينايت, والحرب الدنماركية (1625-1629) وفيها هزم آل هابسبورغ القوات الدانمركية (البروتستانتية) , والحرب السويدي (1630-1635) وفيها غزا غوستاف الثاني ملك السويد (البروتستانت) المانيا وهزم جيوش آل هابسبورغ , والحرب الفرنسية (1635-1648) وفيها دخلت فرنسا الحرب ضد آل هابسبورغ وانتصرت عليهم . وقد انتهت حرب الاعوام الثلاثين بتوقيع صلح وستفاليا عام 1648 . راجع :

بوابة عامان , موسوعة الدول , متاح بتاريخ 23 مارس 2009 , على الرابط :

(<http://www.omanss.com/book/data/data6/7499.html>)

³⁵⁶ . شمس الدين الكيلاني، مقال بعنوان "تلمس ابن خلدون للنهضة الأوروبية".-موقع مرافئ: صفحة دراسات في المجتمع المدني.

المدني. -متاح بتاريخ ديسمبر 2002 على الرابط:

(<http://www.marafea.org/paper.php?source=akbar&mlf=copy&sid=17677>)

بوهيميا , وتعرف باسم البلاتينات , فصار من واجب مكسيميليان الاشتباك في عدة معارك قبل ان ينجح في الاستحواذ على هذه الممتلكات تنفيذاً لقرار الامبراطور (357) .

ثم أنه سرعان ما استجد عامل آخر , واخرج هذا النضال من هذا النطاق المحلي إلى مجال أوسع , وذلك ان البروتستنت في اوروبا افزعهم الانهزام الذي اصاب البروتستنتية في ألمانيا , كما ان تجريد فردريك الخامس من أملاكه جذب اليه عطف البروتستنت في اوروبا . وكان في مقدمة العاطفين عليه جيمس الاول ملك انجلترا وهو الذي كان زوج ابنته إليزابيث , ولكن جيمس الاول لم يرد التدخل في هذه الحرب خوفاً من اغصاب اسبانيا الكاثوليكية , وكان جيمس الاول يبني سياسته الخارجية على اساس وجود تفاهم بين انجلترا اكبر دولة بروتستنتية , واسبانيا اكبر دولة كاثوليكية , من اجل تحقيق السلام في اوروبا , وعلى ذلك أثر جيمس المفاوضات والوصول الى حل للمسألة بالطرق السلمية , الا ان آماله في التدخل الاسباني لفض المنازعات في ألمانيا لم تتحقق .

كما ان شارل عمانويل Charles Emanuel صاحب سافوى كان من الذين عطفوا على البروتستنت في ألمانيا , وقد قدم لهم الاموال التي استخدمت في تجنيد جيش من المرتزقة لمعاونة الاتحاد البروتستنتي , وفي عام 1625 استجاب الملك كرستان الرابع Christian IV ملك الدنمارك لنداء البروتستنت في ألمانيا وعندئذ بدأ الدور الثاني الدنماركي في حرب الثلاثين سنة (358)

(359) 1629 – 1625

1. Alexander Ganse , The Bohemian Lands in 30 Years War , part of Woeld History at KMLA, available in 12/11/2004 at (<http://www.zum.de/whkmia/region/germany/30Yearsczech.html>).
- 2 . The Columbia Encyclopedia , Sixth Edition – New York : Columbia Univerity Press , 2007 , avail – able in 03/04/2009 at : (<http://www.bartleby.com/65/th/ThirtyYe.html>).

³⁵⁹ . راجع : عبد العزيز نوار , محمود جمال الدين , التاريخ الاوروبي الحديث , ص 148 – 150 .
" Thirty Years War – Danish intervention " , available in 20 January 2009 at :

لم يستجب ذلك الملك اللوثري لنداء البروتستنت فقط لأهتمامه البالغ بالعقيدة البروتستنتية ، فقد كان يحدوه الى ذلك - بدرجة اعلى - شهوة جارفة للحصول على مغنم الكنيسة الكاثوليكية ، وكان من بين أهدافه الحصول لأبنائه على حصة محترمة من ايرادات بعض الاسقفيات في شمال المانيا . ولم تكن الرغبة في املاك الكنيسة امراً مقصوراً على الدنمارك وانما شارك فيها على نطاق واسع الامراء البروتستنت في سكسونيا ، وهكذا مع بعض التشجيع من الملكية الانجليزية قام نوع من التحالف بين الطامعين ، كما تم حشد جيش ووضعت خطة للمعركة .

وبينما كان يدبر كل هذا في الشمال ، طرأ تغيير عام على التوجيه الحربي في بوهيميا والبلاتين لم تحرزها القوات الامبراطورية تحت قيادة فرديناند ، وانما احرزتها الفرق الالمانية تحت قيادة مكسيميليان صاحب بافاريا ، على ان اعتماد الامبراطور بهذه الصورة على جار يحميه وقد يصبح منافساً له كان امراً لا يطيقه الامبراطور ، وبذلك تطلعت سياسته الى جيش امبراطوري يخضع لقيادة الامبراطورية ، ونبعت من هذه السياسة شخصية غامضة وقوية هي شخصية البرت وينلاس فون والنشتين امير فريدلاندر الذي عرف غالباً بأسم والنشتين Wallenstein . وقد تقدم هذا الرجل الى الامبراطور وعرض عليه ان يقدم له جيشاً على نفقته الخاصة غير مشروط شيئاً سوى أن يحتفظ جيشه بالمغنم ، بينما يكون نصيب الامبراطور ما يغنم من المدفعية والذخائر .

وقد نجح والنشتين في جمع جيش كبير نتيجة الوعود التي اخذ يبذلها بشأن اعطاء الجنود المرتبات الكبيرة عدا الاسلاب والمغنم ، فألّفت حوله عدد كبير من الجنود المرتزقة والمغامرين والذين ضموا بينهم كذلك عدداً من البروتستنت ، وهؤلاء جميعاً لم يكن يعينهم انتصار الكاثوليكية أو انهزامها ، حيث لم تكن تربطهم غير الرغبة فقط في الحصول على المغنم في هذه الحرب⁽³⁶⁰⁾ .

(<http://www.experiencefestival.com/a/Thirty-Years-War/id/385103>) .

³⁶⁰ . محمود بيومي ، مقال بعنوان "المسلمون في الفيين" ، -متاح بتاريخ 25 مارس 2009 على الرابط:

أما والنشئين نفسه , فمن المعروف انه لم يكن يبغى مجرد خدمة الامبراطور فحسب, بل أنه كان هو الآخر لديه مشروعات للقضاء على حكم الامراء المحليين في ألمانيا , ثم إنشاء دولة إنشاء دولة ألمانية قوية على انقاض هذه الامارات على ان تكون هذه الدولة خاضعة للامبراطور , وبطبيعة الحال يستحوذ والنشئين على النفوذ الداخلي في الدولة الجديدة (361).

وقد بدأت الحرب في هذا الدور بأن انتصر تيلي Tilly على جيش الملك كريستيان الرابع في موقعة لوتر Lutter في أغسطس 1626 إلا ان انتصار والنشئين في واقعة كوزل Cozel كان له نتائجه الخطيرة , فقد اندفع والنشئين بعد هذا النصر الكبير الذي داخل الاراضي الدنماركية ولم يمنعه من فتح الدنمارك ذاتها سوى عدم توفر اسطول لديه (362).

ولم تكن والنشئين في هذا النضال دينية بقدر ما كانت سياسية فقد بذل والنشئين جهده من اجل احياء سلطة الامبراطورية وتدعيم سيطرتها , على انقاض السلطات المحلية في الامارات , الامر الذي أثار كراهية النبلاء الكاثوليك والبروتستنت على السواء وتسبب في عدائهم لوالنشئين , على ان والنشئين لم يلبث ان تزايدت مطامعه, فأسس لنفسه امارة في ساجان Sagan ثم حصل من الامبراطور فرديناند الثاني على دوقية مكلزج . وقد نقم الامراء على والنشئين لذلك , لأنهم وجدوا أن هذا المغامر قد وصل الى مرتبة مساوية لمرتبتهم , هذا بالاضافة الى أنهم وجدوه قد أصبح صاحب الامر والنهي ويتصرف كما يشاء في الاراضي الألمانية (363).

www.al-mahmoud.net/prol/art/wrd/27145/

³⁶¹ . عماد البحراني، دراسة بعنوان "فتح القسطنطينية في عهد السلطان محمد الفاتح 1453". -دورية كان التاريخية. -العدد

www.historicalkan.co.nr/ (مارس 2009).

³⁶² مشروع "لا أصل لمن ليس له تاريخ": نتائج الكشوف الجغرافية. -متاح بتاريخ 30 أبريل 2009 على الرابط:

<http://www.history11.jeeran.com/>

³⁶³ . ناجح العبيدي، "حرب الثلاثين عاماً وإضعاف القيصرية، ضمن تاريخ ألمانيا: من شارلمان الكبير إلى صعود بروسيا

(الحلقة 1). -مؤسسة دويتشه فيله (DW). متاح بتاريخ 10 يونيو 2007 على الرابط: <http://www.dw->

world.org/dw/article/0,,2375000,99.html

ولقد كان من أهداف والنشئين كذلك وضع قوة بحرية ألمانية في البحار الشمالية كي يتمكن من إخضاع الممالك الاسكندنافية , ولذلك فقد اخذ يعمل لفرض سيطرته على ساحل البلطيق الجنوبي , فأحتل ويسمار ثم قام بمحاصرة سترالسند Stralsund إلا ان اهلها دافعوا عنها دفاعاً بطولياً , ثم تقدم لمساعدتهم ملك السويد جوستاف أدولف⁽³⁶⁴⁾, وكان هذا الملك يخشى من انتصارات والنشئين , ومن أن يتوطد سلطان الامبراطورية في بحر البلطيق , فأرسل اسطولاً صغيراً لمساعدة سترالسند , ومن ناحية اخرى لم يشأ الحلف الكاثوليكي أن يبعث بقائد جيوشه (تلى) لمساعدة والنشئين خوفاً من سطوة هذا الاخير , فكان اعضاء الحلف الكاثوليكي بموقفهم هذا قد آثروا أن تتعرض الكاثوليكية ذاتها للخطر , على ان تتعرض سلطتهم واماراتهم للضياع⁽³⁶⁵⁾ .

ولم تلبث ان تزايدت صعوبات والنشئين عندما وجد ان السويد والدنمارك قد نبذتا الخلاف القائم بينهما واتفقا على مواجهة والنشئين , وبدا ان هناك اجماعاً من إنجلترا وفرنسا وهولندا على معاونة الدنمارك , وعلى هذا طالب والنشئين بالصلح مع الدنمارك , وتم عقد الصلح بالفعل بين الطرفين في لوبك Lubeck عام 1629 على اساس أن تسترد الدنمارك الاراضي التي اخذت منها في نظير ان تتعهد بعدم التدخل مرة اخرى في شؤون ألمانيا .

على أنه في غضون ذلك الوقت , كانت الانتصارات الكاثوليكية قد بلغت ذروتها في ألمانيا , فقد أخرج صلح لوبك الدنمارك من النضال , ولم يبق في ألمانيا جيش قادر على مقاومة الامبراطور , وعلى ذلك بات متوقفاً ان يستغل الامبراطور هذا النجاح لقمع البروتستنتية في ألمانيا , وبالفعل صدر مرسوم في مارس 1629 لأسترجاع املاك الكنيسة , وبمقتضى هذا

³⁶⁴ . زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث، القاهرة. -دار الفكر العربي، 1998.

سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية. -الطبعة الأولى. -الرياض: مكتبة أضواء السلف، 1997

³⁶⁵ . عبد العزيز محمد الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة. -الطبعة الرابعة. -القاهرة: مكتبة الأنجلو، 1982. (الجزء الأول).

المرسوم كان على البروتستنت ان يعيدوا للكنيسة الكاثوليكية الاراضي التي كانوا قد استولوا عليها من معاهدة بساو Passau في عام 1552 واصلح اوجزيرج في عام 1555 وعلى هذا تجمعت قوى البروتستنت لمواجهة تلك الاخطار المحدقة بها⁽³⁶⁶⁾.

وكان مما بعث الامل في احياء قوة البروتستنت في هذه الظروف التي ظهر فيها كأنما قد تم القضاء تماماً على البروتستنتية في ألمانيا , أن الإمبراطور اتخذ قراراً بالاستغناء عن والنشتين وطرده من خدمته , وقد اضطر الامبراطور الى اصدار هذا القرار لأن جيش والنشتين أخذ يعيث في البلاد فساداً شديداً , ثم أن والنشتين كان قد أثار عداء النبلاء الكاثوليك بسبب مشروعاته في اعادة السيطرة الامبراطورية , وفي هذا ما فيه من انتقاص لسلطاتهم ومكانتهم . وهكذا طلب الحلف الكاثوليكي برئاسة مكسيمليان دوق بافاريا في يوليو 1630 عزل والنشتين من قيادة الجيش , ولقد اضطر الامبراطور في اخر الامر الى اجابة الحلف الى طلبه خوفاً من خروج هذا الحلف عليه⁽³⁶⁷⁾ .

وبذلك تخلى والنشتين عن قيادة الجيش وحل محله (تلى) , وهكذا نجد انه في الوقت الذي ظهر فيه كان الامبراطور قد تحرر نهائياً من سلطان الحلف الكاثوليكي, وقطع شوطاً كبيراً في سبيل توحيد سيطرته وتركيزها في ألمانيا , استعداد الحلف الكاثوليكي مكانته السابقة وفقد الامبراطور الأداة التي تجعل سيطرته ممكنة .

(368) 1635 – 1630

³⁶⁶ . هيد العزيز سليمان نوار، عبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية. -دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 2004، ص38.

³⁶⁷ . بيير رنوفان، تاريخ العلاقات الدولية: القرن التاسع عشر (1815-1914)/ ترجمة جلال يحيى- القاهرة: دار المعارف،

1978، ص33

³⁶⁸ . جاد طه ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص 187- 190 .

وفي غضون ذلك الوقت حدث تغير اخر في قصة هذه المأساة أو تلك الحرب الطويلة , اذ تدخل ملك السويد تدخلاً فعلياً في هذه الاحداث , وبذلك بدأ الدور الثالث من هذه الحرب أو ما يعرف بالدور السويدي⁽³⁶⁹⁾.

ففي الوقت الذي ارغم فيه والنشتين على التنحي عن القيادة نزل في ألمانيا جيش السويد بقيادة جوستاف أدولف , وكان هدف ملك السويد الفعلي من هذه الحرب هو جعل بحر البلطيق بحيرة سويدية , وعلى ذلك فقد أنزعج الملك السويدي من تدعيم نفوذ الامبراطور فرديناند الثاني في المانيا الشمالية , ورأى انه من الضروري القضاء على بيت الهابسبورج في المانيا من اجل المحافظة على كيان وصيانة مصالح السويد الحيوية التجارية والسياسية في بحر البلطيق والارض الشمالية الالمانية , ويجب ان لا ننسى في هذا المضمار أن ملك السويد كان بروتستينياً صميماً ويؤلمه ان يرى تلك السيطرة الكاثوليكية على ألمانيا كلها بفعل انتصارات القوات الكاثوليكية.

وهكذا نزل جوستاف بجيشه (حوالي 15000 مقاتل) الى الاراضي الالمانية وطلب من الامراء البروتستانت الانضمام اليه في مواجهته للكاثوليك الا ان هؤلاء الامراء البروتستانت اظهروا عدم ارتياحهم لتسليم بلادهم الى ملك اجنبي , الا انه في غضون ذلك الوقت لم يلبث ان وقعت بعض الاحداث التي جعلت الامراء البروتستانت يغيرون من موقفهم , فقد حدث ان تحالفت فرنسا - عملاً برأي وزيرها ريشليو - مع جوستاف أدولف , وان كانت فرنسا لم تقدم لحليفها سوى الاموال التي تستعين بها السويد على مواصلة القتال ضد الامبراطور⁽³⁷⁰⁾.

" Thirty Years War –Swedish intervention " , available in 20 January 2009 at :

(<http://www.experiencefestival.com/a/Thirty-Years-War/id/385103>) .

³⁶⁹ . هربرت ا.ل. فيشر، تاريخ أوروبا الحديث/ تعريب نجيب هاشم، وديع الضبع. -القاهرة: دار المعارف، 1956، ص44.

³⁷⁰ . أحمد ترك، الدولة العثمانية: تاريخ وإنجازات. - شبكة الدكتور رأفت عثمان. متاح بتاريخ 18 أبريل 2009 على

الرابط: (<http://www.rafosman.com/vb/t167434.html>)

كما ان جيش الحلف الكاثوليكي قام في غضون هذه الفترة بمهاجمة مدينة مجدبرج Megdeburg في عام 1631 وواقع (تلى) وجنوده بأهلها مذبحه عظيمة , وكانت هذه الكارثة كافية لأن يبادر الامراء البروتستنت بالانضمام الى ملك السويد . وهكذا تقدم جوستاف أدولف في سبتمبر 1631 لملاقاة قوات الحلف الكاثوليكي , وأمكن الملك السويدي أن يوقع بتلى وجيشه هزيمة ساحقة في براتينفلدا Breitenfeld بالقرب من ليبزج . وقد ترتب على ذلك نتائج هامة , فقد نجحت البروتستنتية , كما صارت ألمانيا بأسرها وفي وقت قصير تحت رحمة ملك السويد , وهكذا بدأ الكاثوليك يشربون من نفس الكأس التي سبق أن أذاقوها للبروتستنت⁽³⁷¹⁾ .

وقد غدا اسلوب جوستاف في الحرب نموذجاً يتدارسه طلاب المدارس العسكرية في كل انحاء اوروبا , فقد تقدمت القوات البروتستانتية نحو براغ شرقاً ونحو ماينز Mainz وورمز Worms غرباً ,⁽³⁷²⁾ ثم جاءت هزيمة (تلى) الاخيرة في ليك ي بافاريا , واصيب (تلى) نفسه بجروح قاتلة , وتوج جوستاف هذه المجهودات بدخوله ميونخ مقر الحلف الكاثوليكي , وصارت فيينا ذاتها وهي مقر الامبراطور مهددة , وقد اصبحت كل هذه الانتصارات عملاً جليلاً يبهر الابصار ولكن المظهر في الانتصارات السويدية كان يفوق الجوهر , اذا لم يكن من المتوقع ان يرضى الالمان عن جيش اجنبي لا يتقاضى اجور كافية , ولا يعيش الا على خيرات البلاد , فتواني بروتستنت ألمانيا في مساعدة السويديين واتهموا بأن الحصول على اراضي المانية كان احد اغراضهم الرئيسية .

G.R. Evans, Law and Theology in the Middle Ages., London: Taylor& Francis, 2001. (272³⁷¹ pages).

³⁷² . ميلاد القرخي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية. - الطبعة الثانية. - طرابلس: جامعة قاربونس، 1995ص26.

وعلى الرغم من آمال ريسيليو ، فإن الكاثوليك وقد أثارتهم عمليات السلب المنظم التي قام بها الجند السويديون لم يعتبروهم اصدقاء لهم وانما اعتبروهم اعداء ، وعلى ذلك هاجمت كل من السويد وبافاريا الاخرى بدلاً من الهجوم المشترك على قوات الامبراطور⁽³⁷³⁾ .

وقد خرج جوستاف من هذا الصراع منتصراً ، الا انه كان في انتظاره جيش امبراطوري أعاد تكوينه والنشئين واصبح قائداً له ، وكان في انتظاره ليحاسبه حساباً عسيراً ، كان هذا الجيش من القوة - خاصة بعد ان انضمت قوات مكسيمليان - بحيث استطاع ان يوقع أول هزيمة بجيوش جوستاف في نورمبرج Nuremberg ، الا ان جوستاف لم تهن عزيمته ، بل اوقع بولنشتين وجيشه هزيمة ساحقة في لutzen نوفمبر 1632 . غير ان خسارة البروتستنت كانت فادحة لأن قائدهم جوستاف لقي حتفه في المعركة ، وذكر انه عندما سأل أحد رجال الدين عن اسمه عندما كان ملقى على الارض مثخناً بجراحه القاتلة قال : " أنا ملك السويد الذي يوقع على عقيدة الشعب الالمانى وحرية بدمه "⁽³⁷⁴⁾.

واستمرت الحرب ، وقد فقدت بوفاة جوستاف البقية الباقية من مثلها العليا البروتستنتية ، ولم تكن السويد لتقبل الانسحاب من حرب أعطتها غنائم كثيرة في المدن الالمانية الغنية ومنحتها صوتاً مسموعاً في اوروبا ، واذا كان جوستاف قد اختفى من الميدان فقد كان هناك الوصي على العرش السويدي في فترة قصور ابنة الملك الراحل الطفلة كريستنا ، وكان هذا الوصي سياسياً حكماً شارك الملك جوستاف في مسؤوليات الحكم وحمل مدة طويلة أعباء الحكومة الداخلية .

³⁷³ . خليف مصطفى غرابية، "الرحلات الجغرافية في التراث العربي الإسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجريين". - دورية كان التاريخية. - العدد الثالث، مارس 2009. (www.historicalkan.co.nr)

³⁷⁴ . بكر بن محمد برناوي، مقال بعنوان "المفهوم المتحفي في العالم العربي". -مجلة الثقافة العربية: مجلة شهرية. -العدد (387) إبريل 2009م. "متاح بتاريخ 2009/4/25 على الرابط:

(<http://www.arabicmagazine.com/ArtDetails.aspx?id=468>)

وقد صمم ذلك الوصي اكنستيريا Oxenstierna على ان يحتفظ للسويد بالزعامة على المانيا البروتستنتية , وفي عهده حاولت السويد الانتصار في الحرب التي استمرت بعد وفاة جوستاف معتمدة على ضباط جوستاف وجيشه , الا ان الامبراطوريين استطاعوا هزيمة الجيش البروتستنتي في نوردلنجن Nordlingen سبتمبر 1634 وهكذا دارت الدائرة مرة اخرى على البروتستنت و أمكن للكاثوليك أن يؤمنوا مواقعهم في ألمانيا مرة أخرى , ولم يكن والنشتين هو قائد جيش الامبراطور عند انتصار نوردلنجن , بل كان يقوده فرديناند ابن الامبراطور . ويبدو أن وفاة جوستاف أدولف التي حرمت البروتستنت من قائدهم الممتاز كانت قد أزلت الباعث على على الاستتجاد اصلاً بوالنشتين , كذلك بدا ان والنشتين لديه مخططات واسعة للإستيلاء على السلطة , وعلى أية حال فقد اتهمه الامبراطور بالخيانة والتخلص منه بقتله في 25 فبراير 1634 وقبل موقعة نوردلنجن بستة أشهر .

على أن هزيمة نوردلنجن أوضحت ان السويد من غير قائدها العظيم لا تستطيع مواصلة النضال ضد الامبراطورية , وتلك حقيقة أقنعت ريشيليو وزير فرنسا بأن التدخل الفعال قد صار ضروريا في هذه الحرب الطويلة وهكذا بدأ الدور الرابع والاخير من ادوار حرب الثلاثين عاما .

- 1635 - 1648 (375)

الواقع أن , هذا الدور من من أدوار الحرب طور علماني تماماً فقد فقدت الحرب ذلك الطابع الديني الذي تميزت به أصلاً واختفى في غمرة النضال بين أسرتي البوربون والهابسبورج

³⁷⁵ عبد العزيز نوار , محمود جمال الدين , التاريخ الاوروبي الحديث , ص 154 - 158 .

جاد طه , تاريخ أوروبا الحديث , ص 191 - 195 .

" Thirty Years War –Swedish – French intervention " , available in 20 January 2009 at :

(<http://www.experiencefestival.com/a/Thirty-Years-War/id/385103>) .

للسيطرة على أوروبا⁽³⁷⁶⁾، والواقع أن روح الحرب الدينية كانت قد توارت تقريباً في نضال اتحدت فيه فرنسا الكاثوليكية والسويد البروتستنتية مع جمهورية هولندا البروتستنتية في معاهدة كومبين Compiene في 28 أبريل 1635 ضد ألمانيا اللوثرية والنمسا الكاثوليكية وأسبانيا الكاثوليكية، وأخذت سافوي تتبع صداقاتها تارة لهذه وتارة أخرى لتلك، وعندما أصبحت المسائل الخطيرة موضع النزاع لا تتعلق بالعقيدة أو الطقوس الدينية، وإنما تتعلق بإمكان السماح للسويد بالاحتفاظ بمورانيا وفرنسا باستبقاء الألزام فقدت الحرب الجانب الأكبر من دوافعها الحماسية للعقيدة ولكنها امتلأت بعمليات الزحف والتراجع والحصار والتسليم والحرق عمداً والقتل، وكل ألوان النكبات التي كان في مقدور الفرق المتوحشة الجائعة أن أن تنزلها بشعب لا حول له ولا قوة⁽³⁷⁷⁾.

وبدخول فرنسا في هذه الحرب الطويلة لم تصبح هذه الحرب حرباً ألمانية، أما تقرير فرنسا التدخل تدخلاً مباشراً فكان مبعثه الغبة في خدمة مصالحها السياسية، ذلك إن إنهزام البروتستنت في موقعه نوردلنجن جعل هؤلاء يرتمون في أحضان فرنسا وإذا كان ريشلو قد امتنع في الدور السابق عن التدخل المباشر في الحرب، فالسبب في ذلك أن النفوذ الأكبر كان حين إذن من نصيب السويد وملكها جوستاف أدولف، أما الآن فقد نجم عن فشل السويد أن صار الطريق ممهداً لتغلب النفوذ الفرنسي إذا شاءت فرنسا الدخول في الحرب، وكان واضحاً أن فرنسا سوف تتمكن حين إذن من تحقيق مآربها السياسية بفضل هذا النفوذ المتفوق وذلك ما يتوقعه ويرديه وزيرها ميشيليو.

ثم من الأسباب التي حملت ريشيليو على التعجيل بالتدخل، أنه كان هناك أمل بعد هزيمة البروتستنت في نوردلنجن أن تنتهي الحرب في ألمانيا، وانتهاء الحرب على هذه الصورة

³⁷⁶ شمس الدين الكيلاني، مقال بعنوان "تلمس ابن خلدون للنهضة الأوروبية". -موقع مرفاعي: صفحة دراسات في المجتمع المدني. -متاح بتاريخ ديسمبر 2002 على الرابط:

<http://www.marafea.org/paper.php?source=akbar&mlf=copy&sid=17677>

³⁷⁷ علي النشمي، مقال بعنوان "أثر الإسراء والمعراج في النهضة الأوروبية". -جريدة الصباح: يومية- سياسية- عامة. - تصدر عن شبكة الإعلام العراقي. - متاح بتاريخ 20 أبريل 2009 على الرابط:

<http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=3174/>

معناه ضياع الفرصة على فرنسا لخدمة مصالحها , والسماح بتقوية سلطان الهابسبورج في ألمانيا وذلك ما كانت تخشاه وتأباه فرنسا .

أما فكيف كان هناك أمل في إمكان انتهاء الحرب بعد واقعة نوردلنجن في سبتمبر 1634 فتفسير ذلك أن بعد الامراء من البروتستنت وفي مقدمتهم جون جورج ناخب سكسونيا كانوا يخشون من تغلب فرنسا على السواء في ألمانيا بسبب هذه الحرب التي كانت تتحول سريعاً من حرب تهتم بمسألة المذهب والعقدية الى حرب أوروبية تهتم بالمسائل والمصالح السياسية⁽³⁷⁸⁾ .

لذلك كان من نتائج هزيمة نوردلنجن أن بادر جون جورج ناخب سكسونيا الى استئناف المفاوضات مع الامبراطور فرديناند الثاني⁽³⁷⁹⁾ وفي يونيو 1635 توصل الفريقان الى عقد صلح في براغ , وبمقتضى هذا الصلح أعيد النظر في مرسوم استرجاع املاك الكنيسة الذي كان قد صد في عام 1629 فتم الاتفاق في صلح براج على تحيد عام 1627 تاريخاً لأسترجاع أملاك الكنيسة التي أخذت بعد هذا العام وذلك بدلاً من سنة 1652 التي كانت قد تحددت تاريخاً لذلك في مرسوم الاسترجاع الذي صدر في مارس 1628 وبناءً على ذلك فإن الاراضي والاملاك التي تكون فعلاً سوم 12 نوفمبر 1627 في حوزة أصحابها سواء كان هؤلاء قد استولوا عليها قبل صلح أوجزبرج في 1555 أم بعد هذا الصلح , تبقى في حوزة أصحابها وتستمر في حوزتهم لمدة 50 عاماً أو أنها تعاد لأصحابها اذا كانت قد أخذت منهم تطبيقاً للمرسوم السابق أي للمرسوم الذي صدر في 6 مارس 1629 وعلى ان تبقى في حوزتهم لنفس المدة المنصوص عليها وفي بحر هذه المدة يجري اتفاق بشأن هذه الاراضي والاملاك بالطريق الودي , ومعنى ذلك أن صلح براج جعل تنفيذ مرسوم 1629 يتأجل فعلاً 50 سنة وفي ذلك ترضية للبروتستنت .

³⁷⁸ . مقال بعنوان "أوروبا لا تدين بتطورها للمسلمين"، شبكة الإعلام العربية، -متاح بتاريخ 26 أبريل 2008 على

الرابط: http://www.moheet.com/show_news.aspx

³⁷⁹ . القس حنا جرجس الخضري، المصلح مارتن لوثر حياته وتعاليمه: بحث تاريخي عقائدي لاهوتي. - دار الثقافة : القاهرة.

-متاح بتاريخ 11 مارس 2009 على الموقع العربي الأول والوحيد عن المصلح مارتن لوثر:

<http://www.lutherinarabic.org/>

وعلى اية حال , فقد اعترف غالبية الامراء بصلح براج لأنه كان في الواقع تسوية طبيعية وحكمية بقدر ما سمحت به الظروف حين ذلك , فقد حصل الموقعون البروتستنت على ضمان حريتهم وعلى استبقاء الاراضي والايادات التي كانوا قد أخذوا من الكنيسة الرومانية مدة 50 عاما⁽³⁸⁰⁾.

ومما يجب ملاحظته ان صلح براج لم يشمل الكلفنيين ومع ذلك فإن قبول قبول أكثر الامراء البروتستنت لهذا الصلح كان كافيا لأن يكفل عودة السلام الى المانيا 1630 لو ان المصالح الاجنبية لم تتدخل على يد فرنسا لتحريك الحرب ثانية , ولذلك فقد اصبحت حرب الثلاثين عاما في هذا الدور الاخير حربا سياسية بحتة أساسها النضال بين أسرة الهابسبورج والبربون للسيطرة على أوروبا⁽³⁸¹⁾ .

وكان هناك ميدانان للحرب أحدهما تشغله الحر من جانب فرنسا التي تقدمت بنشاط في داخل ألمانيا , والآخر تشغله الحرب من داخل السويد التي تقدمت من ناحية البلطيق الى قلب ألمانيا وبذل الامبراطور قسارى جهده لوقف هذا الزحف المزدوج , أما الشعب الالمانى نفسه فقد كان موقفه من هذا النضال موقف المتفرج لأنه كان قد أنهكه التعب وصار لا يرغب سوى في نهاية هذه الحرب بأية صورة من الصور ولمصلحة أي من الطرفين المتنازعين⁽³⁸²⁾.

وقد أنتصر الإمبراطوريون في عام 1636 وأجبروا السويديين على الانسحاب والارتداد الى السويد , كما دفعوا الفرنسيين أمامهم حتى صاروا يهددون باريس ذاتها. ولكن امد هذه الانتصارات كان قصير , فلم يلبث أن تمكن الفرنسيون من اجلاء اعدائهم عن بلادهم , واستطاع

³⁸⁰ . منصور الجمركي، دراسة بعنوان مقدمات في الفكر السياسي الأوربي". -مجلة ديوان العرب.- منشور بتاريخ 19 يونيو

2006 على الرابط: <http://www.diwanalarab.com/spip?article4823>

1 . " Thirty Years War –Swedish– French intervention " , available in 20 January 2009 at :

(<http://www.experiencefestival.com/a/Thirty-Years-War/id/385103>) .

³⁸² . أيمن أبو الروس، الكشوف الجغرافية: القصص المثيرة لاكتشاف القارات والأراضي المجهولة. -القاهرة: دار الطلائع،

السويديون بقيادة بانر Baner أن يحرزوا انتصاراً حاسماً في واقعة وتستوك Wittstock في أكتوبر 1636 ونتيجة لهذا الانتصار سقطت في قبضة السويد كل من براندبرج , (383) وبوميرانيا , وسكسونيا , وثورينجا , وجزء من فرنكونيا . وكان لوفاة الامبراطور فرديناند الثاني في بداية 1637 وتولي فرديناند الثالث - وكان أقل منه كفاءة - أثره في اضعاف موقف الإمبراطوريين .

واستمرت الحرب في صالح فرنسا والسويد فأستطاع الفرنسيون في الغرب الاستيلاء على الالزاس في 1639 وحاول البابا عدة مرات أن يعقد صلحاً ينهي هذه الحرب دون جدوى , أما السويديون فقد تقدموا عام 1641 حتى باتوا يهددون فينا ذاتها . وفي عام 1646 انضمت القوات الفرنسية الى القوات السويدية وفي معركة زوسمار شاوسن Zusmarshausen مايو 1648 أوقع القائدان السويدي والفرنسي بخصمها مكسيلميان البافاري هزيمة ساحقة .

1648 (384)

وبعد هذه الواقعة الاخيرة , اضطر الامبراطور الى قبول الصلح بعد ان تبين عجزه التام عن متابعة الحرب منفرداً وقد تم التوقيع على الصلح في مونستر وستفاليا في 24 اكتوبر 1638 وبعد هذا الصلح انتهت حرب الثلاثين عاماً .

ويعتبر صلح ويستفاليا فائقة الاهمية في تاريخ أوروبا الحديث لأنه ظل الاساس الذي تستند عليه الدول الأوروبية في علاقاتها الرسمية منذ وقت إبرامه 1648 الى قيام الثورة الفرنسية

³⁸³ . توفيق الطويل، الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية: دراسة مقارنة. -القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، 1990، ص44

³⁸⁴ . عبد العزيز نوار ، محمود جمال الين ، التاريخ الاوروبي الحديث ، ص155 - 157 .
جاد طه ، تاريخ اوربا الحديث ، ص195 - 197 .

" Thirty Years War –The Peace of Westphalia" , available in 20 January 2009 at :

(<http://www.experiencefestival.com/a/Thirty-Years-War/id/385103>) .

1789 . كذلك تبدو أهمية هذه الوثيقة التاريخية الهامة - الصلح - لأنه تناول مسائل متنوعة سواء كانت داخلية خاصة بألمانيا ام دولية خاصة بالدول المعنية الأخرى⁽³⁸⁵⁾ .

كانت اهم الموضوعات التي تناولها هذا الصلح هو وضع قاعدة جديدة للسلام بين البروتستنت والكاثوليك فقد اعتمد هذا الصلح المبادئ التي قررها صلح بساو عام 1952 و صلح أوجزبرج 1555 مع فارق هام هو ان صلح ويستفاليا اعترف رسميا بمذهب كلفن فشمل التسامح الديني أتباع كلفن كما شمل أتباع لوثر من قبل , والواقع ان هذا الصلح لم يمنح التسامح للأفراد بل ابقاه كما كان العهد سابقاً مقصوراً على الامراء⁽³⁸⁶⁾.

أما فيما يتعلق باسترجاع املاك الكنيسة الكاثوليكية , فقد اعتبر عام 1642 تاريخاً يجري على اساسه الفصل في الاملاك التي تبقى في حوزة كل من الكاثوليك والبروتستنت من اسقفيات واراضي الكنيسة فيبقى كل فريق منهما محتفظاً بما كان في يده في اول يناير 1642 وذلك بدلاً من 1552 وهو التاريخ الذي تحدد في مرسوم 1629 وبدلاً من عام 1627 وهو التاريخ الذي جاء في صلح براج في مايو 1635 وأهمية هذا القرار أنه أبقى في يد الكاثوليك جميع الاسقفيات الكاثوليكية في الجنوب , بينما ابقى في ايدي البروتستنت جميع الاسقفيات والاراضي في الجهات الشمالية⁽³⁸⁷⁾ .

أما الموضوع الهام الثاني الذي تناوله هذا الصلح هو موضوع اقتسام الغنائم بين المنتصرين فقد حصلت السويد على عدة اسقفيات في الشمال , ثم حصلت على الجزء الاكبر من بوميرانيا الغربية وبفضل هذه الاملاك الجديدة صارت للسويد رقابة فعالة على مصاب الانهار الألمانية

³⁸⁵ . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، -القاهرة، 1986، ص54.

³⁸⁶ . محمد مخزوم، مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي (عصر النهضة) . -الطبعة الأولى.- بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، 1983. ص360

³⁸⁷ . يسري عبد الرزاق الجوهري، الكشف الجغرافية: دراسة لتاريخ الكشف الجغرافية ولتطور التفكير الجغرافي. - القاهرة: دار المعارف، 1965، ص21

وهي الاودر Oder وإلب Elbe ووزر Wesser وبذلك احرزت السيطرة التي كان يريدتها جوستاف أدولف على بحر البلطيق . أما فرنسا فقد استولت على اراضي الالزاس النمساوية ومعها بريساك Breisack وبعض المناطق الأخرى الأقل أهمية التي ظلت في حوزة الأمراء الذين كانوا تابعين الإمبراطورية⁽³⁸⁸⁾.

أما الموضوع الهام الثالث الذي حواء هذا الصلح الفريد فكان يمس الأوضاع في ألمانيا ذاتها، فقد نال الأمراء الألمان في هذا الصلح تأكيدات بحقوقهم في السيادة فصار لهم الحق في عقد المحالفات فيما بينهم، أو مع الدول الأجنبية فأصبحت الإمارات من الناحية القانونية في حكم المستقلة الأمر الذي ترتب عليه أن صار تفكك أوصال ألمانيا كاملاً.⁽³⁸⁹⁾

وقد نال ناخب برندبرج تعويضاً عن بوميرانيا الغربية التي أخذتها السويد، فأعطى أسنقفيات مجدبرج وهالرشتاد Halherstad ومينون Minoen وكامين Camin ثم تدعمت حقوقه الوراثية على بوزميرانيا الشرقية وأعيدت له السيطرة على دوقيات كليف ورافنزبرج Ravenzberg وبذلك أصبح ناخب براندبرج أعظم الأمراء الألمان قاطبة ويولي الإمبراطور فقط في الأهمية، كما أن هذا التوسع الجديد أعطى براندبرج الفرصة لتنمو باطراد حتى تصل لمرتبة المملكة (مملكة بروسيا) ثم تستطيع منافسة النمسا والتغلب عليها، ثم يمكنها في النهاية إحياء ذلك الإتحاد الألماني الذي عمل صلح ويستفاليا للقضاء عليه وبعثه من جديد في ألمانيا.⁽³⁹⁰⁾

وقد احتفظ مكسيميليان دوق بافاريا البلاطينات العليا وبلقب الناخب في الإمبراطورية، وأما البلاطينات السفلى فقد أعيدت إلى شارل لويس ابن فردريك الخامس وأعطى أيضاً لقب ناخب في الإمبراطورية.

³⁸⁸ . نبيل عبد الحميد محاضرات في تاريخ إنجلترا الحديث والمعاصر، -دمياط: كلية آداب دمياط، (منشورة بالموسوعة الحرة:

ويكيبيديا <http://ar.wikipedia>

³⁸⁹ . هيرت ا.ل. فيشر، تاريخ أوربا الحديث/ تعريب نجيب هاشم، وديع الضبع. -القاهرة: دار المعارف، 1956

³⁹⁰ . خالد أبو بكر، مقال بعنوان "اكتشاف أمريكا.. مراحل ورجال وآثار". -إسلام أون لاين-. متاح بتاريخ 20 أبريل 2009

على الراجح <http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/03/article07.SHTML>

الواقع أن؛ ألمانيا خرجت من هذه الحروب مفككة الأوصال مضععة القوى، بل إن صلح وستفاليا أكد الكيان المستقل لثلاثمائة وخمسين ولاية (350) ألمانية لكل منها الحق في انتهاج سياسة خارجية خاصة. وعلاوة على ما سبق، فقد اعترف وستفاليا بانفصال سويسرا عن الإمبراطورية كذلك انهي هذا الصلح رسمياً الحروب الطويلة بين أسبانيا والأراضي المنخفضة الهولندية واعترف باستقلال هولندا نهائياً.⁽³⁹¹⁾

وتبدو أهمية هذا الصلح من الناحية الدينية في أنه يشكل بداية عهد جديد في تاريخ الحضارة الأوروبية، فقد أقر هذا الصلح بعد فترة الحرب الدينية الطويلة مبادئ من شأنها نجات البروتستنتية نهائياً من الأخطار التي أحاقت بها، ومع أن صلح وستفاليا⁽³⁹²⁾ لم ينح التسامح الديني للأفراد فقد اختفى الاضطهاد الديني منذ هذا الحين وصار من الأمور الشاذة. وفي المائة وخمسين سنة التالية تغلغل مبدأ التسامح الديني في المجتمعات الأوروبية لدرجة المبادئ التي اعترفت بها الإنسانية قاطبة.

الجدير بالذكر؛ أنه في النصف الثاني من القرن السابع عشر عاد التوازن بين الأسعار والأجور واختفت أكبر عوامل الاضطراب الاقتصادي والاجتماعي والديني، وخرجت الحكومات من هذه الاضطرابات وهي أقوى مما كانت عليه بفضل زيادة مواردها ثم زوال الانقسامات الداخلية. وهكذا كان في إمكان الدولة الاعتماد على نفسها دون مساعدة الكنيسة، بل وكان في إمكانها أن تبذل جهودها للحد من سيطرة الكنيسة في داخل حدودها، حقيقة بقي احترام العقيدة ذاتها لدرجة أن لويس الرابع عشر مثلاً استطاع أن يتدبر بولائه واحترامه للعقيدة فيضطهد الهوجونوت في

³⁹¹ . مقال بعنوان "معرض لإحياء ذكرى خروج العرب والمسلمين من غرناطة" . -صحيفة "الشرق الأوسط". العدد 11040، الأربعاء 23 صفر 1430 هـ 18 فبراير 2009.

³⁹² . عماد البحراني، دراسة بعنوان "فتح القسطنطينية في عهد السلطان محمد الفاتح 1453". -دورية كان التاريخية. -العدد

فرنسا. ولكن الدولة في هذا القرن كان في مقدورها انتهاج السياسة التي تريد السير عليها في علاقاتها مع الدول الأخرى مسترشدة في ذلك بمصالحها التجارية والسياسية الخالصة.⁽³⁹³⁾

وأخيراً؛ كان الأثر الرئيسي لحرب الثلاثين عاماً هو تدمير مناطق بأكملها تركت جرداء من نهب الجيوش، فقد انتشرت خلال الحرب المجاعات والأمراض وهلك العديد من سكان الولايات الألمانية، بينما أفقرت العديد من القوى المتورطة في الصراع. وانخفض عدد سكان ألمانيا بمقدار 30% في المتوسط، وفي أراضي براندنبورج بلغت الخسائر النصف، في حين أنه في بعض المناطق مات ما يقدر بثلاثي السكان، وانخفض عدد سكان ألمانيا من الذكور بمقدار النصف تقريباً، كما انخفض عدد سكان الأراضي التشيكية بمقدار الثلث.⁽³⁹⁴⁾

وقد دمر الجيش السويدي لوحده 2000 من القلاع و18000 قرية و1500 مدينة في ألمانيا أي ثلث عدد جميع المدن الألمانية، فقد ذكر ويل ديورانت في موسوعة "قصة الحضارة" تحت عنوان: إعادة تنظيم ألمانيا (1648-1715): "هبطت حرب الثلاثين بسكان ألمانيا من عشرين مليوناً إلى ثلاثة عشر ونصف مليوناً، وبعد عام أفاقت التربة التي روتها دماء البشر، ولكنها ظلت تنتظر مجيء الرجال وكان هناك وفرة في النساء وندرة في الرجال. وعالج الأمراء الظافرون هذه الأزمة البيولوجية بالعودة إلى تعدد الزوجات كما ورد في العهد القديم. ففي مؤتمر فرانكونيا المنعقد في فبراير 1650 بمدينة نورنبيرغ اتخذوا القرار الآتي: "لا يقبل في الأديار الرجال دون الستين... وعلى القساوسة ومساعدتهم (إذا لم يكونوا قد رسموا)، وكهنة المؤسسات الدينية، أن يتزوجوا... ويسمح لكل ذكر بأن يتزوج زوجتين، ويذكر كل رجل تذكيراً جدياً، وينبه مراراً من منبر الكنيسة، إلى التصرف على هذا النحو في هذه المسألة".⁽³⁹⁵⁾

³⁹³ زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث، القاهرة. - دار الفكر العربي، 1998، ص55

³⁹⁴ "Thirty Years War-Political consequences", available in 20 January 2009 at:
(http://www.experiencefestival.com/a/Thirty_Years_War/id/385103)

³⁹⁵ ويل ديورانت، قصة الحضارة، ص11107.

"Thirty Years War- Casualties and disease", available in 20 January 2009 at:
(http://www.experiencefestival.com/a/Thirty_Years_War/id/385103)

- Bohemian Revolt
- Battle of Pilsen (1618 November 21)
- Battle of Zlatá Hora (1619 June 10)
- Battle of Valtice (1619 August 5)
- Battle of White Mountain (1620)
- Battle of Wiesloch (1622 April 25)
- Battle of Wimpfen (1622 May 6)
- Battle of Höchst (1622 June 20)
- Battle of Fleurus (1622)
- Battle of Stadtlohn (1623)
 - Danish Intervention
 - Battle of Dessau Bridge (1626)
 - Battle of Lutter am Barenberge (1626)
 - Battle of Stralsund (1628)
 - Battle of Wolgast (1628)
 - Swedish Intervention
 - Battle of Frankfurt on the Oder (1631)
 - Battle of Magdeburg (1631)
 - Battle of Werben (1631)

- Battle of Breitenfeld (1631)
- Battle of Rain (1632)
- Battle of Furth (1632)
- Battle of Lutzen (1632)
- Battle of Oldendorf (1633)
- Battle of Nordlingen (1634)
 - Swedish– French Intervention
- Battle of Wittstock (1636)
- Battle of Rheifelden (1638)
- Battle of Breisach (1638)
- Battle of Chemnitz (1639)
- Battle of Breitenfeld (1642)
- Battle of Rocroi (1643)
- Battle of Tuttlingen (1643)
- Battle of Freiburg (1644)
- Battle of Juterbg (1644)
- Battle of Jankau (1645)
- Battle of Mergentheim (1645)

- Battle of Nördlingen (1645)
- Battle of Zusmarshausen (1648)
- Battle of Prague (1648)
- Battle of Lens (1648)

دلت الأطروحة على مجموعة من النتائج أهمها ما يلي :-

1- توقفت غزوات المسلمين البحرية بعد معاوية، وشغلت الدولة بحروب داخلية مدة كبيرة، ولما هدأت الأحوال بها لم يكن غزوها البحري نشيطاً، وكانت نهاية موسى بن نصير نهاية له وللإسلام وللدولة الإسلامية، ولكن البحريين من المسلمين في الشرق وفي إسبانيا ناوشوا جزر البحر الأبيض وشواطئ أوروبا، ولم تأت أعمالهم بفتوح ذات قيمة تاريخية ولكنهم لفتوا أنظار هذه البلاد إلى قوة العرب

2- صارت صقلية بعد فتحها إمارة أغلبية، يتولى أمرها وال من قبلهم، وكان الأغلبية في نزاع ومناوشات مستمرة مع الدولة الفاطمية التي نشأت بالمغرب، وتريد الزحف نحو الشرق، وكان هناك أقوى بين المذهبين السني والشيوعي، وكان ذلك ينعكس على جزيرة صقلية، وكان بين سكانها نزاع بين العرب والبربر من قبل.

3- وكان موقف المسلمين في صقلية كموقف المسلمين في إسبانيا، إذ ترقبوا ندة من الدول الإسلامية، وعلى الأخص بني زيري الذين خلفوا الفاطميين على غرب إفريقيا، ولكن لم يمد أحد لهم يد المساعدة، فاضطروا إلى التسليم والاستلام. أما بالنسبة لأثر الفتح الإسلامي لصقلية فقد دخل النورمانديون صقلية فأدهشهم ما نقلها المسلمون إليه من رقي وحضارة. لقد بذلوا جهداً في ترقيتها في كل جوانب الحياة.

4- كان النورمانديين على حظ من الذكاء، وقد عرفوا به من قبل، لهذا لم يفعلوا بآثار المسلمين ما فعل بها الأسبان. فهناك- وهذا بعد تنصير صقلية بزمن بطويل.

5- كانت الصورة التي قرّت في أذهانهم عنه مما يصعب محوه، ولكن حضارة صقلية ظلت في تقدم لمدة طويلة بعد، وظلت مظاهر الحياة العربية بادية عليها، ولو تقبل النورمانديون الإسلام واتخذوه ديناً لكان عهد هذا الازدهار الحضاري أطول زمناً وأبقى.

6- أن المسلمين دخلوا هذه الجزيرة وهم في أوج ازدهارهم ورقيم الحضاري، وكان المشاركة قد ترجموا من علوم الأمم الأخرى، ودرسوا وابتكروا شيئاً كثيراً، فكانت البلاد الأوروبية التي دخلها المسلمون تتلقى ثماراً ناضجة وعلوماً قد أتت أكلها في جوانب الفكر

والحضارة، ولم تكن صقلية منقطعة عن الشرق، كما لم تكن إسبانيا منقطعة، بل كانت رحلات الحج وطلب العلم ولقاء العلماء مما يغذي تيارات الثقافة بها، فطل النشاط الثقافي والحضاري بها مستمراً متجدداً.

7- فقد ورث النورمانديون هذه الحضارة فلم يسعهم إلا الخضوع لها والاقتراب منها، وبرز بين الحكام أنصار الثقافة العربية "روجر الأول" فاتح الجزيرة، وأبنة "روجر الثاني" وسماهما ابن خلدون في تاريخه باسم "روجار" والملك "فريدريك الثاني" ووليم الثاني.

8- ومهما يكن من أمر صقلية فإنها أسهمت بحظ وافر في نقل العلوم الشرقية إلى الغرب وكانت مركز ترجمة نشيطة، وبحكم موقعها وتاريخها كانت ملتقى أجناس ولغات، وسادت فيها اللغات الحية إذ ذاك الواسعة الانتشار، اليونانية واللاتينية والعربية.

" "

1- أحمد محمد الأصبحي، مقال بعنوان تأثير الثقافة العربية وإنجازاتها على الثقافات الأخرى، صحيفة 26 سبتمبر. - العدد 1167، الخميس 23 ديسمبر - كانون الأول 2004 (صحيفة يمنية، أسبوعية، سياسية، عامة)

2- أشرف صالح محمد سيد، مقال بعنوان "الأندلس المجد الزائل". -مجلة نسيمات. -العدد الثاني ابريل 1420هـ، 2000م. -القاهرة 2000.

3- رأفت عبد الحميد، "السمو البابوي بين النظرية والتطبيق". - بحث منشور في مجلة ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الثالث. - القاهرة 1985.

4- محمد حرب، الحملات الحربية في عهد سليمان القانوني. -مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. -ع55-56- المدينة المنورة (1982-1983).

5- مقال بعنوان "معرض لإحياء ذكرى خروج العرب والمسلمين من غرناطة". -
صحيفة "الشرق الأوسط". العدد 11040، الأربعاء 23 صفر 1430 هـ 18
فبراير 2009.

" "

1- أحمد ترك، الدولة العثمانية: تاريخ وإنجازات. - شبكة الدكتور رأفت عثمان. متاح
بتاريخ 18 أبريل 2009 على الرابط:

(<http://www.rafatosman.com/vb/t167434.html>)

2- أحمد تمام، مقال بعنوان أحمد باشا كوبريلي وإعادة أمجاد الدولة العثمانية". -إسلام أون
لاين - متاح بتاريخ 12 أبريل 2009 على الرابط:

(<http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/08/article15.shtml>)

3- الأستاذ زيو، النهضة الأوروبية. - متاح بتاريخ 10 مارس 2009 على الرابط:
(<http://www.madariss.fr/HG/1ere/zino/h2.htm#d>)

4- أشرف صالح، مقال بعنوان "القسطنطينية: عاصمة الإمبراطورية الرومانية وعاصمة
الدول البيزنطية". -مجلة العرب (الالكتروانية- أسبوعية- شاملة): دراسات وبحوث. -
متاح بتاريخ 2008/4/28 على الرابط:

(<http://arabmag.blogspot.com/search/labu/Edu>)

5- بكر بن محمد برناوي، مقال بعنوان "المفهوم المتحفي في العالم العربي". -مجلة الثقافة
العربية: مجلة شهرية. -العدد (387) إبريل 2009م. "متاح بتاريخ 2009/4/25 على
الرابط: (<http://www.arabicmagazine.com/ArtDetails.aspx?id=468>)

6- خالد أبو بكر، مقال بعنوان "اكتشاف أمريكا.. مراحل ورجال وآثار". إسلام أون لاين.-
متاح بتاريخ 20 أبريل 2009 على الرابط:

<http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/03/article07.SHTML>

7- خالد عبد العزيز الفرج، بحث بعنوان "تحول الفكر في أوروبا". -متاح بتاريخ 10 أبريل
2009 على الرابط: (www.cba.edu.kw/hasan/Europeldeology.doc)

8- خليف مصطفى غرابية، "الرحلات الجغرافية في التراث العربي الإسلامي في القرنين
الرابع والخامس الهجريين". -دورية كان التاريخية. -العدد الثالث، مارس 2009.
(www.historicalkan.co.nr)

9- سامي الشيخ محمد، مقال بعنوان "حركة الإصلاح البروتستانتي" لوتر، زونجلي، كالفن.
-دنيا الرأي: كتب ودراسات. -متاح بتاريخ 8 يناير 2006 على الرابط:
(<http://pulpit.alwatanvoice.com/content-35520.html>)

10- سعود الزيتون الخالدي، "المقاومة الخليجية ضد التنصير". -مجلة الواحة. -العدد
الثامن. -متاح بتاريخ 26 أبريل 2009 على الرابط:
(<http://195.173.191.171/issue8/is08sb13.htm>)

11- شمس الدين الكيلاني، مقال بعنوان "تلمس ابن خلدون للنهضة الأوروبية". -موقع
مرافئ: صفحة دراسات في المجتمع المدني. -متاح بتاريخ ديسمبر 2002 على الرابط:
(<http://www.marafea.org/paper.php?source=akbar&mlf=copy&sid=1>
([7677](http://www.marafea.org/paper.php?source=akbar&mlf=copy&sid=1))

12- الشيخ التيجاني ندوي، مقال بعنوان "الإسلام في ظل المستعمرات الفرنسية في
غرب أفريقيا"، مجلة الأمة، العدد (49) المجلد الخامس 1405 هجرية، متاح بمجلة
الفسطاط التاريخية بتاريخ 2008/12/30 على الرابط:

(http://www.fustat.com/C_hist/w_africa.shtml)

13- عبد الجليل شلبي، مقال بعنوان حضارة العرب في صقلية وأثرها في النهضة الأوروبية" منشور بمجلة الأمة، العدد 27، ربيع الأول 1403هـ، ومتاح بالفسطاط: المجلة التاريخية بتاريخ 8 يناير 2009 على الرابط:

(http://www.fustat.com/I_hist/sicily.shtml)

14- عبد الرحمن كيلاني، مقال بعنوان لمحة تاريخية عن الدولة العبيدية". -الفسطاط: المجلة التاريخية، متاح بتاريخ 8 يناير 2009 على الرابط

(http://www.fustat.com/I_hist/ubaidyah.shtml)

15- علي النشمي، مقال بعنوان "أثر الإسراء والمعراج في النهضة الأوروبية". -جريدة الصباح: يومية- سياسية- عامة. -تصدر عن شبكة الإعلام العراقي.- متاح بتاريخ 20 أبريل 2009 على الرابط:

(<http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&>

) [sid=3174](http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=3174)

16- عماد البحراني، دراسة بعنوان "فتح القسطنطينية في عهد السلطان محمد الفاتح 1453". -دورية كان التاريخية. -العدد الثالث، مارس 2009.

(www.historicalkan.co.nr)

17- غانم العبد الله، حركة الكشوف الجغرافية والاستعمار الأوروبي". مدونة هاتف من الصحراء (الكويت). -متاح بتاريخ 2008/2/29 على الرابط: (<http://gdm->

)85.maktoobblog.com

18- القس حنا جرجس الخضري، المصلح مارتن لوثر حياته وتعاليمه: بحث تاريخي عقائدي لاهوتي.- دار الثقافة : القاهرة. -متاح بتاريخ 11 مارس 2009 على الموقع العربي الأول والوحيد عن المصلح مارتن لوثر: (<http://www.lutherinarabic.org>)

19- مجدي إبراهيم محرم، مقال بعنوان "وفاء سلطان بين الضلال والإضلال". - جريدة شباب مصر. - منشور بتاريخ 17 أغسطس 2005 على الرابط: (<http://shbabmis.com/?xpage=view&EgyxpID=931>)

20- محمد خليفة، مقال بعنوان "أوروبا من الإمبراطورية البرتغالية إلى المجهول". - جريدة إيلاف (لندن) 0 بتاريخ 12 يونيو 2005 على الرابط: (<http://www.elaph.com/ElaphWeb/NewsPapers/2005/6/68679.htm>)

21- محمود بيومي، مقال بعنوان "المسلمون في الفبين"، -متاح بتاريخ 25 مارس 2009 على الرابط: (www.al-mahmoud.net/prol/art/wrd/27145)

22- محمود شاكر، مقال بعنوان "المنطلق الأساسي في التاريخ الإسلامي": خطبة طارق بن زياد، الفسطاط: المجلة التاريخية. متاح بتاريخ 8 يناير 2009 على الرابط: (http://www.fustat.com/l_hist/muntalaq.shtml)

23- محمود مسعود، مقال بعنوان "مارتن لوثر: المتهم البريء ولمصلح الجريء". - السويداء نت. -متاح بتاريخ 3 يناير 2009 على الرابط:

(<http://www.swaidanet.com/modules.php?name=News&file=article&sid=49>)

24- مشروع "لا أصل لمن ليس له تاريخ": نتائج الكشوف الجغرافية. -متاح بتاريخ 30 أبريل 2009 على الرابط:

(<http://www.history11.jeeran.com>)

25- المطران داود حداد، حركة الإصلاح الديني في ألمانيا: مارتن لوثر/ القسم الرابع/ الفصل الثامن.- متاح بتاريخ 10 مارس 2009 على الموقع العربي الأول والوحيد عن المصلح مارتن لوثر:

(<http://www.Intherinarabic.org>)

26- مقال بعنوان "الثورة الإنجليزية". -متاح بتاريخ 6 مايو 2009 على الرابط:

(<http://ghoroubnet.jeun.fr>)

27- مقال بعنوان "العثمانيون في وسط أوروبا". -إسلام أون لاين. نت/ ثقافة وفن. - متاح بتاريخ أول يناير 2000 على الرابط:

(<http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA>)

28- مقال بعنوان "أوروبا وحركة الكشوف الجغرافية". -المنتدى العلمي الثقافي. -متاح بتاريخ 11 مارس 2007 على الرابط:

(<http://www.3rbsc.com/vb/showthread.php?t=490>)

29- مقال بعنوان "أوروبا لا تدين بتطورها للمسلمين"، شبكة الإعلام العربية، -متاح بتاريخ 26 أبريل 2008 على الرابط:

(http://www.moheet.com/show_news.aspx)

30- مقال بعنوان "حركة الكشوف الجغرافية"، الشبكة الوطنية الويتية. -متاح بتاريخ 23 فبراير 2008 على الرابط:

(<http://www.nationalkuwait.com/vb/archive/index.php/t-21272>)

31- منصور الجمركي، دراسة بعنوان مقدمات في الفكر السياسي الأوربي". -مجلة ديوان العرب.- منشور بتاريخ 19 يونيو 2006 على الرابط:

(<http://www.diwanalarab.com/spip?article4823>)

32- ناجح العبيدي، "حرب الثلاثين عاماً وإضعاف القيصريّة، ضمن تاريخ ألمانيا: من شارلمان الكبير إلى صعود بروسيا (الحلقة 1). -مؤسسة دويتشه فيله (DW). متاح بتاريخ 10 يونيو 2007 على الرابط:

(<http://www.dw-world.org/dw/article/0,,2375000,99.html>)

33- بواقيم رزق مرقص، محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية: مارتن لوثر. -متاح بتاريخ 6 مارس 2009 على الرابط:

(<http://st-takla.org/Coptic-History/05-History-of-The-Western-Churches.html>)

- 1- أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحال المسلمون، جدة. - دار البيان العربي (بدون تاريخ)
- 2- أحمد علي الملا، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية. - الطبعة الثانية. - مشق: دار الفكر، 1981.
- 3- إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التريخ الإسلامي الحديث. - الطبعة الثانية، - الرياض: مكتبة العبيكان، 1998.
- 4- أيمن أبو الروس، الكشوف الجغرافية: القصص المثيرة لاكتشاف القارات والأراضي المجهولة. - القاهرة: دار الطلائع، 2003. (112 صفحة)
- 5- توفيق الطويل، الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية: دراسة مقارنة. - القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، 1990.
- 6- جاد طه، محاضرات في تاريخ أوروبا الحديث. - القاهرة: كلية الآداب - جامعة عين شمس، 1997. (غير منشورة، 403 صفحة)
- 7- حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس. - القاهرة: مكتبة مدبولي، 1986.
- 8- حنا جرجس الخضري، المصلح مارتن لوثر، حياته وتعاليمه. - القاهرة: دار الثقافة، (بدون تاريخ).
- 9- حنا جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي. - القاهرة: دار الثقافة، (بدون تاريخ).
- 10- حنا جرجس الخضري، جون كلفن: حياته وتعاليمه (1059-1564م). - القاهرة: دار الثقافة 1989. (265 صفحة).

- 11- رأفت عبد الحميد، الفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى، -الطبعة الأولى.- القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر 2001.
- 12- زاهر رياض، الاستعمار الأوروبي لأفريقيا في العصر الحديث، -القاهرة: مكتبة الجامعة، 1960.
- 13- زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث، القاهرة. -دار الفكر العربي، 1998.
- 14- سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية. -الطبعة الأولى. -الرياض: مكتبة أضواء السلف، 1997.
- 15- سيمون الحايك، والعرب شاركوا في لاكتشاف، أبو كريستوف كولومبوس. - جونييه: المطبعة البولسية، 1991، (308 صفحة).
- 16- شوقي عطا الجمل، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، - الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الأنجلو، 1980.
- 17- عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة (1815-1960). -القاهرة: دار النهضة العربية، 1974.
- 18- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، - القاهرة، 1986.
- 19- عبد العزيز محمد الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة. -الطبعة الرابعة. -القاهرة: مكتبة الأنجلو، 1982. (الجزء الأول).
- 20- عبد الفتاح حسن أو عليّة، تاريخ الأمريكتين. -الطبعة الثالثة، -الرياض: دار المريخ للنشر، 2007. (الفصل الأول: الكشوف الجغرافية الأوروبية في الأمريكتين).

- 21- عبد الفتاح حسن أبو عليّة، تاريخ أوروبا وأمريكا الحديث. -الرياض: دار المريخ، 1979.
- 22- عبد الفتاح مصطفى غنيمّة، المتاحف والمعارض والقصور: وسائل تعليمية. - المنوفية: كلية الآداب- جامعة المنوفية، 1990. (سلسلة المعرفة الحضارية، 2).
- 23- عبد الفتاح مصطفى غنيمّة، نحو فلسفة السياسة: النظم والنظريات والمذاهب السياسية: أصولها وتطورها التاريخي. -1989.
- 24- عزلمو يوسف بك أصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان: من أول نشأتهم حتى الآن/ تقديم محمد زينهم. -الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة مديولي، 1995.
- 25- علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط. -الطبعة الأولى- بيروت: دار البيارق، 1999.
- 26- فتحي علي يونس، أثر العرب والمسلمين في الحضارة الأوربية. -الطبعة الأولى. -القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1996. (الكتب الثقافية للراشدين، 27)
- 27- لبيب مشرقي، حديث مع جون كلفن. -القاهرة: دار نوبار، (بدون تاريخ)
- 28- لويس عوض، ثورة الفكر في عصر النهضة الأوربية. -الطبعة الأولى. - القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1987.
- 29- محمد عوض محمد، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية. -الطبعة الأولى. - القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، 1953.
- 30- محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية/ تحقيق إحسان حقي. -الطبعة الأولى. -بيروت: دار النفائس، 1981.

- 31- محمد مخزوم، مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي (عصر النهضة). -الطبعة الأولى.- بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، 1983. (360 صفحة).
- 32- محمود شاكر، الكشوف الجغرافية: دوافعها- حقيقتها. -المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، 1988. (68 صفحة).
- 33- مرقس البراموسى، محاضرة بعنوان "انشقاق الكنيسة وظهور الطوائف"، دراسات صيف 2007/ المحاضرة الثانية، الإسكندرية: بطريركية الأقباط الأرثوذكس 2007.
- 34- ميلاد القرحي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية. -الطبعة الثانية. -طرابلس: جامعة قاريونس، 1995.
- 35- نور الدين حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوروبية. -بيروت: دار الفكر الحديث، 1968.
- 36- يسري عبد الرزاق الجوهري، الكشوف الجغرافية: دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور التفكير الجغرافي. - القاهرة: دار المعارف، 1965.
- 37- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط. -القاهرة: دار المعارف، 1965.
- 38- عباس محمود العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوروبية. -الطبعة الثانية. - القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1998. (الأعمال الفكرية، مشروع مكتبة الأسرة).

1- أشرف صالح محمد سيد، قراءة في تاريخ وحضارة أوروبا العصور الوسطى. -الطبعة الإلكترونية الأولى. -بيروت: شركة الكتاب الإلكترونية العربي، 2008. (سلسلة المؤرخ الصغير، 4).

عبارة عن كتاب جيب يتضمن أحداث المعلومات الموثقة عن ألمانيا، كتاب وكاتبات معروفون يتحدثون في عشرة أجزاء، عن مختلف نواحي الحياة المعاصرة في ألمانيا، من الاقتصاد إلى الثقافة بالإضافة إلى أرقام وحقائق، مع رسوم بيانية ممتعة لتطوراتها الزمنية.

2- كتاب حقائق عن ألمانيا: عشرة أجزاء. -متاح بتاريخ 2009/4/16 على الرابط:

<http://www.tatsachen-ueber-deutschland.de/ar/home1.html>

3- نبيل عبد الحميد محاضرات في تاريخ إنجلترا الحديث والمعاصر، -دمياط: كلية آداب دمياط، (منشورة بالموسوعة الحرة: ويكيبيديا <http://ar.wikipedia>)

4- ويل ديورانت، قصة الحضارة: ماجلان وكشف الأرض. -متاح بتاريخ 24 أبريل 2009 على الرابط:

<http://islamport.com/w/amm/Web/2482/10096.htm>

" "

1- أحمد عبد الرحيم مصطفى، محمد أحمد حسونة، أصول العالم الحديث. - القاهرة: مطبعة جريدة الصباح، 1958.

2- أحمد يوسف، محمد زبارة، مقدمة في العلاقات الدولية. -القاهرة: مكتبة الأنجلوا المصرية، 1989.

3- إسماعيل ياغي، عبد الفتاح أبو عليه، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر. -الرياض: دار المريخ للنشر، 1984.

- 4- جلال يحيى، جاد طه، معالم التاريخ الأوربي الحديث: دراسة لتطور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في القارة الأوربية وعلاقتها مع العالم. - الإسكندرية: منشأة المعارف، 1974.
- 5- شوقي أبو خليل، هاني المبارك، دور الحضارة العربية الإسلامي في النهضة الأوربية. - الطبعة الأولى. - دمشق: دار الفكر، 1996.
- 6- شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة. القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2000.
- 7- عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا. - القاهرة: دار النهضة العربية، 1974.
- 8- هبد العزيز سليمان نوار، عبد المجيد ننعني، التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية. - دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 2004.
- 9- عبد العزيز سليمان نوار، محمود جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى. - القاهرة: دار الفكر العربي، 1999.
- 10- عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى. - القاهرة: دار الفكر العربي، 1999.
- 11- مجموعة باحثين، أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية، دراسة بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو). - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970. (466 صفحة).
- 12- محمد أنيس، محمد فوزي شكري، أوروبا في العصور الحديثة. - الطبعة الأولى. - القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1957. (الجزء الأول).

- 1- أن جرانت، هارولد تمبرلي، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين (1789-1950)/
ترجمة بهاء فهمي، أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة، 1985.
- 2- بيير رنوفان، تاريخ العلاقات الدولية: أزمت القرن العشرين (1914-1945)/ تعريب
جلال يحيى. -القاهرة: دار المعارف، 1980.
- 3- بيير رنوفان، تاريخ العلاقات الدولية: القرن التاسع عشر (1815-1914)/ ترجمة
جلال يحيى - القاهرة: دار المعارف، 1978.
- 4- ج.ج. كولستون، عالم العصور الوسطى، ترجمة جوزيف نسيم. -الإسكندرية: مؤسسة
شباب الجامعة، 1983.
- 5- جفري برون، تاريخ أوربا الحديث/ ترجمة علي المزروقي. -الطبعة الأولى - عمان:
الأهلية للنشر والتوزيع، 2006. (596 صفحة).
- 6- جورج هارب، الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي/ تعريب عبد العزي طريح. -
الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، 1993.
- 7- جون هامرتن، تاريخ العالم/ ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف. -القاهرة، (بدون
تاريخ).
- 8- جيمس وستفال تومسون، وآخرون، حضارة عصر النهضة، ترجمة عبد الرحمن زكي.
-القاهرة: دار النهضة العربية: 1961.
- 9- دانتي أليجييري، الكوميديا الإلهية/ ترجمة وتقديم حسن عثمان، الطبعة الأولى، القاهرة:
الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001. (مكتبة الأسرة - أمهات الكتب).
- 10- روبرت المر، تاريخ العالم الحديث/ الجزء الأول: ترجمة محمود أمين؛ الجزء
الثاني: ترجمة حسن علي ذنون. -بغداد: مكتبة دار المنتبي، 1964.

- 11- رولان موسنييه، تاريخ الحضارات العام/ تعريب يوسف أسعد داغر وفريد م.داغر. -الطبعة الأولى. -بيروت: منشورات عويدات، 1969. (الجزء الرابع: القرنان السادس عشر والسابع عشر: التحول الفكري العظيم الذي طرأ على البشرية طلوع الحركة العلمية الحديثة سيطرة أوروبا).
- 12- شارل أدري جوليان، تاريخ أفريقيا/ ترجمة طلعت عوضي أباطة، مراجعة عبد المنعم ماجد، القاهرة: دار النهضة مصر، 1968.
- 13- شارل اندري جوليان، تاريخ أفريقيا/ ترجمة طلعت عوضي أباطة عبد المنعم ماجد القاهرة: دار نهضة مصر، 1968. (168 صفحة).
- 14- غوستاف لوبون، روح الثورات والثورة الفرنسية/ ترجمة محمد عادل زعيتر. - القاهرة: المطبعة العصرية، 1934. (183 صفحة)
- 15- ك. م. بنيكار، آسيا والسيطرة الغربية/ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. - القاهرة: دار المعارف، 1962.
- 16- كريت، برنتون، منشأ الفكر الحديث/ ترجمة د. عبد الرحمن مراد. -دمشق: مطبعة مفيد الجديدة، د. ت.
- 17- محمود كامل الناقه، دور الفكر العربي في النهضة العلمية الحديثة/ ترجمة شكري عباس حلمي. -القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1996. (الكتب الثقافية للراشدين، 9)
- 18- ميرل دوبينيا، تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر/ ترجمة الشيخ إبراهيم الحوراني. -الطبعة الثانية. -بيروت: منشورات مكتبة المشعل بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط، 1878.

- 19- هـ.ج. ويلز، موجز تاريخ العالم/ تعريب عبد العزيز توفيق جاويد. -القاهرة: مطبعة السعادة، (بدون تاريخ).
- 20- هاري إيبيرتس، مصلح في المنفى جوف كلفن: موجز عن حياته ومبادئه/ ترجمة وليم وهبة بباوي.
- 21- هاينكه زودهوف، معذرة كولومبوس: لست أول من اكتشف أمريكا/ تعريب حسين عمران. -الطبعة الأولى. - الرياض: مكتبة العبيكان، 2001. (312صفحة)
- 22- هربرت ا.ل. فيشر، أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية ألى الثورة الفرنسية/ ترجمه زينب راشد، أحمد عبد الرحيم مصطفى. -القاهرة: دار المعارف، 1965.
- 23- هربرت ا.ل. فيشر، تاريخ أوربا الحديث/ تعريب نجيب هاشم، وديع الضبع. - القاهرة: دار المعارف، 1956.
- 24- يوميات رحلة فاسكو داجاما وتقرير رحلة دوز سانتوس/ ترجمة ودراسة عبد الرحمن عبد الله الشيخ. -الطبعة الأولى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995. (115 صفحة)، (الألف كتاب الثاني، 170).

1. شوقي ضيف، محاضرات بعنوان "تأثير الثقافة العربية في الثقافة الغربية الحديثة، مؤتمر مجمع اللغة العربية: الدورة الثامنة والستين. -القاهرة، مارس 2002.

أُلثبت هذه المحاضرة في الجلسة الثانية لمؤتمر اللغة العربية في دورته الثامنة والستين مساء يوم الاثنين 11 محرم سنة 1423هـ، الموافق 25 من مارس (آذار) سنة 2002م.

2- عبد العزيز بن عثمان التويجري، بحث بعنوان "أثر الثقافة العربية في النهضة الأوربية". - ندوة الثقافة العربية والثقافات الأخرى. -الرياض، مارس 1998.

ندوة الثقافة في إطار المهرجان الوطني للتراث والثقافة في السعودية الفترة ما بين 4-19 مارس 1998م.

المصادر

" "

- 1–Althaus Paul, *The Ethics of Marthin Luther/* Translated by Robert C. Schultz,–Philadelphia: Fortress Press, 1972.
- 2–Bernard Guillemain, *Les papes d'Avignon (1309–1376)*. –du Cerf, Paris, 2000.
- 3–CAROCCIOLI and BROMATO, VON RANKE, *Hist.of the Popes in the XVIXVIII Centuries*, REUMONT, *Gesch. Der Stadt Rom*, ARTAUD DE MONTOR, New York, 1867.
- 4–CHARLES AUGUSTUS BRIGGS, *History of the Study of Theology*. NEW YORK: CHARLES SCRIBNER'S SONS, 1916.(2 volume).
- 5–Charles de Tolnay, *Michel–Ange*, Flammarion, 1970.
- 6–Charles Sala, *Michel–Ange: Sculpteur, peintre, architecte*. –Pierre Terrail, 2001.
- 7–Clifford J.Rogers, *Readings on the Military Transformation of Early Modern Europe*. –San Francisco: Westview Press, 1995.

- 8–Daniel Arasse, Leonardo da Vinci. –Konecky & Konecky, 1997.
- 9–Frances Wood, Did Marco Polo Go to China? .–Westview Press 1995.
- 10– G.R. Evans, Law and Theology in the Middle Ages., London: Taylor& Francis, 2001. (272 pages).
- 11– Gerhard Ebeling, Luther: An Introduction His Thought/ Translated by R. A. Wilson, –Philadelphia: Fortress Press, 1970.
- 12– Glenn J. Ames, The Globe Encompassed: The Age of European Discovery (1500–1700), .University of Toledo: Prentice Hall Copyright, 2008.
- 13– Justo L. Gonzalez, The History of Christianity, Volume I: "The Early Church to the Dawn of the Reformation" . –San Francisco: Harper, 1984.
- 14– Henry H.Hart, Marco Polo: Venetian Adventurer, –University of Oklahoma Press, 1983.
- 15– Henry H. Hart, Marco Polo: Venetian Adventurer, –University of Oklahoma Press, 1967
- 16– J.P. Oliveira Martins, The golden age of Prince Henry the Navigator.– London: Chapman and Hall. 1914.
- 17– Jack Wasserman, Leonardo da Vinci, –Abrams, 1975.

- 18– Jesse Couenhoven, Grace as Pardon AND Power: Pictures of the Christian Life in Luther, Calvin, and Barth, –The Journal of Religious Religious Ethics, Vol. 28, No. 1, –Blackwell Publishing: (Spring, 2000).
- 19– John Calvin, Institutes Of The Christian Religion/ Translated by Genry Bevrige, WM.B. Eerdmans, –Michigan: Publishing Company, Grand Rapids, 1995.
- 20– John Dillenberger, Martin Luther: Selections from His Writings, –New York: Doubleday, 1951.
- 21– John Lerner, Marco Polo and the DISCOVERY OF The Discovery of the World, –Yale University Press, 1999.
- 22– R.J. Knecht, Renaissance Warrior and Patron: The Reign of Francis I. Cambridge: Cambridge University Press, 1994.
- 23– Laurence Bergreen, Marco Polo, Alfred A. Knopf,– New York, 2007.
- 24– Liana Bortolon, The Life and Times of Leonardo,– London: Paul Hamlyn, 1967.
- 25– Linda Murray, Michel–Ange, –London: Thames & Hudson, 2003.
- 26– Mackinnon Vide, Luther & The Reformation, –London: Longmans, Green Co. 1929. (Vol. III)

- 27– Marco Polo , Travels in the Land of Kubilai Khan. –Penguin Books, 2005.
- 28– Myron P.gutmann, "The Origins of the Thirty Years, War", – Journal of Interdisciplinary History, Vol. 18, No. 4. (Spring, 1988).
- 29– Paul, "What is Anglicanism? ": in The Study of Anglicanism, ed. S. Sykes and JH. Booty (London: SPCK, 1988).
- 30– Peter E. Russell, prince Henry "the Navigator": a life. –New Haven: Yale University Press. 2000.
- 31– R>H. Bainton, The Age of the Reformation, –New York: Van Noster and Vompany Inc. Princeton, 1965.
- 32– Richard Henry Major, The discoveries of Prince Henry, the Navigator, and their results, –London: Sampson, 1877.
- 33– Robert Bideleux, Ian Jeffries, A History of Eastern Europe: Crisis and Change,– New York: Routledge, 1998.
- 34– Russell–Wood, A.J.R. –The Portuguese Empirr 1415–1825, – John Hopkins: University Press, 1998.
- 35– Desmond. Seward, Francpis I: Prince of the Renaissance, – New York: MacMillan Publishing Co.,. 1973.
- 36– Michel Simonin, Dictionnair des lettres francaises– Le XVIe siecle. Paris: MacMillan Publishing Co., 1973.

- 37- Sonia M .Zaide, The Philippines: A Unique Nation,-
Philippines: All Nations Publishing Co, 1994.
- 38- Edward Dwight Salmon, Imperial Spain: The Rise of the
Empire and the Dawn of Modern Sea-power,- Greenwood Press,
1971.
- 39- Edward John Payne, History of the New World Called
America,- Oxford: Clarendon Press, 1899.
- 40- David Ogg, Europe in the Seventeenth Century,- Oxford:
Adam& Charles Black, 1954.

" "

- 1-"The Death of Magellan 1521" ,Eye Witness to History, -available in
march 2001 at: ([http://www.eyewitnesstohistory.com/magellan
.htm](http://www.eyewitnesstohistory.com/magellan.htm))
- 2-"historical overview of the inquisition" .available in 5 December 2008
at:
http://galileo.rice.edu/lib/student_work/tria196/loftis/overview.html)
- 3-"Pop Paul IV Biography", in Biography Base, Available In 20 March
2009 at:
http://www.biographybaes.com/biography/Paul_IV_Pope.html)

4-"The Twelve Articles of the Black Forest" , available in 16 April 2009, at:

(http://en.wikipedia.org/wiki/Twelve_Artices_of_the_Black_Forest)

5-"Thirty Years' War- Casualties and disease". -available in 20 January 2009 at:

(http://www.experincefestival.com/a/Thirty_Years_War/id/385103)

6-"Thirty Years' War- Danish intervention". -available in 20 January 2009 at:

(http://www.experincefestival.com/a/Thirty_Years_War/id/385103).

7-"Thirty Years, War- Political consequences". -available in 20 January 2009 at:

(http://www.experincefestival.com/a/Thirty_Years_War/id/385103).

8-"Thirty Years' War- Swedish intervention", -available in 20 January 2009 at:

(http://www.experincefestival.com/a/Thirty_Years_War/id/385103)

9-"Thirty Years War -Swedish- French intervention", -available in 20 January 2009 at:

http://www.experincefestival.com/a/Thirty_Years_War/id/385103).

- 10- " Thirty Years War– Swedish– French intervention" available in
20 January 2009 at:
(http://www.experiencefestival.com/a/Thirty_Years_War/id/385103)
- 11- " Thirty Years War–The Peace of Westphalia". –available in 20
January 2009 at:
(http://www.experiencefestival.com/a/Thirty_Years_War/id/385103).
- 12- Alexander Ganse, The Bohemian Lands in the 30 years War,
Part of World History at KMLA. – available in 12/11/2004
at:([http://www.zum.de/whkmal/region/germany/30
years_czech.html](http://www.zum.de/whkmal/region/germany/30_years_czech.html)).
- 13- 13- David Burr, "INQUISITION: INTRODUCTION" .–available
in 15 February 2009 at:
(<http://www.fordham.edu/halsall/source/inquisition1.html>)
- 14- J.A. Wylie LL.D., History of the Jesuits: Excerpted from the
massive, 2 vol. History at KMLA. –available in 12/11/2004 at:
(<http://reformation.org/jesuits1.html>)
- 15- Josiah C.Ang, PM, Historical Timeline of the Royal Sultanate
of Sulu Including Related Events of Neighboring People, –Center for
Southeast Asian Studies.– available in 25 April 2009 at:
(http://www.seasite.niu.edu/Tagalog/Muslim/historical_timeline)

- 16- Leopold von Ranke, "Portrait of Pope Paul IV" .-avaailable in 1 August 2004 at: (<http://www.umass.edu/wsp/methodology/ranke/paul.html>).
- 17- Pierre de Nolhac, Petraque et l'humanism.- available in 15 April 2009 at: (<http://jhir.library.jhu.edu/handle/1774.2/181>)
- 18- Robert Green Ingersoll, "Spain And Spaniard" .-available in 20 March 2009 at: (http://www.infidels.org/library/historical/robert_ingersollSpain_and_spaniard.html)

" "

- 1- الموسوعة الثقافية، مدير التحرير فايزة حكيم رزق الله- القاهرة: دار الشعب، (بدون تاريخ).
- 2- الموسوعة العربية الميسرة/ إشراف محمد شفيق غربال. - القاهرة: الدار القومية للنشر، 1959.
- 3- موسوعة الفلسفة/ عبد الرحمن بدوي. -الطبعة الأولى. -بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984. (الجزء الثاني).
- 4- الموسوعة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة/ إشراف وتخطيط ومراجعة مانع بن حماد الجهني. -الطبعة الثالثة منقحة وموسعة.
- 5- موسوعة تاريخ العالم، وليام لانجز؛ أشرف على الترجمة محمد مصطفى زيادة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 19598. (الجزء الخامس).

6- موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر/ مفيد الزيدي. -الطبعة الأولى- عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2004. (2ج، 1184 صفحة).

" "

1- الموسوعة الثقافية (<http://www.almaoso3a.com>)

2- الموسوعة الحرة ويكيبيديا: (www.wikipedia.org)

3- موسوعة عمان: بوابة الدول،

(<http://www.omanss.com/book/data/data6/7499.html>)

4- الموسوعة العربية العالمي، رئيس التحرير أحمد مهدي الشويخات. -الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، 2004 (الإصدار الرقمي).

5- الموسوعة العربية: بوابة عربية إسلامية شاملة: (<http://aarabiah.isoc.ae>)

6- موسوعة المعرفة: (<http://www.marefa.org>)

7- موسوعة الواحة: (<http://www.coptreal.com>)

8- موسوعة فنون عصر النهضة:

9- (<http://www.civilizationstory.com/tharwat>)

" "

- 1-The Catholic Encyclopedia: Heinrich Wallau, "Johann Gutenberg". – New York: Robert Appleton Company, 1910 (vol.7).– Available in 18 Apr. 2009 (<http://www.newadvent.org/cathen/07090a.htm>).
- 2-The Catholic Encyclopedia: Otto Hartig, "John & Sebastian Cabot", New York: Robert Appleton Company, 1908. (Vol.3), –Available 2 May 2009, at: (<http://www.newadvent.org/cathen/03126d.htm>).
- 3-The Catholic Encyclopedia: J. Loughlin, "Pope Paul IV." ,–New York: Robert Appleton Company. Retrieved March 20, 2009 from New Advent: (<http://www.newadvent.org/cathen/11581a.htm>).
- 4-The Catholic Encyclopedia: Sixth Edition, –New York: Columbia University Press, 2007. Available in 03/04/3009 at: (<http://www.bartleby.com/65/th/ThirtyYe.html>).

1- شبكة الفيصل نت، مقالات: أديان ومعتقدات: (<http://www.fesal.net/articles>)

2- شبكة النبأ المعلوماتية: (<http://www.annabaa.org>)

3- موقع مجمع ترنت على شبكة الإنترنت:

(<http://www.thecounciloftrent.com/index.htm>)

4- النسخة التجريبية من (NNDB): (<http://www.nndb.com/people>)

الخاتمة

دللت الأطروحة على مجموعة من النتائج أهمها ما يلي :-

1. توقفت غزوات المسلمين البحرية بعد معاوية، وشغلت الدولة بحروب داخلية مدة كبيرة، ولما هدأت الأحوال بها لم يكن غزوها البحري نشيطاً، وكانت نهاية موسى بن نصير نهاية له وللإسلام وللدولة الإسلامية، ولكن البحريين من المسلمين في الشرق وفي إسبانيا ناوشوا جزر البحر الأبيض وشواطئ أوروبا، ولم تأت أعمالهم بفتوح ذات قيمة تاريخية ولكنهم لفتوا أنظار هذه البلاد إلى قوة العرب
2. صارت صقلية بعد فتحها إمارة أغلبية، يتولى أمرها والٍ من قبلهم، وكان الأغلبية في نزاع ومناوشات مستمرة مع الدولة الفاطمية التي نشأت بالمغرب، وتريد الزحف نحو الشرق، وكان هناك أقوى بين المذهبين السني والشيوعي، وكان ذلك ينعكس على جزيرة صقلية، وكان بين سكانها نزاع بين العرب والبربر من قبل.

3. وكان موقف المسلمين في صقلية كموقف المسلمين في إسبانيا، إذ ترقبوا ندة من الدول الإسلامية، وعلى الأخص بني زيري الذين خلفوا الفاطميين على غرب إفريقيا، ولكن لم يمد أحد لهم يد المساعدة، فاضطروا إلى التسليم والاستلام. أما بالنسبة لأثر الفتح الإسلامي لصقلية فقد دخل النورمانديون صقلية فأدهشهم ما نقلها المسلمون إليه من رقي وحضارة. لقد بذلوا جهداً في ترقيتها في كل جوانب الحياة.
4. كان النورمانديين على حظ من الذكاء، وقد عرفوا به من قبل، لهذا لم يفعلوا بآثار المسلمين ما فعل بها الأسبان. فهناك- وهذا بعد تنصير صقلية بزمن بطويل.
5. كانت الصورة التي قرّت في أذهانهم عنه مما يصعب محوه، ولكن حضارة صقلية ظلت في تقدم لمدة طويلة بعد، وظلت مظاهر الحياة العربية بادية عليها، ولو تقبل النورمانديون الإسلام واتخذوه ديناً لكان عهد هذا الازدهار الحضاري أطول زمناً وأبقى.
6. أن المسلمين دخلوا هذه الجزيرة وهم في أوج ازدهارهم ورفيهم الحضاري، وكان المشاركة قد ترجموا من علوم الأمم الأخرى، ودرسوا وابتكروا شيئاً كثيراً، فكانت البلاد الأوروبية التي دخلها المسلمون تتلقى ثماراً ناضجة وعلوماً قد أتت أكلها في جوانب الفكر والحضارة، ولم تكن صقلية منقطعة عن الشرق، كما لم تكن إسبانيا منقطعة، بل كانت رحلات الحج وطلب العلم ولقاء العلماء مما يغذي تيارات الثقافة بها، فطل النشاط الثقافي والحضاري بها مستمراً متجدداً.
7. فقد ورث النورمانديون هذه الحضارة فلم يسعهم إلا الخضوع لها والاقتباس منها، وبرز بين الحكام أنصار الثقافة العربية "روجر الأول" فاتح الجزيرة، وأبنة "روجر الثاني" وسماهما ابن خلدون في تاريخه باسم "روجر" والملك "فريدريك الثاني" ووليم الثاني.
8. ومهما يكن من أمر صقلية فإنها أسهمت بحظ وافر في نقل العلوم الشرقية إلى الغرب وكانت مركز ترجمة نشيطة، وبحكم موقعها وتاريخها كانت ملتقى أجناس ولغات، وسادت فيها اللغات الحية إذ ذاك الواسعة الانتشار، اليونانية واللاتينية والعربية.

Conclusion

The thesis demonstrated a set of results including the following: -

1. I stopped invasions Muslims Navy after rolling, and operate state wars, internal length is great, what calmed down conditions by not invading marine active, and was the end of Musa Bin Naseer end for him and for Islam and the Islamic state, but maritime Muslims in the east and Spain Naoshua Islands Mediterranean and the shores of Europe, No come their Pftouh the historical value, but they drew the attention of this country to force the Arabs
2. Became Sicily after opening the Emirate of majority, shall hurry and before them, and had a majority in the conflict and skirmishes are continuing with the Fatimid dynasty, which originated in Morocco, and you want to crawl towards the east, and there was stronger among sects Sunni and Shiite, and that was reflected on the island of Sicily, and was among the population of the conflict between Arabs and Berbers before.
3. The position of the Muslims in Sicily as a position of Muslims in Spain, as Stay tuned نذة from Islamic countries, especially between the ministers who left the Fatimids on West Africa, but did not provide a them a helping hand, so

they had to delivery and receipt. As for the impact of the Islamic conquest of Sicily has entered the Normans Sicily Vadhchehem the Muslims are transferred to paper and civilization. I have worked hard in upgraded in all aspects of life.

4. Norman was the luck of intelligence, and they knew it before, this did not do the effects of what he did Muslims by the Spaniards. There is - and this after evangelize Sicily a time Btoal.

5. The picture that keratosis in their minds with him, making it difficult to erase, and but Sicily civilization has been in progress for a long time yet, and aspects of Arab life remained visible, even Normans accepted Islam and they have taken our era was this cultural prosperity longest time and kept the.

6. That Muslims have entered this island are at the height of their prosperity and Riqém civilization, and was Masharqa has translated the science of other nations, studied and created a bit much, was the European country that income Muslims receive fruit mature and sciences has paid off in the aspects of thought and civilization, and was not Sicily disconnected from the Middle , as did not unbroken Spain, but were pilgrimages and application of science and meet scientists, fueling currents of their culture, Aftl cultural and civilizational activity continues renewed.

7. Has inherited the Normans of this civilization did not afford only to undergo her and quote them, and has emerged between the rulers supporters of Arab culture "Roger the first" Light the island, and his son, "Roger II" and Smahma Ibn Khaldun in history as "Roger" and the King "Frederick II and William II.

8. Whatever the of Sicily order they contributed to a multitude luck in the transfer of Science East to the West and was the center of an active translation, by virtue of its location and its history was Forums races and languages, and prevailed as living language that widespread, Greek, Latin and Arabic.

كر وامتنان

في البدء أتقدم بعظيم الشكر
والامتنان إلى الله (عز وجل)
الذي وفقني لإتمام هذا العمل .
واجد لزاماً علي إن أتقدم
بوافر الشكر وخالص الثناء إلى
أستاذي الجليل المشرف على

الرسالة الدكتور (نزار كريم
جواد الربيعي) لما بذله من
جهود علمية قيمة تخص البحث
ومفرداته ... فقد وجدته مثالاً
للتواضع العلمي والخلقي النبيل
كما وأقدم شكري إلى أساتذتي
الإجلاء الذين درسوني في السنة
التحضيرية فلهم مني كل الاحترام
والتقدير ولكل من أسدى نصحاً
أو رأياً لانجاز هذا البحث .

الباحثة

الاهداء

الى معلم الانسانية المبدع الذي
انقذنا من الظلمة والظلام الى الهداية
والنور .

محمد صلى الله عليه واله وسلم

الى روح ابي الطاهرة)

(رحمه الله)

الى خيمة الامان والحنان والملاذ الذي حملني وهناً على وهن بشفاه
الدعاء والامل (امي)

اخي و اخواتي (حسين , سميرة , رغد
(..... الحب الصادق والعطاء اللاحدود

الباحثة

إقرار المشرف

أشهد أن أعداد هذه الاطروحتها الموسومة.

تأثيرات الديانة الكاثوليكية والبروتستانتية خلال القرن السادس عشر والسابع عشر في العالم العربي

التي تقدمت بها طالبة الدكتوراه (نغم محمد علي) قد جرىت بأشرافي
في جامعة سانت كليمنتس العالمية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في ()
تاريخ الحديث والمعاصر (

لأجله وقعت.

التوقيع:

الاسم: أ.م.د نزار كريم جواد

التاريخ:

إقرار لجنة مناقشة

نحن لجنة مناقشة الطالبة (نغم محمد علي) نشهد بأننا ناقشنا الطالبة عن اطروحتها الموسومة .

تأثيرات الديانة الكاثوليكية والبروتستانتية خلال القرن السادس عشر والسابع عشر في العالم العربي

قررنا قبول الاطروحة كجزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في

تخصص (تاريخ الحديث والمعاصر) (بتقدير) امتياز (

عضو اللجنة

رئيس اللجنة

الاسم :

الاسم :

التوقيع :

التوقيع :

عضو اللجنة

عضو اللجنة

الاسم :

الاسم :

التوقيع :

التوقيع :

عضو اللجنة

عضو اللجنة ومشرفاً

الاسم :

الاسم :

التوقيع:

التوقيع :

تصادق رئاسة الجامعة على قرار لجنة المناقشة .

الأستاذ الدكتور

نزار الربيعي

رئيس الجامعة في جمهورية العراق

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

((وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي
عِلْمًا))

صدق الله العظيم

(سورة طه - من الآية 114)

